
اليسار
١٥ عاما
من التعذيب والاعتقالات
تكفى وتزيد
مصر وأمريكا
خلاف عابر أم أزمة فى العلاقات
أم توافق استراتيجى !!
الأقباط
بين المطرق والسندان
يلتسين
غرفة فى فندق تصنع فوزه
الست هدى
لا مؤاخذة يا جناب الأمير
تقرير
خطير
للأمم
المتحدة
الأطفال فى أسواق الجنس

فى هذا العدد

لليسار در

عندما قرر مجلس التحرير تنظيم ندوة حول « العلاقات المصرية الأمريكية » على ضوء الخلافات التى ظهرت فجأة على السطح مواكبة للقمة العربية ، وعشية رحلة الرئيس مبارك السنوية لواشنطون ، ودعى إليها عدد من أهم الخبراء والدارسين والكتاب ، لم يكن فى حسبانه أن الحوار بينهم - رغم تعدد مدارسهم وأرائهم ومواقفهم - سيكون بهذا القدر من الأهمية . لقد كشف الحوار فى هذه الندوة عن عديد من الحقائق والتفاصيل يندر أن يضمها موضوع واحد.

وقد أفردت المجلة لهذه الندوة ٢٣ صفحة وكان علينا لكى ننشر كل الأبواب والمواد المقررة أن نزيد عدد صفحات المجلة ١٦ صفحة دفعة واحدة ، وبالتالى نتخذ القرار الصعب ، وهو رفع سعر هذا العدد (فقط) إلى ٣ جنيهات ونعتقد أن القارئ سيقبل هذا القرار عندما يقرأ الندوة ومواد هذا العدد.

وعلى عكس ماكنا نتصور من أن عدد أغسطس ، عدد صيف نخفف فيه المادة ونحاول أن نجعلها صالحة للقراءة على الشواطئ . فقد فرضت علينا الأحداث موضوعات حادة ومتجهمة أحيانا.

فماذا نفعل أمام صدور تقريرين عن التعذيب فى مصر وهو الموضوع الذى تناولته افتتاحية المجلة؟ وبالنسبة لتقرير الأمم المتحدة عن تشغيل الأطفال فى صناعة الجنس.

وهل نملك تجاهل توابع فوز نتنياهو وزيارته لواشنطون والقاهرة ، أو نتائج الانتخابات الروسية ، أو الهجمة على الصناعة والقطاع العام ، أو صور الفساد الجديدة .. أو .. أو ..

ورغم ذلك ، ورغم اعتذار حجازى المناجئ عن لوحة الغلاف ، فنعتقد أن القارئ حتى وإن كان على شاطئ البحر سيجد -بالإضافة إلى التحليل والدراسة -متعة اضافية فى كاريكاتير يوسف عبدلكى ومحمد حاكم وعز العرب ، ونقد مسرحية الست هدى وفيلم يادنيا ياغرامى ، ولوحات أحمد مرسى والشاغبات ، بل وفى كل موضوعات العدد.

اليسار

رئيس التحرير:
حسين عبد الرازق
المشرف الفنى
أحمد عز العرب
المستشارون:
ابراهيم بدراوى
أحمد نبيل الهلالى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
عبد الغفار شكر
عبد الغنى ابو العينين
محمود أمين العالم
محمد وفاء حجازى

شارك فى التأسيس
د. فؤاد مرسى
اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

ALYASSAR 1 KARIM EL DAWLA ST TALAAT HARB SQ CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات لمدة سنة واحدة
مصر: ٢٠ جنيها للأفراد و ٦٠ جنيها للهيئات
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨
FAX 5786298

موقفنا

١٥ عاماً من التعذيب والاعتقالات تكفى وتزيد

رغم أهمية الأحداث التى جرت خلال شهر يوليو .. سواء مايتعلق منها بنتائج القمة العربية ، وماقيل عن خلافات مصرية أمريكية نتيجة لهذه القمة ، ولقاء " مبارك - نتنياهو " فى أول اتصال عربى مباشر برئيس الحكومة الإسرائيلية الجديد.. أو القوانين التى أصدرها مجلس الشعب فى جلسة واحدة قبل ساعات من انفضاض دورته الأولى..

فقد فرضت قضية انتهاك الحريات العامة وحقوق الإنسان نفسها على الأحداث فى مصر ،ولم يعد هناك بد من أن تحتل مكان الصدارة فى اهتمام أى انسان لديه ذرة ضمير.

ففى خلال يوليو ١٩٩٦ صدر تقريران يتناولان هذه القضية :

حسين عبد الرازق

الأول تقرير دولي أصدرته أعرق منظمة لحقوق الانسان في العالم ، وهي منظمة الأمنستي (العفو الدولية) ، يوم الأربعاء ٣ يوليو في لندن، تحت عنوان " **مصر .. الضحايا المنسيون - اعتقالات بلا نهاية وتعذيب منهجي** ".

الثاني ،التقرير السنوي حول"**حقوق الانسان في الوطن العربي** "الذي تصدره المنظمة العربية لحقوق الانسان ، عن حالة حقوق الانسان في الوطن العربي خلال عام ١٩٩٥ ، وبه جزء عن مصر (من صفحة ٢٥٢ وحتى صفحة ٢٨٧).

وقد شاء حظي العثر أن أقرأ التقريرين معا وفي يوم واحد . وأن أطلع أيضا على تقرير "**لجنة الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب**" الصادر في مايو ١٩٩٦ في نفس اليوم.

وأحسست خلال هذه القراءة وبعدها . بالفزع والعار..

الفزع أن يكون هناك هذا القدر من التوحش والعنف في مصر، وفي أجهزة الدولة المصرية العريقة (أكثر من ٧٠٠٠ سنة حضارة) ، والمنوط بها حماية الناس والدفاع عن حقوقهم والسهر على تطبيق القانون..

والعار لأن هذا الانتهاك متواصل منذ خمسة عشر عاما - هي فترة رئاسة **حسني مبارك** حتى الآن - بصورة متصلة ، دون أن يتجمع الشعب المصري وقواه السياسية ومنظماته الديمقراطية في وقف هذه الجريمة . ومحاسبة مقترفيها والمسئولين عنها!!

بل إن بعض هذه القوى تتجاهل عن عمد هذا الانتهاك للحريات العامة وحقوق الانسان والدستور والقانون متمسكة بالشعار الخاطئ .. " لاأرى . لاأسمع . لاأتكلم"!

١٥ عاما من التعذيب

تقول منظمة الأمنستي (**العفو الدولية**) في تقريرها .." بحجة مكافحة الارهاب ،تواصل **السلطات المصرية انتهاكاتها السافرة** لحقوق الانسان . **من اعتقال الآلاف دون اتهام أو محاكمة** ،بعضهم لمدة ٦ سنوات متصلة، **واستمرار التعذيب بصورة منهجية** للمشتبه في عضويتهم في الجماعات الاسلامية المسلحة أو تعاطفهم معها ،واستمرار رئيس الجمهورية في **تحويل عشرات من المدنيين للمحاكمة أمام المحاكم العسكرية** والتي تفتقر إجراءاتها للعدالة بصورة خطيرة . وقد أصدرت هذه المحاكم في الثلاث سنوات ونصف الأخيرة (٧٠) حكما بالاعدام . وطبقا للسلطات المصرية فقد قتلت قوات الأمن العديد من المواطنين في المصادمات مع أعضاء الجماعات المسلحة ، يدخل بعضها في نظام "**الاعدام خارج القانون**" .وبينما تعترف منظمة العفو الدولية للحكومة المصرية بالحق في أن تقدم للعدالة أي شخص يرتكب عملا إجراميا ، فمن الضروري أن يتم ذلك في نطاق القانون واحترام حقوق الانسان ." وكما يبدو فإن حكم القانون يتم التضحية به في مصر " وأشار تقرير منظمة العفو الدولية الى التقارير السابقة التي أصدرتها المنظمة حول انتهاك حقوق الإنسان في مصر وخاصة التقريرين الصادرين عام ١٩٨٩ و١٩٩٢، والتقرير الخاص الذي أصدرته المنظمة عام ١٩٩١ تحت عنوان "**١٠ سنوات من التعذيب في مصر**".

ويركز التقرير على ثلاثة مظاهر لهذا الانتهاك لحقوق الانسان وهي:

- **الاعتقال الاداري** وتكرار الاعتقال مع تقديم نماذج محددة تجسد هذه الظاهرة وأسماء المعتقلين وأعدادهم
- القتل خارج القانون.
- **التعذيب**

ويفصل التقرير وقائع التعذيب الذي يجري في مقار مباحث أمن الدولة وفرق الأمن والسجون ، ويقول .." والوسائل الأكثر شيوعا في التعذيب ،**استخدام الصدمات الكهربائية ، والضرب بالسياط ، والتعليق من الرسغ أو أنكل القدمين ، وإطفاء السجائر في الجسم ، والتعذيب النفسي وإساءة المعاملة بما في ذلك التهديد بالاغتصاب أو الاعتداء الجنسي على المعتقل** أو **زوجته أو إمرأة من أقربائه أمامه**.."ويشير التقرير إلى موت عدد كبير من المعتقلين داخل أماكن الاحتجاز بعضهم نتيجة التعذيب.

ويستند التقرير في تأكيده لوقوع التعذيب إلى **تقارير عديدة صادرة عن الطب الشرعي في مصر ، وإلى أحكام أخيرة في ثلاث قضايا منفصلة** ،أهدرت المحاكم خلالها اعترافات المتهمين التي انتزعت منهم تحت التعذيب ، وهي الحكم الصادر من محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) في ١٤ أكتوبر ١٩٩٥ في القضية رقم ٣٣٨ أمن الدولة العليا لعام ١٩٩٣ والمعروفة بقضية طما . والحكم الصادر من محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) في ١٤ ديسمبر ١٩٩٥ المعروفة بقضية أبو تيج . والحكم الصادر من محكمة أمن الدولة العليا طوارئ في قضية أمن الدولة رقم ١٢٠٠ لعام ١٩٩٤ والمعروفة بقضية أهناسيا.

وتكمل هذه الأحكام سلسلة الأحكام النهائية التي صدرت من محاكم أمن الدولة منذ عام ١٩٨١ في قضايا الجهاد والجماعة الاسلامية واغتيال د. رفعت المحجوب وقضايا محلات الفيديو وعين شمس ، وكلها تدين التعذيب وتهدر اعترافات المتهمين لانتزاعها بالإكراه والتعذيب . محذرة من لجوء الشرطة للتعذيب لانتزاع الاعترافات من المتهمين بالاضافة لتعارضه مع الدستور والقانون والأديان السماوية وحقوق الانسان وحرمة جسده ، قد تؤدي الى هروب الجناة الحقيقيين من العقاب.

انتهاكات بالجملة !

ويتعرض تقرير المنظمة العربية لحقوق الانسان في الجزء الخاص عن مصر لنفس هذه الظواهر يقول التقرير" أسفرت عمليات المداهمة والمطاردة المستمرة التي شنتها أجهزة الأمن ضد عناصر الجماعة الاسلامية المسلحة عن مصرع نحو ٢٧٣ شخصا ، بررت السلطة مقتلهم " كرد فعل" لمبادرتهم باطلاق النار على قوات الأمن . ورغم صعوبة الموقف الذي تواجهه الشرطة في مواجهة هذه الجماعات المسلحة ، فهناك تخوف دائم من إفراط قوات الأمن في إستخدام الأسلحة النارية ، **كما تخشى المنظمة من أن بعض العمليات التي نفذتها السلطات الأمنية يمكن تصنيفها** ،في ضوء الملابسات التي أحاطت بها والشكوى والبلاغات التي تلقتها المنظمة كحالات "**إعدام خارج نطاق القضاء**".

"واستمر تفاقم الانتهاكات للحق في الحرية والأمان الشخصي مثار قلق المنظمة العربية لحقوق الانسان . وقد تنوعت هذه الانتهاكات بين القبض العشوائي على عشرات المواطنين في أعقاب كل حادثة من

١٥ عاما من التعذيب والاعتقالات تكفي وتزيد

حوادث العنف بشبهة الانتماء للجماعة الاسلامية المسلحة ، الى الاعتقال المتكرر لآلاف الأشخاص بموجب قرارات ادارية متتالية تصدر بالمخالفة لأحكام القانون أو بالتحايل على أحكام القضاء ، إلى الاحتجاز غير القانونى لعشرات المواطنين لفترات طويلة ، إلى التحفظ على أفراد من أسر المطلوبين لإجبارهم على تسليم أنفسهم . كما استمر حظر التجول ليلا قائما فى مدينة ملوى وبعض القرى التابعة لها للعام التالى على التوالى . واستمرت السلطات فى حرق وإزالة مساحات كبيرة من زراعات القصب فى هذه المناطق بحجة أنها تمثل مأوى " للارهابيين ".
وقد وثقت المنظمة المصرية لحقوق الانسان أسماء **١٦٧٠٨ معتقل داخل السجون ، من بينهم ٧٨٩١ شخصا تم اعتقالهم بشكل متكرر خلال السنوات الخمس الماضية** بحجة تورطهم في أعمال العنف والارهاب أو خطورتهم على الأمن والنظام العام ، حتى أخذ الاعتقال المتكرر طابع الظاهرة العامة المضطردة.."

ويتناول التقرير أيضا ظاهرة **الاختفاء القسرى والتعذيب ، وغياب الحق فى محاكمات عادلة ومنصفة** فى ظل إحالة رئيس الجمهورية المدنيين للمحاكمة أمام القضاء العسكرى بالمخالفة للعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ولأحكام الدستور المصرى ، **وانتهاك الحق فى حرية الرأى والتعبير ، وقمع الحق فى التجمع والتظاهر السلمى، وإهدار الحق فى المشاركة فى إدارة الشئون العامة (تزوير الانتخابات العامة)** .

إدانة دولية .. واتهام

أما تقرير لجنة الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب الصادر فى مايو ١٩٩٦ ، فيقول .."**تمارس قوات الأمن التعذيب بصورة منهجية مستمرة فى مصر ، وخاصة بواسطة مباحث أمن الدولة . لقد أصبح التعذيب أمرا عاديا ومنتشرا وبشكل عام ، على الأقل فى مواقع عديدة فى مصر** ".

ولم يجر أى تحقيق أو يتخذ أى إجراء قانونى ضد أفراد جهاز مباحث أمن الدولة ، رغم تصديق مصر على العهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ، والاتفاقية الدولية لمناهضة التعذيب (١٩٨٦) . ولم يبذل أى جهد لمنع قوات الأمن من التصرف كدولة داخل الدولة .ويبدو **أن سلطات عليا توفر لهم الحماية اللازمة للهروب من أى مساءلة**".

وحتى لايقول أحد أن هذه التقارير رصدت جانبا واحدا من الصورة ، أو انحازت إلى جانب دون آخر ، فقد يكون ضروريا الاشارة إلى أن التقارير جميعا أفردت مساحة واسعة لرصد **العمليات الإجرامية والارهاب والعنف الذى تمارسه الجماعات الاسلامية ، أو التى تتستر وراء الاسلام** ،سواء عمليات القتل أو الاغتيال الفردى والجماعى التى استهدفت " رجال الأمن ، خاصة صغار رجال الشرطة من الجنود والخفراء والمخبرين السريين " ، والسياح ، والمواطنين العاديين ، أو الكتاب والمفكرين ، أو رموز السلطة بما فى ذلك عملياتها الإجرامية فى الخارج ، أو لجوء بعض أفراد هذه الجماعات الظلامية لملاحقة المفكرين والكتاب والمبدعين بقضايا حسبة لتكفيرهم أو اتهامهم بالردة أو مصادرة إبداعاتهم..

ولكن الاهتمام انصب أساسا على ممارسات **الدولة وانتهاكها لحقوق الانسان والحريات العامة . فلا يقبل أن تتحول الدولة فى مواجهتها لعصابات اجرامية إلى عصابة هى الأخرى ، تنتهك الدستور والقوانين ، وتخل بتعهداتها الدولية والمواثيق والعهود**.وكل هذه المنظمات المحلية والعربية والدولية يقوم عملها أساسا على مراقبة التزام الدول والحكومات بهذه المواثيق الدولية .وإذا **تغاضى الناس والمجتمع عن تحول جهاز نظامى (أو أجهزة نظامية) فى الدولة إلى عصابة تقتل وتعذب وتسجن بلا قانون وفى تناقض معه فمن المؤكد أن المجتمع سيتحول إلى غابة يسودها العنف والارهاب ومنطق القوة والغضب.**

إن هذه التقارير التى تدمى القلب وتثير الجزع والتى تصادف نشرها فى أوقات متقاربة ، تلقى علينا جميعا أفرادا وجماعات مسئولية خطيرة.

فاستمرار الصمت على هذه الجرائم .. جريمة أكبر .

جريمة فى حق الانسانية .. وفى حق الوطن .. وفى حق أبنائنا وأخوتنا فى جهاز الشرطة الذين تفرض عليهم السلطات السياسية فى الدولة التورط فى هذه الجرائم ، بينما هم فى الأصل حماة المجتمع ضد الجرائم والعنف أيا كان مصدره.

ومرة أخرى لايحاول أحد أن يعطى تبريرا لهذه الجرائم . العنف والارهاب الذى تمارسه الجماعات المتسترة بالدين . فالعكس هو الصحيح . فالبعض يبرر جرائم هذه الجماعات الارهابية ، بما ترتكبه الدولة من عنف وارهاب واختراق للقانون . والتزام أجهزة الأمن بالدستور والقانون وحقوق الانسان فى حملتها الضرورية ضد الارهاب والعنف ، سيضرب هذه الجماعات الارهابية فى مقتل ، وسيزيد من عزلتها بين الناس وفى المجتمع . ، وسيسهل حصارها وتصفيتها . ولايمكن أن يكون الضعف المهنى لأجهزة الأمن مبررا لتورطها فى الاعتداء على القانون والحقوق والحريات العامة.

إن استمرار التعذيب والقتل خارج القانون وكافة أشكال الانتهاك لحقوق الإنسان والحريات العامة يؤكد أن **مايجرى هى سياسة معتمدة من السلطة السياسية منذ عام ١٩٨١ وحتى الآن**.وليس صدفة أن أكثر من وزير داخلية أتى ورحل والتزم بهذه السياسة الإجرامية .. من النبوى **إلى زكى بدر إلى موسى إلى الألفى** .

ولابد من وقف هذه السياسة فورا

ولابد أن يدفع القائمون على تنفيذها .. وقبلهم واضعوها والآمرون بها الثمن.

ولن يحدث هذا مالم تتجمع كل الأحزاب والمنظمات والجماعات الديمقراطية وتخوض حملة قومية عالية الصوت لانهاء هذه الجريمة المستمرة منذ عام ١٩٨١ وحتى الآن.

إننى أدعو إلى لقاء يضم قادة الأحزاب والقوى السياسية الديمقراطية ، وفى المقدمة **خالد محيى الدين ، وضياء الدين داود ، وفؤاد سراج الدين** ..وأمناء مراكز ومنظمات حقوق الانسان فى مصر .. ونقباء المحامين والصحفيين .. وأعضاء اللجنة القومية للدفاع عن سجناء الرأى .. وكبار الكتاب والمفكرين من أمثال .."**صلاح الدين حافظ وكامل زهيرى ومصطفى أمين وسلامة أحمد سلامه ومحمد سعيد العشماوى وعبد العظيم أنيس وجلال أحمد أمين وصلاح عيسى وسعيد سنبل ورفعت السعيد ويونان لبيب رزق وعادل عيد وجلال عارف ونبيل الهلالى ومحمد عصفور ونعمان جمعه ولطيفة الزيات ومصطفى نبيل ومحمد فائق ومحمود أمين العالم وفريدة النقاش وسعيد الجمل ويحيى الرفاعى ومحمد سليم العوا** ..وعشرات ، بل ومئات غيرهم .. ليعلنوا وقوفهم جميعا ضد هذه الانتهاكات ، ويصدروا نداء باسم الأمة يدعو حكامنا الى وقف هذه الجريمة فوراً ، ويتبنون **برنامجا واضحا لمناهضة التعذيب والقتل خارج القانون والغاء حالة الطوارئ والقوانين التى تنتهك الدستور وحقوق الانسان** ..

فالصمت لم يعد ممكنا.

وأظن أن احتمال ١٥ عاما من التعذيب والقتل خارج القانون والاعتقالات .. تكفى وتزيد.

العلاقات المصرية الأمريكية بين الأزمة.. والخلافات.. والتوافق الاستراتيجى

أعاد التحرك المصرى فى الساحة العربية وانعقاد أول قمة عربية فى القاهرة منذ ست سنوات ، طرح قضية العلاقات المصرية الأمريكية.

فقد لاحظ المراقبون وجود خلاف واضح فى وجهات النظر المصرية والأمريكية حول القمة العربية ورد الفعل العربى تجاه فوز نتنياهو وتشكيل حكومة يمينة بزعامة الليكود فى إسرائيل وتمثل الخلاف فى ثلاث قضايا واضحة:

- مارست الولايات المتحدة ضغطا سافرا لمنع القمة من اتخاذ أى خطوات تثير الحكومة الاسرائيلية وتدفعها إلى رد فعل يوقف عملية التسوية السياسية.

- طلبت الحكومة الأمريكية رسميا تفسيرا من الحكومة المصرية لسماحها لطائرة القائد الليبى معمر القذافى بالمرور فى الاجواء المصرية والهبوط فى مطار القاهرة بالمخالفة لقرار مجلس الأمن (٧٤٥) الذى يفرض حظرا جويا على ليبيا.

- ما نشر عن اكتشاف المخابرات الأمريكية حصول مصر على صواريخ «سكود» أرض أرض والتكنولوجيا الخاصة بها من كوريا الشمالية، واتجاه الخارجية لارسال مذكرة احتجاج إلى الحكومة المصرية لخرقها للقانون الأمريكى. وما تردد عن دراسة فرض عقوبات اقتصادية على مصر.

ووصلت بعض التعليقات والتحليلات إلى وجود أزمة فى العلاقات المصرية الأمريكية، وتغيير فى السياسة المصرية بهدف تصحيح هذه العلاقات.

إدارة الندوة : عبد العال الباقورى

وفى محاولة للوصول إلى الحقيقة عقدت «اليسار» هذه الندوة واقترحت أن يدور الحوار حول ثلاثة محاور:

المحور الأول : هل هناك أزمة بالفعل فى العلاقات المصرية الأمريكية؟.

وما هى مظاهر هذه الأزمة .. ونقاط الخلاف؟.

وهل هى أزمة طارئة .. أم لها أصول ومقدمات؟.

المحور الثانى: هل هناك اتجاه او رغبة لدى ادارة الرئيس حسنى مبارك لتعديل هذه العلاقة واقامتها على أسس مغايرة ؟ .. ولماذا؟.

المحور الثالث : بصرف النظر عن ارادة الاطراف المختلفة .. فهل تملك الادارة المصرية القدرة على تغيير طبيعة هذه العلاقة (المصرية الأمريكية) فى ضوء الروابط الاقتصادية والعسكرية والسياسية غير العادية مع الولايات المتحدة؟.

وقد شارك فى الندوة كل من الاساتذة :

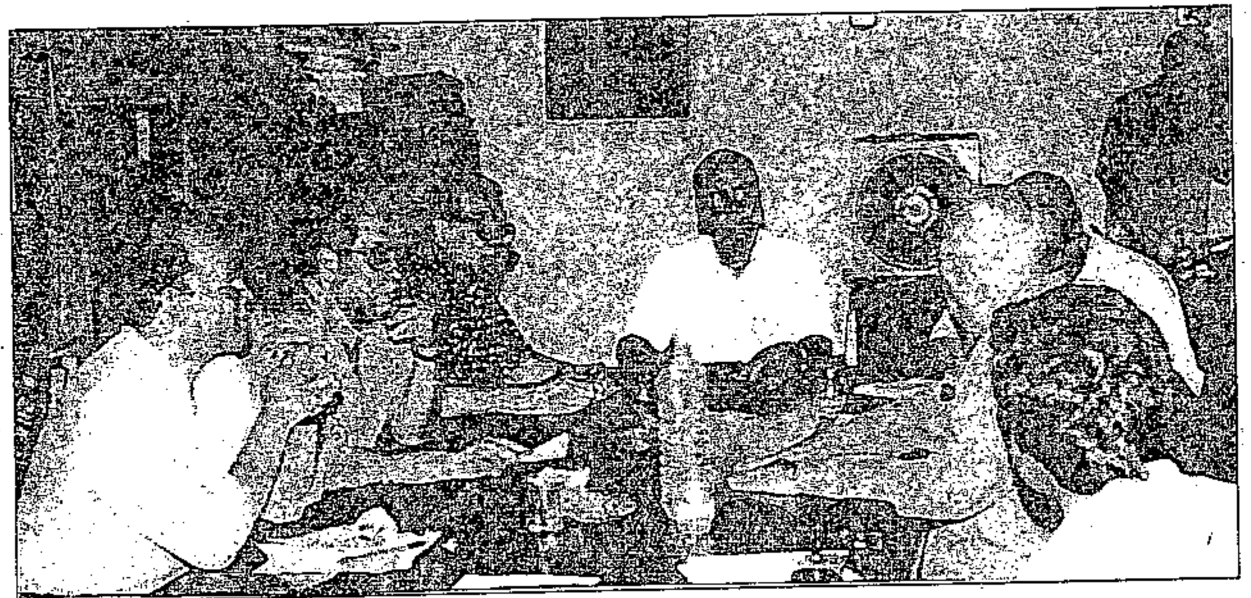
- **اللواء أحمد عبد الحليم** الخبير الاستراتيجى ومدير المركز القومى لدراسات الشرق الأوسط.
- **د. أحمد يوسف** مدير مركز الدراسات العربية.
- **جميل مطر** مدير المركز العربى لبحوث التنمية و المستقبل.
- **د. عبد المنعم سعيد** مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام.
- **نبيل زكى** رئيس القسم الخارجى بالاخبار.
- **السفير وفاء حجازى** مساعد وزير الخارجية السابق.

وتفضل بادارة الندوة: **عبد العال الباقورى** رئيس تحرير الإهالى



إعداد : عماد فؤاد

تصوير : خالد سلامة



ثلاثة محاور دار حولها الحوار بين المشاركين بالندوة

هل هناك أزمة بالفعل فى العلاقات المصرية الأمريكية؟

**

وهل هى أزمة طارئة.. أم لها أصول ومقدمات

عبد العال الباقورى

أهلا بكم باسم مجلة اليسار الرصينة. لقد شرفنى صديقى وزميلى حسين عبد الرازق رئيس التحرير بأن دعانى إلى إدارة هذه الندوة المهمة فى هذه الظروف . ندوة العلاقات المصرية الأمريكية . وأمامكم ورقة عمل اسمحوا لى قبل عرضها بأن نتخطى الخلفيات التاريخية - منذ بداية القرن الثامن عشر ، أو بداية القرن التاسع عشر - لنشأة العلاقات المصرية الأمريكية ، والتى برزت بشكل خاص فى فترة مابعد الحرب العالمية الثانية ، وبالذات بعد قيام ثورة يوليو المجيدة..

ونتخطى أموراً ومحطات كثيرة لسنا فى حاجة للوقوف عندها. ولكنها أوضحت - فيما أوضحته - **أن السيطرة على الوطن العربى استراتيجياً من ثوابت السياسة الأمريكية التى رأت أن هذه السيطرة لاتكتمل إلا بالسيطرة على مصر أو عزلها عن الوطن العربى أو بالوسيلتين معاً..**

ولندع مرحلة عبد الناصر .. ولندع أيضاً مرحلة السادات ، لنطل على السبعينات .والواضح أنه منذ بدايتها أن أمريكا - بشهادة خبرائها ودبلوماسييها وساسييها - استفادت كثيراً خلال عقدين ونصف عقد من علاقات متميزة مع مصر لدرجة أن **وليم كوانت** يصف هذه العلاقة بأنها"**قصة نجاح فريدة فى منطقة تقل فيها مثل هذه النجاحات** ".

وأضاف **كوانت** فى رؤية عميقة ومنبهة إلى صاحب القرار الأمريكى قائلاً " **يجب عدم النظر إلى مصر كتحصيل حاصل**".

فمن المقرر أن العلاقات المصرية الأمريكية حتى فى أزهى سنواتها لم تكن شهر عسل كاملاً .. إنها ككل علاقة فيها دائماً قدر من الشد والجذب ، من الخلاف والاختلاف..

فهل مايحدث اليوم - وهو لايخفى عليكم - هو استمرار لذلك أو إننا إزاء مسار جديد فى العلاقات المصرية الأمريكية؟

أعتقد أن هذا هو جوهر ورقة العمل التى أمامنا بمحاورها الثلاثة ، فإن لم تكن هناك ملاحظات على ترتيب المحاور المقترحة بالتعديل أو بالإضافة ، فأدعوكم إلى البدء



جميل مطر

لم يعد فى استطاعة المسئولين المصريين الدفاع عن أنفسهم أمام الرأى العام فى مواجهة.. الغطرسة الأمريكية







بمناقشة المحور الأول الذى يدور حول: هل توجد أزمة فى العلاقات المصرية الأمريكية؟ وماسظاهرها ؟ وهل هى أزمة طارئة أم لها أصول ومقدمات؟

ست ملاحظات عن الإطار العام للأزمة

جميل مطر

أود فى البداية أن أطرح عدداً من الملاحظات التى وإن كانت لاتتعلق مباشرة بمحور من المحاور الثلاثة إلا أنها تضع فى رأيى الإطار العام للأزمة أو اللا أزمة التى تمر فيها العلاقات المصرية الأمريكية . وسأحاول تلخيص هذه الملاحظات فى إشارات سريعة :

أولا : العلاقات المصرية الأمريكية تتصل بموضوعات أوسع كثيرا . وهى **الوضع الدولى عموما** ، وكذلك**الوضع الإقليمى ، وتطورات فلسفة ومبادئ السياسة الخارجية الأمريكية ، والحالة الراهنة للسياسة الخارجية المصرية.**

ثانيا : انتهت أو تكاد تنتهى مرحلة مهمة فى السياسة الخارجية الأمريكية، إذ قامت السياسة الخارجية الأمريكية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية على أساس أن تقوم الولايات المتحدة بحماية مصالح القوى الكبرى والأخرى فى العالم بأسره بحيث لاتتدرج دولة من هذه الدول بحجة حماية مصالحها فتنشئ قوة عسكرية كبيرة ويبدأ سباق تسلح من النوع الذى وقع بين الحربين العالميتين الأولى والثانية . هذا الدور انتهى . **فالولايات المتحدة لم تعد قادرة على - حتى وإن تمنت - الاستمرار فى حماية مصالح ألمانيا واليابان وبريطانيا** . وهى إن كانت تفعل شيئا من هذا فى الخليج فذلك لأن مصالحها فى هذه المنطقة بالغة الأهمية وتصادف أن تشاركها دول كبرى أخرى فى هذه المصالح .**ويوجد فهم أمريكى متزايد .وأيضا إسرائيلى بأن حماية إسرائيل يجب أن تنشأ من داخل المنطقة ويقل الاعتماد على الحماية الأمريكية المباشرة.**

ثالثا: الأساس فى مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية هو **المحافظة على الوضع القائم** فى العالم كله . ولكن بحكم الواقعية الأمريكية فى صنع السياسة فهى **لاتستبعد التغيير ولكنها ترفض أن يكون التغيير فى أى مكان مفروضاً عليها** .ولذلك تعمل واشنطن دائما على أن تكون موجودة حيث يبدأ التغيير بحيث تستطيع ضبطه والتحكم فى مساره حتى يصل إلى وضع قائم جديد يتناسب مع مصالحها ومصالح حلفائها . أقول هذا الكلام لأن **تغييرا مهما يحدث فى الشرق الأوسط ، بل وربما فى كثير من دول الجنوب الاسلامية .. ولاتريد واشنطن أن يفاجئها التغيير كما حدث فى إيران** .ولذلك نمن أهدافها الأساسية الآن تجنيد حلفائها ، ومنهم مصر ، للعمل معها لتنظيم مسيرة التغيير القائمة.

رابعا: الجديد هنا ، أن إسرائيل وقد تعلمت الدرس الأمريكى ، لاتريد أن تكون بعيدة بينما يتم ضبط التغيير فى الشرق الأوسط والعالم الإسلامى بعيدا عنها ، لاتريد أن يتكرر معها ماحدث فى أزمة الخليج الثانية عندما قررت أمريكا استبعادها من التحالف المناهض للعراق ، هى الان طرف أساسى وتريد أن تكون مشاركة مع أمريكا ومع مصر ومع الأردن ، ولذلك كان اجتماع شرم الشيخ ، وهنا تجدر ملاحظة أن **مصر تبرمت بعد المؤتمر من ضغوط أمريكية لضم إسرائيل إلى مجموعة قيادة التغيير فى الشرق الأوسط.**

خامسا: من المشكلات التى تواجهها السياسة الخارجية فى عهد كلينتون ، أى فى عهد مابعد الحرب الباردة ، هى صعوبة الاختيار بين أولويتين فى السياسة الخارجية الأمريكية ، الأولى هى **الفوضى الضاربة فى السياسة الدولية خلال سقوط الشيوعية والثانية ظاهرة انتشار ماتسميه أمريكا بالدول الشريرة أو الدول الشقية** .وقد توصل فلاسفة **إدارة كلينتون** إلى أن محاربة الفوضى العالمية مهمة باهظة التكلفة وغير ملموسة النتائج فى سنوات قليلة .. بينما محاصرة ومطاردة الأشرار والأشقياء مهمة أسهل ومحددة المعالم ومثيرة للرأى العام ويمكن بسهولة حشد تحالفات دولية حولها ، وقد حدث أن اشتركت مصر فى واحدة من هذه المهام مع العراق ، ويبدو أنها غير قادرة على التخلص تماما من مسئولية الاشتراك فى مهمة ايران ، ولو أنها نجحت فى التملص من مسئوليات حصار ليبيا والسودان ، وتناضل بنجاح فى رفض الاعتراف بأن سوريا دولة شقية . بمعنى أخر- **لاتلتقى تماما السياستان الأمريكية والمصرية رغم محاولة الطرفين فى السبعينات توحيد مبادئهما أو الإيحاء بوجود تكامل بينهما .**

سادسا: لم يحدث أن بلغت الغطرسة الأمريكية هذا الحد الذى وصلت اليه فى الأونة الأخيرة .والغطرسة ليست صادرة فقط عن المسئولين الأمريكيين . بل يبدو أنها تسربت إلى معظم النخب المثقفة الأمريكية . وبموضوعية شديدة أتصور أن الأمريكيين معذورون . إذ لأول مرة فى التاريخ الحديث توجد امبراطورية عالمية بلا منافس . ولأول مرة تصل أذرع

د. عبد المنعم سعيد

لا توجد أزمة.. وإنما خلافات طبيعية نتيجة كثافة العلاقات

وإدارة امبراطورية إلى أقصى أركان المعمورة . لم يحدث هذا الأمر في الامبراطورية البريطانية ولا الفرنسية ولا البرتغالية ولا الأسبانية ولا حتى السوفيتية . ويكفي أن تقرأ صحافة أمريكا لتجد كل يوم مقالا أو حديثا يرد فيه السؤال الآتي من أو ماهي الجهة المسئولة في أمريكا عما حدث أمس في كذا . هذه " الكذا" قد تكون البوسنة والهرسك ، أو انهيار اقتصاديات روسيا ، أو سقوط شيمون بيريز ، أو انفجار في قاعدة عسكرية بشرق السعودية .. الخ ، ثم إن من يتابع اجتماعات منظمة الدول الأمريكية يقرأ الرفض الجماعي لهذه الدول لغطرسة أمريكا بالنسبة لموضوع الحصار على كوبا . ومن يتابع اجتماعات القمة الصناعية يقرأ الرفض شبه الجماعي لغطرسة أمريكا بالنسبة لنفس القضية بالاضافة إلى حصار إيران وليبيا والتهييج الأمريكي ضد الصين ونقرأ أن هناك مقاومة شديدة في الصين وفي اليابان وفي الملايو وفي أندونيسيا وفي سنغافورة لهذه الغطرسة .**فلماذا لاتكون هناك مقاومة في مصر أيضا خصوصا وأن الغطرسة الأمريكية في الشرق الأوسط بلغت مدى بعيدا.**

نهاية العلاقات الخاصة

انتقل إلى المحور الأول حول:وجود أزمة أو لا أزمة في العلاقات المصرية الأمريكية . أتصور أن مايوجد هو محاولة من جانب الطرفين لتطبيع العلاقة بين الدولتين .**فالعلاقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السبعينيات كانت في أساسها علاقة غير طبيعية ، أو علاقة خاصة** .يجوز أحيانا أن يطلق عليها البعض تعبير **علاقة شراكة . أو علاقة توافق استراتيجي ، أو علاقة تحالف** وكلها تعبيرات تعني شيئا واحدا . تعني الاعتراف وأحيانا التمني أن تكون وتظل العلاقة من نوع خاص .**فالمعونة التي تحصل عليها مصر كانت الأعلى بعد إسرائيل ، وهذا في حد ذاته يجعلها علاقة شاذة أو بالغة الخصوصية**.فلا دولة في العالم يجوز أن تحظى بنفس مكانة إسرائيل أو الاقتراب منها كذلك كانت مصر في مقدمة الدول غير الأطلسية التي تدربت في مناورات مشتركة مع القوات الأمريكية . وقبل أن تصبح هذه المناورات نوعا من العلاقات الطبيعية بين الدول .

ثم أن **مصر تعهدت بأن تنقل حرفيا إن أمكن المبادئ الأمريكية في الاقتصاد في السياسة الداخلية** . وأن تقرد بالمشاركة - وان من موقع بعيد في المسئولية - حلفا اقليميا مناهضا للعراق .

ولاشك أن هذه العلاقة الخاصة قامت في السبعينات في وجود متغيرين رئيسيين . **الأول**: هو الحرب الباردة والصراع بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . وكان دور مصر في هذا الصراع مهماً - إن لم يكن حيوياً- بالنسبة للشرق الأوسط والقرن الأفريقي وكان لابد أن تقوم مصر باجراء تحولات جذرية في طبيعة علاقاتها بالاتحاد السوفيتي ، وتستخدم مكانتها الاقليمية لاخراج دول عربية وأفريقية من دائرة النفوذ السوفيتي . وكان

المقابل الفوري من جانب الولايات المتحدة هو الضغط على دول عربية لدفع قروض لمصر والنظر في دفع معونات أمريكية صغيرة الحجم ، ووضع برنامج للاحلال العسكري بعد التخلص من الاتفاقات العسكرية مع السوفيت.

المتغير الثاني الذي أرسى قواعد العلاقة الخاصة كان الصراع أو التسوية . المصرية الإسرائيلية . هنا استطاعت مصر أن تخترق بنجاح حاجز العلاقات الخاصة التي تقيمها أمريكا وتصبح هي نفسها طرفاً في علاقة خاصة ، يكون الهدف منها تفريغ الصراع من عامل العنف المظلم ، أي الحروب الاقليمية ، وضمان أمن إسرائيل واندماجها تدريجيا في المنطقة.



ولاشك أن **أصحاب منطق العلاقة الخاصة بين أمريكا ومصر شعروا مؤخراً أن العلاقة الخاصة استنفذت أغراضها . وبدأت فيما يبدو تعود بالضرر أكثر مما تعود بالنفع** .إذ لم يعد ممكنا على المسئولين المصريين الدفاع عن أنفسهم أمام الرأي

مصالح مصر وأمريكا تلتقي على رفض التغيير والوقوف ضد التيارات اليسارية والقومية والاسلامية

د. أحمد يوسف

هناك تصاعد في مؤشرات وجود خلاف مصري أمريكي في الآونة الأخيرة



تستطيع مصر أن تستغني عن المعونات المدنية والعسكرية الأمريكية

العام في مواجهة **الضغوط الأمريكية** المتعاقبة مثل ماحدث خلال مؤتمر منع انتشار الأسلحة النووية ، أو أثناء مناقشات حصار السودان في مجلس الأمن ، أو مناقشة مذبحة قانا في جنوب لبنان ، أو في موضوع تجديد بطرس غالي ، أو تريب أنباء عن غضب أمريكي شديد أو عقاب محتمل إذا استمرت مصر في الحصول على أجزاء من صواريخ سكود ، أو تطويرها محلياً.

وتعددت مواقع الخلاف بين الدولتين ،إذ **عادت مصر تحتل موقعاً في الصدارة بين الدول التي تصوت في المحافل الدولية خلافاً لنمط التصويت الأمريكي** ،وبذلك وقعت تحت طائلة قوانين عقوبات يأتي في مقدمتها عقوبة الحرمان من المعونات والتسهيلات ، وسمحت مصر بوصول طائرة تحمل التذاني مخالفة بذلك وبشجاعة ملحوظة قوانين الحظر والحصار ، ولم تخف مصر أنها لم تعد ترضى باستمرار تجويع شعب العراق ، ولا السلاح الفائق عن أي حدود الذي تتسلح به إسرائيل ، ولا بهرولة المهرولين . نقاط الخلاف كثيرة ومتشعبة وآخرها التأييد الأمريكي لانشاء حلف عسكري تركي إسرائيلي مع احتمال تمدده ليشمل دولاً عربية ويقال أن مصر رفضت الفكرة كلية ، . **لاتعني هذه الخلافات وجود أزمة بقدر ماتعني أن العلاقات الأمريكية المصرية تتطور لأن تصبح علاقات طبيعية تتلاقى مصالحها أحيانا وتتنافر وربما تتناقض في أحيان أخرى** . المؤكد في رأيي إن عهد العلاقات الخاصة بين أمريكا ومصر انتهى - أو كاد ينتهي.

لاتوجد أزمة في العلاقات

د. عبد المنعم سعيد

أبدأ أولا بسؤال عن معنى العلاقات المصرية الأمريكية .. وهل هي **علاقة بين دولتين تعبر عن كل دولة النخبة السياسية في كل منها** ،وبالتالي لاأدخل في حديثي عن العلاقات المصرية الأمريكية ، موقفاً يتعلق بأيديولوجية الدولة أو بوجود نفوذ - أوعدم نفوذ - جماعات داخلية فيها .. وإنما نتحدث عن مجرى التفاعلات التي تحدث مابين النخب التي تحكم فعلاً في كلا الدولتين ، وتعبر عن ذلك من خلال أدوات السياسة الخارجية المعروفة كوزارة الخارجية ، والتصريحات والبيانات .. إلخ

هذه **نقطة أولى** أود طرحها حتى نحدد محاور الحديث في هذه الندوة.

النقطة الثانية التي أريد أن أتحدث فيها هي :أنه عندما ندرس هذه العلاقة أو ننظر لها فلابد وأن ننتبها من الضوضاء فالعاملين في مجال الدراسات الاستراتيجية لكي يروا الصورة جيداً لا يدعون أنفسهم عرضة لتأثيرات ، مثل مقالات صحفية نشرت هنا أو هناك أو تصريحات عابرة قيلت في مجلس ما في ظروف ما . فمن المهم جداً لكي نرى القواعد الأساسية لهذه العلاقة أن نخليها قليلاً من الضوضاء ولكن نأخذ نمطاً للعلاقات - وليس مجرد تصويرها خلال نقطة زمنية محددة - فلابد ألا نكون أسرى اللحظة الآنية لأن سحب مايحدث خلال شهر أو شهرين على مجمل العلاقات فيه تجن وقابل للتغيير بعد فترة بسيطة أيضاً.

وفي تصوري أنه توجد أساسيات في العلاقة المصرية الأمريكية منذ السبعينيات وحتى هذه اللحظة ، إذا تخلصنا من حساب ماهو آت لحساب ماهو مستقر في العلاقات بين الدولتين .. وتقوم على عدد من الثوابت تنفي وجود أزمة حالية.

لقد حدث اتفاق بين النخب السياسية في الدولتين - أي رئيس الجمهورية أو من يعبر عن الدولة أمام العالم الخارجي - على عدد من الأسس التي مازلنا نعمل من خلالها منذ منتصف السبعينيات خلال فترة **الرئيس السادات** .

أولا - إن مصر وأمريكا من دول الأمر الواقع . وبالتالي فهما ضد **أي شكل من أشكال التغيير الجذري أو الثوري في المنطقة** .فمثلا كانتا ضد الشيوعية باعتبارها شكلاً من أشكال التغيير الجذري ومصر تحولت ضد الاتحاد السوفيتي وبدأ التلاقي في المصالح المصرية الأمريكية وكلمة المصالح هنا كما يحددها صانع القرار السياسي في البلد تقول أن الشيوعية تمثل تهديداً وبالتالي قامت الحكومة المصرية بسلسلة من الأعمال ضد الشيوعية

شنت حملة دعائية داخل المنظمات الدولية أو في منطقة القرن الأفريقي ضد **أثيوبيا** ،أو ضد **الصومال** في وقت من الأوقات أو في **أفغانستان** أو ضد أي خطاب شيوعي.

واتخذت نفس الموقف ضد التيارات **القومية الراديكالية الساعية للتغيير** ،سواء في**ليبيا أو العراق** أو حتى بدرجة من الدرجات في سوريا ،وكذلك بالنسبة **للتيارات الإسلامية المتطرفة** أو حتى التي تعرف بالمتطرفة - في إيران **أو السودان**.

نبيل زكى

الولايات المتحدة فرضت نوعاً من الرقابة على تسليح مصر

إذن يوجد تلاق فى المصلحة المصرية الأمريكية ضد الراديكالية ، و ضد التغيير بهذه المعانى سواء كانت يسارية أو قومية أو إسلامية.

ثانيا - التقاء مصرى أمريكى بدرجة كبيرة جداً على مايسمى بأمن الخليج.

أمريكا لها مصالحها المرتبطة بالنفط ويدخل فيها مسألة وجود إيران والعراق كقوتان للتغيير الجذرى.

وبالنسبة لمصر فالخليج دخل كعنصر هام بالنسبة للأمن المصرى وذلك منذ السبعينيات نتيجة **تواجد العمالة المصرية التى تقدر بالملايين بمنطقة الخليج ، وعلاقة منطقة الخليج بعوائد المصريين هناك ، وكذلك المعونات والاستثمارات الخليجية فى مصر ، وأيضاً ارتباط قناة السويس بالمنطقة ذاتها** ، وبالتالى كان هناك تلاق فى المصالح المصرية الأمريكية فيما يتعلق بموضوع الخليج.

أيضاً هناك التقاء على درجة كبيرة بالنسبة لموضوع **السلام فى منطقة الشرق الأوسط أو السلام العربى / الإسرائيلى** سواء كان ذلك يعبر عن مصلحة مصرية أو مصلحة أمريكية.

وبمعنى أخر فان استمرار الصراع العربى الإسرائيلى يعنى استمرار عدم إستقرار فى المنطقة . ويعنى أيضاً اعطاء **فرصة للقوى الراديكالية والثورية العنيفة لامكانية** إحداث تغيير بالعنف . ومن ثم فان موضوع السلام يحقق مصالح لمصر ربما تختلف فى نوعيتها . إنما السلام يمثل مصلحة مشتركة بين مصر وأمريكا.

أضف لذلك ظاهرة برزت خلال السنوات الست الأخيرة . يمكن تسميتها بالتوجه العالمى للعلاقات العامة مع الولايات المتحدة . الكل يسعى لعلاقات طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية والأعداء التقليديين للولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية . كألمانيا واليابان . أصبحا على علاقة طيبة منذ فترة طويلة مع أمريكا . بل وانتقل هذا التوجه إلى أعداء أمريكا خلال الحرب الباردة فى أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتى السابق . وحالياً فإن معظم دول العالم تقريباً تحاول التقارب مع الولايات المتحدة حتى الحالات السبع المعروفة والتى مازالت تقف خارج هذا التوجه وهى. كوريا الشمالية ، وسوريا ، والعراق ، وإيران ، وليبيا ، وكوبا فهؤلاء جميعاً فى حالة دفاع ، بمعنى أنهم يبررون تصرفاتهم دائماً على اعتبار أنها ليست بهذه الدرجة من السوء.

ثالثا - العلاقات الاقتصادية البحتة . فأمريكا هى أكبر شريك تجارى لمصر ، وهذا مرتبط بكونها صاحبة أكبر حجم معونة تقدمه دولة لمصر . والدولتان لهما مصلحة فى هذا الموضوع .

وهذه النقاط السابقة ترتب علاقات مصرية أمريكية أساسها - فى رأيى - متين

خلافات - طبيعية

اذن وعلى ضوء هذه الثوابت فالعلاقات المصرية الأمريكية هى علاقة بين الدولتين ، ممثلة فى صاحبى القرار بالبلدين ، يتم ترجمتها على المستوى الاستراتيجى الواسع بأشياء محددة .فهناك علاقات عسكرية واضحة يمكن أن تصل إلى حد التعاون فى مناطق معينة ، كما حدث خلال حربى الخليج الأولى والثانية ، وكذلك فى بعض الحالات فى منطقة القرن الأفريقى ، وتشمل أيضاً تعاوناً على مستوى كبير فى إطار المعلومات والتجهيزات .. الخ وبالتالى فالعلاقة بهذه المعانى إنما هى علاقة استراتيجية بالغة القوة.

فاذا كانت العلاقة بالمتانة التى أوضحتها وبما ينفى وجود أزمة ، فان هذه الكثافة للعلاقة بين الدولتين .. أمريكا كدولة عظمى ومصر كدولة إقليمية متوسطة .دولة على النظام الليبرالى الغربى ، ودولة ذات نظام " متمترط ".. لابد أن تؤدى إلى وجود مساحات للاختلاف .

ولو راجعنا مايحدث نجد أنه بمعدل زمنى كل ستة أشهر تقريباً نجد حالة من الحدة فى العلاقة سواء كان من جانب مصر أو من جانب أمريكا على مجموعة من القضايا :

ومن أهم هذه القضايا ، قضية السلام ومدى التقدم فيه فمصر تطلب دائما من



هناك خطر تبعية مباشرة لاسرائيل ما لم تتم وقفة موضوعية فى السياسة الخارجية المصرية

وفاء حجازى

استراتيجية أمريكا تقوم على الهيمنة.. والاستراتيجية المصرية تقوم على دور إقليمى طبيعى فى المنطقة

أمريكا أكثر مما تريد أمريكا أن تقدمه فى لحظة زمنية معينة . أو تطلب أمريكا من مصر أشياء أكثر مما تستطيع مصر تقديمه نتيجة وضعنا الإقليمى.

إذن يوجد هامش من الخلافات فى موضوع السلام ، وموضوع العلاقة مع دول التغيير مثل ليبيا والعراق ، وتوجد خلافات أيضاً فيما يتعلق بالوضع الداخلى - سياسياً واقتصادياً - فى مصر ، بمعنى أن الولايات المتحدة تعبر فى بعض الأحيان عن قلقها من ضآلة المدى الذى وصلت اليه مصر فى الإصلاح السياسى والاقتصادى وهذا يخلق خلافات لأن مصر لديها " أجندة" لعملية الإصلاح السياسى والاقتصادى مختلفة عن الأجندة الأمريكية فى هذا الإطار .

باختصار فان وجهة نظرى أنه لاتوجد أزمة فى العلاقات المصرية الأمريكية ، وإنما هناك خلافات طبيعية نتيجة كثافة هذه العلاقات.



عبد العال الباقورى

أعتقد أن وجهة نظر د. **عبد المنعم سعيد** أوجدت نوعاً من التحفز بالندوة ، ولكن عدم المقاطعة يطمئن بأن الأمور ستسير هادئة.

تصاعد الخلافات

د. أحمد يوسف

أبدأ بتحية اليسار على تنظيمه لهذه الندوة لما لهذا الموضوع من أهمية . وقد تعمدت طلب الكلمة بعد الاستاذ **جميل مطر** ، والدكتور **عبد المنعم سعيد** ، لأن الأستاذ **جميل** قدم إطاراً عاماً ممتازاً للدخول فى الموضوع ثم أعقبه د. **عبد المنعم سعيد** بالطرح الذى قدمه حول وجود توافق عام مع وجود هامش للخلاف.

أعتقد أنه من حيث المبدأ أتفق مع النموذج الذى قدمه د. **عبد المنعم سعيد** ولكنى سأتناوله بصورة عكسية. لقد ركز فى عرضه على المصالح والقواسم المشتركة فى العلاقات المصرية الأمريكية ، وسأحاول من جانبى توضيح أن هامش الخلاف الموجود عبر فترة زمنية معينة يفتح الباب لطرح موضوع الاختلاف بين السياستين الأمريكية والمصرية من الناحية الرسمية. ربما أنتهى معه إلى أن الموضوع لا يصل إلى المعنى الحاد للأزمة ولكنه قد يفتح لمثل هذه الأزمة.

فى أعقاب مرحلة الرئيس **جمال عبد الناصر** ومبررات هذه المرحلة، وبعد سنوات قليلة من بدء السبعينيات حدثت النقلة النوعية فى السياسة المصرية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، وترتب عليها- بكل الوضوح والصراحة- وجود علاقة خاصة بين مصر وأمريكا قائمة على توافق استراتيجى عام، كما يرى د. **عبد المنعم سعيد**.

ومن وجهة نظرى فان مصر فى عهد **الرئيس السادات** كانت تطالب بخصوصية أكبر ضمن الإطار الاستراتيجى. ولا يمكن إنكار انه منذ تولى **الرئيس مبارك** الحكم وهناك شئ جديد فى العلاقة المصرية الأمريكية. قد لا يكون غير من نوعيتها ولا من طبيعتها العامة ولكنه بالتأكيد شئ جديد. ففى إطار التوافق الاستراتيجى العام أصبح من الواضح أن هناك هامشاً واضحاً للخلاف ويمكننى القول بتعبير قريب مما قاله الدكتور عبد المنعم **أنه لا تكاد تمر سنة -وليس كل ستة أشهر- منذ أوائل الثمانينات دون أزمة محكومة فى العلاقات المصرية الأمريكية.**

وسأركز فى عرضى على مظاهر الاختلاف لأنى أعتقد أنها سوف تساعدنا على تشخيص الوضع الراهن ، فمثلا إذا أخذنا محوراً سياسياً بالنسبة لمؤشرات الخلاف سوف نجد انه منذ تولى الرئيس مبارك يوجد **خلاف واضح حول قضايا عديدة تتعلق بتصفية الصراع العربى الإسرائيلى وإطار التسوية.** فمصر كانت دائما مع المؤتمر الدولى «بينما» الولايات المتحدة كانت مع صيغة المفاوضات المباشرة. وهناك **خلاف حول الموقف من منظمة التحرير** ، فمصر كانت تلح على حوار فلسطينى - أمريكى، والولايات المتحدة الأمريكية كانت ترفض الاعتراف بالمنظمة. وهناك مثلا خلاف واضح ومستمر وثابت بالوقائع حول الموقف من القوات الأجنبية فى لبنان.

فالولايات المتحدة كانت ترى ضرورة انسحاب كافة القوات وخصوصا بعد الغزو الاسرائيلى للبنان سنة ١٩٨٢، ومصر كانت ترى ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية على أساس أن هذا يخلق المناخ المناسب لانسحاب القوات الاخرى.

مثال آخر يتعلق بالجانب الاستراتيجى ،فالولايات المتحدة الأمريكية كانت تتمنى أن يسمح لها بوجود قواعد عسكرية فى مصر. وكان موقف مصر من هذا الطلب شديد الوضوح. بدأ برفض فكرة القواعد مع

الخلل القائم فى العلاقات المصرية الأمريكية.. يصعب تصحيحه



اللواء / أحمد عبد الحليم

أمريكا تسأل.. ماذا بعد مبارك؟.









إمكانية التفكير فى تسهيلات عسكرية فيما لو طلبت احدى **الدول العربية ذلك . ويمكن شيئا فشيئا سقطت فكرة اعطاء تسهيلات عسكرية ولم يعد لها مكان فى السياسة الخارجية المصرية.**

وإذا كانت هذه القضايا تعكس هامشاً من الخلافات العادية التى لا يمكن أن نسميها «أزمة» فلا يمكن أيضا أن ننكر أنه عبر سنوات معينة جرت مجموعة من الاحداث التى يمكن اعتبارها «أزمات» مهما كانت صغيرة أو محكومة.

وأذكركم مثلا بالتسلسل التالى:

-فى عام ١٩٨٥ كانت أزمة **«الباخرة» « أو كيلو لاورو»** وكان فيها قدر من الصدمة للكرامة الوطنية المصرية..

-فى عام ١٩٨٧ كانت العمليات التى أصابت باصابات طفيفة عدداً من موظفى السفارة الأمريكية بمصر على يد **تنظيم ثورة مصر.**

- فى عام ١٩٨٨ قضية **اعتقال ثلاثة مصريين فى أمريكا بتهمة تهريب وقود يستخدم فى الصواريخ.**

وكان أحد أطراف هذه القضية عضو فى المكتب العسكرى المصرى فى الولايات المتحدة الأمريكية.

-فى عام ١٩٨٩ احتجاز قسطين من المعونة النقدية المباشرة الأمريكية لمصر على أساس أن مصر تتباطأ أكثر من اللازم فى عملية الخصخصة ،والاصلاح الاقتصادي.

-ورغم أن عام ١٩٩٠ شهد تدعيما للترافق الاستراتيجى الأمريكى المصرى بسبب الغزو العراقى للكويت والتحالف العسكرى المصرى الأمريكى ضد هذا الغزو إلا إننا نلاحظ ان هذا لم يغير من نموذج العلاقات المصرية الأمريكية وان الخلاف استمر بعدها حتى فى نفس قضية أمن الخليج. **فبعد أن حاربت القوات المصرية جنباً إلى جنب مع القوات الأمريكية رفضت مصر بوضوح بعض إطروحات السياسة الأمريكية فى منطقة الخليج، ورفضت صراحة الضربات الأمريكية الاضافية للعراق** مرة بتهمة محاولة اغتيال بوش ومرة بتهم أخرى.. إلخ.

- ورفضت مصر كذلك أى محاولة لتغير النظام العراقى وبدأت تحسن تدريجيا من علاقتها بالعراق نتيجة متغيرات عديدة. ولعبت دوراً مهماً فى مفاوضات النفط مقابل الغذاء.

-ورفضت مصر أيضا أن تكون مخزناً للأسلحة الأمريكية فى حالة تهديد الأمن فى الخليج.

الشئ الأخير هو تصاعد هذه المؤشرات الذى لا يمكن تجاهله فى الآونة الأخيرة.

وإذا كان الدكتور **عبد المنعم سعيد** قد ركز على جوانب الترافق الاستراتيجى وأشار أنه فى الاطار العام يمكن وجود هامش للخلاف) فقد قدمت تفصيلاً لهامش الخلاف هذا.

لكن الشئ الذى أود إضافته هو أن مؤشرات الخلاف تصاعدت فى الآونة الأخيرة ، وتحديداً فى الشهور الأخيرة بالاضافة للخلاف فى المنهجين المصرى والأمريكى حول بعض قضايا أزمة الخليج واذكركم **«بالخلاف الواضح من قضية تجديد معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية.**

مصر تختلف مع الدبلوماسية الأمريكية حول العقوبات على السودان الثابت اتهامه بمحاولة الاغتيال الرئيس مبارك.

ان مصر ترى ان العقوبات لا يجب ان تشمل وقف تصدير الأسلحة إلى النظام السودانى حتى لا يؤدى هذا لانفصال جنوب السودان.

هذه الأمور وكلها فى الواقع أمور ليست بسيطة ، ثم أخيرا القضية المفتعلة والسخيفة حول موضوع صواريخ سكود- ولا أتحدث فيها واللواء أحمد عبد الحليم موجود **معنا- ولكنها بالطبع تبين مدى وجود شئ غير طبيعى فى العلاقات الآن.**

حتى بالنسبة لموضوع المساعدات فقد طالها التوتر فى العلاقات فى الآونة الأخيرة لأول مرة منذ عدة شهور.

يقول وزير الخارجية المصرى السيد **«عمرو موسى»** ما معناه **«أنه إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية**

تنوى تخفيض المساعدات فان مصر مستعدة لذلك».

وفى مقال نشر فى إحدى المجلات المصرية منذ أيام لكاتب توجهاته تعتبر قريبة من توجهات الجهات المسئولة فى مصر يقول فيه بمنتهى الصراحة انه يعتقد **أن مصر بدون المساعدات الأمريكية ستكون أفضل منها بالمساعدة**، إذن حتى هذه القضية يبدو التوتر واضحاً فيها.

والخص كلامى انه مع اشترانى بوجود تفاهم استراتيجى مشترك وواضح فى العلاقة المصرية الأمريكية إلا أنه منذ بداية حكم الرئيس مبارك كان هناك هامش واضح للخلاف.

ولا أستطيع أن أحسم نسبته الآن لكنه يؤدى أحيانا إلى نشوب أزمات دورية ومحكومة فى العلاقة المصرية الأمريكية. إنما الشئ الذى ينبغى ألا تخطئه العين أن هذه المؤشرات فى الآونة الأخيرة بدأت تتصاعد وبشكل لافت للنظر ما يثير السؤال المشروع : هل من شأن هذه المؤشرات أن تؤدى إلى تفاقم معين فى العلاقة المصرية الأمريكية أم لا؟.

ان نموذج العلاقات المصرية الأمريكية يمكن تشبيهه بوجود مجريان، تصور أمريكى وتصور مصرى بينهما هامش مشترك وهامش خلاف لكنهما يسيران فى اتجاه متواز.

والسؤال الذى أطرحه هو: هل هذان المجريان يتجهان بعيداً عن بعضهما البعض، بما يعنى انه بدلا من وجود هامش للخلاف يمكن ان يكون هناك فرقة أو أزمة حقيقية فى العلاقات؟.

طبعاً السبب الأول الأصيل فى تقديرى لوجود هذه الأزمة ان ثمة خلاف بالضرورة بين منظور القوة العظمى لمصالحها والتى تتضمن مثلاً الضرب على يد القذافى ، ومعاقبة هذا النظام وعزل نظام آخر.. الخ وبين منظور القوة الاقليمية -وهى مصر- لمصالحها -التى تتطلب أموراً مغايرة.

السبب الثانى هو قضية إسرائيل فى المنطقة والعلاقة الإسرائيلية الأمريكية ، فجزء من الازمة الأمريكية هو الموقف الأمريكى المعتاد المؤيد لاسرائيل.

وفيما عدا هذا نجد أن النخبتين السياسيتين فى البلدين مترافقتين على أمور كثيرة.

-لا أريد أن أشغل نفسى كثيرا هل ما عبرت عنه من مؤشرات يمثل أزمة أم لا إنما النقطة التى أؤكد عليها هى أن مؤشرات الخلاف فى الآونة الأخيرة تختلف نوعيا عنها فى عقد الثمانينات وفى بداية عقد التسعينيات.

إننا الآن إزاء مؤشرات أكثر تصاعداً وأكثر سخونة فلأول مرة يشير رئيس **الجمهورية إلى مفهوم الضغوط منذ يومين فقط، ويقول «نختلف نعم، نتحاور ونتناقش ، ولكن ضغوط لا، بما يعنى بمفهوم المخالفة ، اعترافه بأن هناك محاولات لممارسة ضغوط على مصر. قبل ذلك** وجدنا مسئولة من «الترويكا» الاوروبية تخرج بعد لقائها مع الرئيس **مبارك** وتقول «**أنها لمست أن هناك احساساً بعدم العدالة والاجحاف بالنسبة للسياسة الأمريكية**».

إذن لا يمكن التهوين من التصاعد الذى حدث فى الآونة الأخيرة فى مؤشرات وجود خلاف مصرى أمريكى.

إصرار على فرض الهيمنة الاسرائيلية

أ. نبيل زكى

التوافق الاستراتيجى العام الذى تحدث عنه د. **عبد المنعم سعيد** لا خلاف عليه فى فترة سابقة وخاصة ما بعد توقيع **كامب ديفيد** ، ولكن فى تقديرى أنه قد طرأت تغيرات فى العالم وفى المنطقة جعلت مسار العلاقات الأمريكية المصرية بل الأمريكية العربية يختلف عن السابق نوعا، وتظهر بعض مشكلات فى هذه العلاقات لم تكن مطروحة من قبل.

الحدث العالمى هو **انهيار الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى.**

الحدث الثانى هو **حرب الخليج الثانية** وما ترتب عليه فى المنطقة من تمزق عربى شامل وعجز عربى كامل.

لقد تعاملت الولايات المتحدة من البداية مع المنطقة على أساس انها منطقة مصالح أمريكية ، حيوية ومنطقة صراعات وعدم استقرار ومنطقة تناقضات عديدة ناجمة عن اختلال فى توزيع الثروة والسلطات، ومنطقة مشاعر دينية ونزاعات ايديولوجية أحياناً.

والشرق الأوسط من وجهة النظر الأمريكية يعنى اسرائيل، وجيرانها أى أن محور الارتكاز هو اسرائيل وظلت الولايات المتحدة لسنوات تعتبر أن الموقف من اسرائيل يحدد طبيعة الموقف منها هى ذاتها أى الولايات المتحدة ومن يرغب فى إقامة علاقات ودية مع الولايات المتحدة لابد أن يبدأ باقامة علاقات ودية مع اسرائيل كذلك .وكانت الولايات المتحدة باستمرار تعتبر أن الشرق الأوسط هو ساحة لسباق محموم لامتلاك اسلحة دمار شامل كيميائية ، بيولوجية أو نووية .

بعد ذلك بدأت الولايات المتحدة تنظر للشرق الأوسط باعتباره ميداناً للإرهاب ، بل مركزاً رئيسيا للنشاط الارهابى. وأدرجت تحت عنوان النشاط الارهابى من يقاومون الاحتلال الاسرائيلى. ومن يلقون قنبلة أمام مسجد جامع الخازندار، وسوت بينهما!.

إن الشرق الأوسط من وجهة النظر الأمريكية كما عبر عن ذلك مسئول شئون الشرق الأوسط و الادنى فى مجلس الأمن القومى الأمريكى «**مارتن انديك**» بوضوح فى خطابه أمام **معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى فى مايو ١٩٩٣** قائلا:« إن الشرق الأوسط فى حالة توازن دقيق بين مستقبلين بديلين . **الأول** يتمثل فى سيطرة المتطرفين المرتدين لعباءة الدين أو الوطنية على المنطقة مستخدمين أسلحة الدمار الشامل المحملة على صواريخ بعيدة المدى. **البديل الثانى** مستقبل تحقق فيه مصالحة تاريخية بين اسرائيل وجيرانها العرب تمهد الطريق للتعايش السلمى والتنمية الاقتصادية والاتفاقيات الإقليمية واتفاقيات الحد من التسلح وتنامى الديمقراطية فى المنطقة.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى بدأت تظهر نظرية وجود تهديدات للمصالح الأمريكية فى المنطقة من أنظمة راديكالية وعلمانية ودينية على حد سواء.

بالطبع كان هناك عناصر ثابتة فى السياسة أو فى المصالح الأمريكية فى المنطقة وهى ضمان السيطرة على بترول الشرق الأوسط والحصول عليه بأسعار معقولة ودون

معوقات ، والمحافظة على أمن اسرائيل وبقائها ورخائها، وتشجيع ابرام تسوية للصراع العربي الاسرائيلي، على حد تعبير مارتن إنديك»

وقد استغلت الولايات المتحدة توفر فرصة فريدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج الثانية لإعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة باعتبارها -أي الولايات المتحدة- قوة دولية وحيدة تنفرد بالسيطرة وتتمتع بالقدرة على التأثير في مسار الأحداث للأول مرة في العصر الحديث- أو على الأقل منذ الخمسينات- نجد كل الأطراف تنظر إلى واشنطن وتتطلع إليها كوسيط ، يرجى منه أن يمارس نفوذه لحل المشاكل.

وفي تقديري أن حرب الخليج الثانية فرضت وضعاً جديداً في المنطقة ، وكذلك نجاح كلينتون وتولي ادارته قيادة العمل في الولايات المتحدة.

بالنسبة لادارة كلينتون ورثت عن الادارة السابقة وضعا عربيا متردياً بعد حرب الخليج، ومفاوضات جاهزة بدأت بالفعل في «مدريد» ، ان لم تكن ادارة كلينتون في حاجة لبذل مجهود لدفع العرب إلى طريق التفاوض لانهم دفعوا إليه بالفعل وبدأوا فيه.

كانت الأوضاع ممهدة أمام الولايات المتحدة لمواصلة سياسات الادارات السابقة وأدى الوضع الدولي الجديد وغياب أية أقطاب أخرى منافسة في المنطقة ، علاوة على حالة التردي والتمزق والعجز العربي ووجود تناقضات عربية لم يسبق لها مثيل في السنوات السابقة أدى ذلك إلى موقف أمريكي جديد انعكس على العلاقات المصرية الأمريكية. فبعد أن كانت هناك محاولات من جانب الولايات المتحدة للتوفيق بين العرب واسرائيل على أساس عدد من المبادئ مثل القرارين (٢٣٨، ٢٤٢) تحولت المسألة تدريجيا لسعي الولايات المتحدة لفرض هيمنة اسرائيلية مطلقة على المنطقة مع الحرص على استمرار حالة التمزق العربي. وأصبحت أية محاولة لاستعادة التضامن العربي بالنسبة للولايات المتحدة بمثابة تهديد للمصالح الأمريكية ولأمن اسرائيل.

وفرضت الولايات المتحدة نوعا من الرقابة على تسلح مصر، أتخذ أشكالاً مختلفة وكانت هناك محاولة بدأها بوش ولكنه لم يستطع ان يستكملها وهي عقد مؤتمر دولي في باريس لمراقبة التسلح في المنطقة، وهو المؤتمر الذي عارضته الصين في ذلك الوقت واعتبرته محاولة لفرض هيمنة امريكية على العالم، وواكب هذا أيضا محاولات مستمرة لإثارة مشاكل أمام نقل التكنولوجيا العسكرية المتطورة في مصر أو أي بلد عربي آخر. ولم تراع الولايات المتحدة أو تضع في اعتبارها هل الدولة المعنية التي تريد أن تطور قدرتها المسلحة وترفع مستوى آدائها القتالي أبرمت بالفعل معاهدة سلام مع اسرائيل أم لا ؟ لأنه **كان المطلوب - أمريكيا - ان يظل العرب وخاصة مصر في حالة ضعف عسكري ،** في الوقت الذي تحرص فيه الولايات المتحدة كما هو معلن على التفوق النوعي العسكري الاسرائيلي.

وفرضت الولايات المتحدة من خلال صندوق النقد الدولي إعادة هيكلة الاقتصاد المصري على أسس تضمن للولايات المتحدة ربط مصر بالعجلة الغربية.

وأصرت الولايات المتحدة على ما أسمته التعاون الاقليمي وبالتالي دفع كرة الشرق أوسطية ومحاولة ربط المنطقة والمصالح العربية اقتصاديا بمصالح اسرائيل.

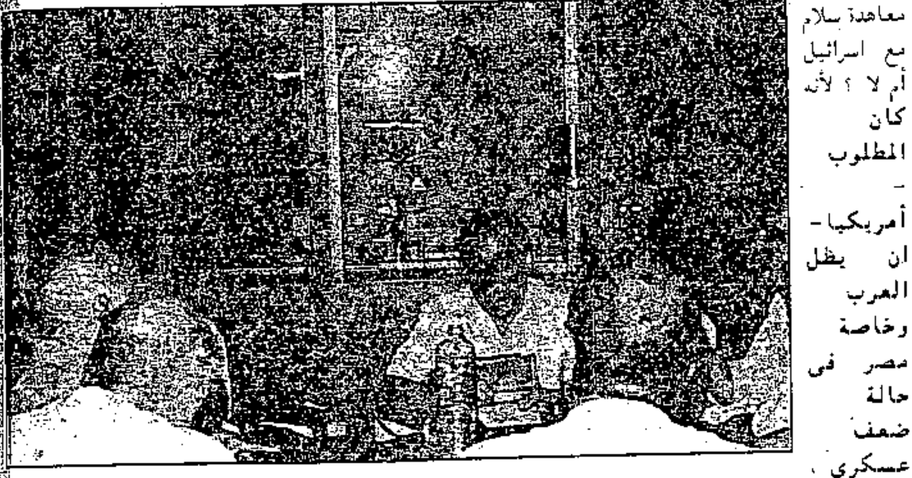
هناك أيضا مشكلة الموقف من العراق وليبيا والسودان ويضاف اليهم الآن سوريا.

استعرض هذه النقاط لأصل بعد ذلك إلى أنه توجد مسببات أزمة.

والسؤال: هل تصل هذه المسببات إلى أزمة فعلية؟

من الواضح أن التعسف الأمريكي ضد

حسين عبد الرازق مع ضيوف الندوة



هل هناك اتجاه أو رغبة لدى إدارة الرئيس مبارك لتعديل أسس العلاقات المصرية الأمريكية واقامتها على أسس جديدة؟

العراق انعكس سلباً على العلاقة الأمريكية المصرية. لقد شاركت مصر في حرب الخليج الثانية ووقفت ضد صدام وشبأت من أجل تحرير الكويت والاطاحة بالجيش العراقي من الكويت.. الخ.

لكن ما حدث بعد ذلك أقنع الجانب المصري أن الولايات المتحدة لا تسعى فقط إلى مجرد توقيع عقوبات على دولة اعتدت على الكويت ، وإنما هي محاولة لخصم العراق من رصيد القوة العربية لأجيال قادمة بحيث لا تقوم لهذه الدولة العربية قائمة لقرن كامل قادم إذا أمكن!!.

هناك قضية ليبيا ومعروف طبعاً وجود عمالة مصرية في العراق اضيرت بسبب الحصار المفروض على العراق وعمالة مصرية في ليبيا أيضا أضيرت بسبب الحصار الغربي لليبيا وشعرت مصر أنها بصدد أن تحاصر جنوباً أيضا من السودان. ومن هنا كان موقفها الذي حاول أن يخفف بقدر الامكان من العقوبات المقترحة والتي فرضت على السودان.

أيضا تحولت قضية الصراع العربي الاسرائيلي في بعض المواقف الامريكية إلى أنها قضية إرهاب وحدث خلط للأوراق باعتبار أن كل عمل مناوئ لاسرائيل هو إرهاب.

وتمت المساواة بين كل العمليات الارهابية الفعلية وبين المقاومة الوطنية للاحتلال في المفهوم الأمريكي. كان هذا مقصودا لكي تدفع إلى المقدمة في العلاقة الامريكية المصرية قضية ان مصر يجب ان تتخذ موقفاً حاسماً من الارهاب، والمعنى به العمل الفدائي الفلسطيني، وما أسمته واشنطن الدعم السوري للارهاب -أي المقاومة الوطنية اللبنانية- للتشويش على سوريا تمهيداً لطرح قضية توقيع عقوبات عليها إذا لم تكف عن تأييد المقاومة الوطنية اللبنانية. فاذا توقفت عن مساعدة المقاومة يحذف اسم سوريا من قائمة وزارة الخارجية الأمريكية التي تضم الدول التي ترعى الارهاب، واذا لم توافق توقع عليها العقوبات وهو ما طالب به نتنياهو خلال زيارته لواشنطن.

ومن المآخذ الأمريكية على مصر موقفها من ليبيا ومحاولتها التوسط لدى المجتمع الدولي لرفع الحصار. والتأييد المصري لسوريا. فالولايات المتحدة الأمريكية تريد من مصر أن تلعب دوراً اقرب إلى الموقف الاسرائيلي منه للموقف السوري أو على الأقل تمتنع عن التأييد للموقف السوري بالكامل كما هو حادث الآن وكل هذه القضايا من مسببات الازمة. علاوة على ما أشار إليه د. أحمد يوسف بخصوص قضية صواريخ «سكود» وطائرة القذافي، اضافة للاتهامات **الجاهزة لسوريا بأنها تشيد في حلب مصنعاً على نمط مصنع «ترهونة» للأسلحة الكيماوية ،وهذه قضية سيتم طرحها في الأيام القادمة لتبرير تكريس الاحتلال الاسرائيلي للجولان ،وإنهاء فكرة التفاوض على الانسحاب من الجولان.**

ومن الطبيعي أن نضع كل هذه الحقائق تحت عنوان إصرار الولايات المتحدة على فرض الهيمنة الاسرائيلية الكاملة على المنطقة لأن القضية ليست قضية تحالف استراتيجي أو الاتفاقية الأمنية التي أبرمت أخيرا، وإنما القضية انه لأول مرة في تاريخ العلاقة الأمريكية الاسرائيلية هناك اتفاقات تتعلق بوضع التكنولوجية العسكرية الأمريكية تحت تصرف اسرائيل وتطوير مشترك لأنواع متقدمة من الصواريخ وغيرها من أدوات القتل.

نأتي إلى موضوع المعونات الأمريكية لمصر، والتلويح من وقت لاخر بوقف هذه المعونة ، وتصدر هذه التلميحات من الادارة الامريكية ومن دوائر معينة في الولايات المتحدة ،وتحرص اسرائيل على أن تبلغ مصر أن اللوبي اليهودي هو الذي له هذا الفضل في استمرار هذه المعونة حتى الآن.

في تقديري أن كل هذا صنع مسببات الأزمة، وبالتالي وضع العلاقة الأمريكية المصرية على مسار مختلف. وهناك فقدان ثقة في الجانب المصري تجاه الولايات المتحدة في إطار التوافق الاستراتيجي العام.

هناك صدمة لدى الدبلوماسية المصرية من السياسة الأمريكية تجاه مصر.

وهناك محاولة مصرية للافلات من الفلك الأمريكي يتمثل في التوجه إلى أوروبا والسعي لتدعيم العلاقات معها، وأيضا مع الصين ، وحتى مع روسيا



عبد العال الباقوري يدير الحوار

هل تملك الادارة المصرية القدرة على تغيير طبيعة العلاقات مع أمريكا في ظل الروابط الاقتصادية والعسكرية والسياسية غير العادية

«يلتسين».
هل توفر مسببات الأزمة هذه يمكن أن يصنع أزمة بالفعل؟.

في تقديري ان هذا **يتوقف على أوضاع داخلية في مصر ولا يتوقف على الولايات المتحدة.** لان سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه مصر كفيلة بصنع أزمة وصدام، خاصة وأن هناك فكرة أمريكية يتم إحياؤها تقول أن هناك عودة إلى شكل من أشكال الناصرية في مصر، فمجرد توجه مصر للعودة لدور في العالم العربي من خلال موقف مناوئ للتوسع الاسرائيلي تعني العودة لسياسات سابقة عفا عليها الزمن -من وجهة نظر الولايات المتحدة- لأنها تمت بصلة ما إلى المرحلة الناصرية.

على الجانب الآخر هل يستطيع نظام الحكم في مصر تحمل المواجهة السياسية أو الدبلوماسية مع الولايات المتحدة إن هذه المواجهة تتطلب اجراءات لم تتخذ على الاطلاق وغير مطروحة في مصر حتى الآن. على سبيل المثال الاكتفاء الذاتي من القمح. قيل أنه صدرت تعليمات لبعض الأجهزة الحكومية بتدبير أحوالنا في حالة قطع المعونة ،ولكنني أشك في جدية أن يكون هذا الكلام قد تم تنفيذه.

مرة أخرى .. هل يملك الحكم القدرة على هذه المواجهة والتعامل مع أزمة في العلاقات المصرية الأمريكية؟.

تحرير الادارة المصرية

وفاء حجازي

استوقفتني عبارة «**التوافق الاستراتيجي**».

ما هو المقصود بهذا التوافق الاستراتيجي؟.

اتفاق بين أنظمة أم ارتباط بين مصالح.

هذه مسألة من المهم جدا معرفتها حتى يمكن القول هل هناك توافق استراتيجي أم لا؟.

النقطة الثانية ، أن اجتماعنا اليوم في هذه الندوة يعكس وجود شئ ما في الأفق يتعلق بالعلاقات المصرية الأمريكية ويثير كثيراً من الغيوم في هذه العلاقات وقد وقع في توقيت معين في أعقاب حدث هام جرى وهو انعقاد مؤتمر القمة العربي بعد مرور ست سنوات.

وأسأل نفسي اذا لم يكن قد تم عقد هذا المؤتمر فهل كان هناك مجال للحديث عن وقوع أزمة؟ هل كان كريستوفر سيحضر إلى المنطقة ويثير موضوع صواريخ «سكود»؟.

أمامي قائمة تضم خمسة عشر موضوعا للخلاف بين الولايات المتحدة الامريكية ومصر، منها مصنع ترهونا ولوكربي وقضية الارهاب في سوريا.. الخ.

في تصوري أن **الأزمة التي وقعت أوما نسميه بالازمة تقع في توقيت معين يرتبط بانعقاد القمة العربية.** الغريب أن موضوع الازمة (صواريخ سكود) ليس له علاقة بالموضوع المباشر فكريستوفر وزير خارجية الولايات المتحدة لم يثر قضية تتعلق بموقف القمة أو بيانها، ولكنه تحدث في موضوع آخر تماما.. هو القول بحصول مصر على صواريخ سكود من كوريا. ما دخل هذا بالمؤتمر؟ وما علاقة هذا الحدث بذلك الاعتراض؟.

بالطبع ليس صواريخ سكود هي الموضوع، فالسبب الحقيقي للأزمة أو الخلاف أو المشكلة المصرية الامريكية هو أن مؤتمر القمة شارك فيه رؤساء ٢٢ دولة عربية أو ممثليهم . ولم تحدث الازمة بين أمريكا والسعودية أو أمريكا والكويت وانما وقعت بين أمريكا ومصر بصفتها الدولة التي اجتهدت لكي تحقق هذا الاجتماع.

من المهم جدا تشخيص الواقع بطريقة سليمة وأن نرد الظاهرة إلى أصولها . فالخلاف لو دارحول سياسات فمن السهل جدا تصحيحها لأن السياسات قابلة للتغيير، إنما **اذا كان هذا الخلاف مصدر تعارض أو تناقض وعدم توافق في الخطوط الاستراتيجية تكون المسألة صعبة جدا.**

الخلافات السياسية يمكن التغلب عليها من خلال جهود دبلوماسية إنما حينما تكون القضية أو الازمة ناشئة نتيجة تناقض وتعارض بين مصالح تخص دولة ومصالح تخص دولة أخرى. فالطبيعي أن يفرض الصراع نفسه على العلاقات بين البلدين . بالنسبة لموضوعنا- العلاقات المصرية الأمريكية- فقد تعرضت لازمات كثيرة من قبل ، وذلك نتيجة **عدم التوافق الاستراتيجي بين مصر والولايات المتحدة الامريكية.**

هناك فجوة لابد من الاعتراف بها وهي بؤرة مرضية ستفرز في كل وقت أزمة اليوم وغدا . سيتغير موضوع الازمة .. مرة حول ليبيا وأخرى حول العراق أو إعلان دمشق .. الخ.

فالخلل موجود في العلاقات الاستراتيجية وهو خلل يصعب تصحيحه لو كان هناك توافق استراتيجي بين مصر وامريكا كما قيل فبماذا نسمي العلاقات بين أمريكا وإسرائيل.. سوبر توافق؟!.

ان هذا التوافق الاستراتيجي بين مصر وأمريكا لا يعدو أن يكون نوعاً من التصور أكثر منه حقيقة . نعم يوجد توافق في السياسات بين حكومة مصر والولايات المتحدة .. ولكن أيضا يوجد خلل وتعارض استراتيجي بين البلدين.

ولهذا السبب نعود دائما من حيث نبدأ مع كل مشكلة تصادفنا. ولو كان هناك توافق استراتيجي لتراجعت الخلافات والازمات. يستحيل القول بوجود توافق استراتيجي بين مصر وأمريكا والأمن القومي المصري مهدد من مصدر تموله أمريكا بكل وسائل التهديد مثل الترسانة النووية الموجودة في اسرائيل ومصدرها الأول الولايات المتحدة التي وقفت ضد جهود مصر لاخلاء المنطقة من السلاح النووي.

هذا الخلل الاستراتيجي في العلاقات المصرية الأمريكية يعود إلى أن **استراتيجية الولايات المتحدة في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط عموماً تتأسس على فكرة الهيمنة. بينما الاستراتيجية المصرية في ظل أى نظام للحكم، سواء كان عبد الناصر أو السادات أو مبارك تتأسس على دورها الاقليمي وبصفتها طليعة القوى القومية في المنطقة.** والتعارض الدائم بين الاستراتيجيتين هو مركز الصدام حتى لو تم تناسيه أو تجاهله شهرا أو حتى ست سنوات كما حدث بعد حرب الخليج وحتى انعقاد القمة. فبمجرد وقوع أحداث كبيرة تفرض هذه الحقيقة نفسها وتذكرنا أن هناك

تعارضاً وتناقضاً اساسياً ورئيسياً وجذرياً بين المصالح المصرية -ولا أريد الدول العربية- وبين المصالح الأمريكية.

وأزعم أن أمريكا تدرك هذه الحقيقة أكثر من ادراكنا لها. ومعظم السياسات التى توافقنا فيها مع أمريكا هى السياسات التى تنحى مصر عن القيام بقيادتها للمنطقة ولم **يكن من قبيل الصدفة ان السادات حينما أعلن أن ٩٩٪ من اوراق اللعبة فى يد امريكا وتم عزل مصر عربيا وتوقيع مصر لاتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل كان العصر الذهبى فى العلاقات المصرية الأمريكية** وتم اعتماد المعونات وتزويدنا بالأسلحة الأمريكية. ما يحدث الآن يشير إلى وجود خلل عميق ومرض متوطن فى العلاقات الاستراتيجية بين البلدين فرغم عمق هذه العلاقات والذى الذى وصلت إليه منذ عام ١٩٧٤ وحتى الآن، أى خلال ٢٢ عاما، استحال اصلاح الخلل الأصيل فى هذه العلاقة.

أيضا فان التوافق الاستراتيجي ليس توافقا بين أنظمة ولكنه توافق بين أوضاع ومصالح وحقائق تفرض نفسها على الدول التي تقوم بهذه السياسات.

مثلا حينما تغير نظام حكم عبد الناصر بنظام حكم السادات أمكن لمصر أن تدخل فى علاقات جيدة مع أمريكا ولما تغير النظام فى إسرائيل من «بيريز» إلى «نتنياهو» لم يحدث أى تغير أو تأثر فى السياسة الامريكية لأنها قائمة على مصالح دائمة وعميقة وعلى ارتباط أستراتيجى أبدى، وطويل المدى انما النظام فى مصر فى مرحلة من المراحل حينما كان يقود المد القومى وكانت أمريكا تتبع سياسة معارضة ومجافية تماماً لهذا النظام.

وحينما قال السادات ان ٩٩٪ من اوراق اللعبة فى يد أمريكا أصبح الوضع معها مثل «السمن على العسل» وحينما أتى حسنى مبارك بدأ ينسحب من هذا الوضع المنحاز تماماً لأمريكا.

الحقيقة التى لا تقبل الجدل هى أن المشكلة الحقيقية بين مصر والولايات المتحدة هى خلاف حول قضية استراتيجية وخلاف حول الدور الذى تقوم به أمريكا فى المنطقة وتعارضه جوهريا مع الدور المفترض ان تقوم به مصر فى المنطقة والتى قامت به فعلا فى الماضى وتعود حاليا إلى ممارسته وهو دور يفرض نفسه على أى قيادة سياسية الآن أو فى المستقبل.

تحدث الاستاذ **نبيل زكى** عن محاولات مصرية للافلات من الفلك الامريكى وأنا اتفق معه. لكن هذه المحاولة تواجه صعوبات هائلة فى ظل الظروف السائدة نتيجة للسياسات الممارسة خلال العشرين سنة الماضية والتى جعلت الادارة المصرية مكبلة ولا تستطيع الافلات بسهولة.

هناك احساس وادراك أن مصر أصبحت مقيدة بمجموعة من العلاقات والقيود لابد من التحرر منها هناك الآن ادراك لوجود تناقض فى المصالح بين مصر والولايات المتحدة وكل ما يحدث الآن هو تكرار لأزمات سابقة واعتقد أنه مقدمة لازمات قادمة طالما لم يتم تصحيح هذه العلاقات.

عبد العال الباقورى

واضح من الحوار حتى الآن أن هناك خلافاً واضحاً حول وجود أو عدم وجود اتفاق استراتيجي فى العلاقات المصرية الأمريكية.

قدم **د. عبد المنعم سعيد** نموذجا متكاملاوانتهى من عرضه إلى أن هناك توافقا استراتيجيا. **السفير وفاء حجازى** يطرح رؤية مغايرة. وأعتقد أن الخلاف فى هذه النقطة يمكن أن يفتح الباب لمناقشات طويلة وأعتقد أن **سيادة اللواء أحمد عبد الحليم** لديه ما يضيفه فى هذا الشأن.

ترتيبات مرحلة السلام

اللواء/ أحمد عبد الحليم

أبدأ تدخلى بجزء نظرى انتقل منه إلى الموقف العملى.

وبعيدا عن أى نوع من أنواع التنظير فالازمة قد تحدث نتيجة لظروف قهرية جبرية تجبر اطراف معينة على التواجد فى موقف ما تتعامل معه فى ظل ندرة موارد.. وقد تكون الأزمة نتيجة تخطيط استراتيجي طويل المدى. تحدث الدول الازمة من أجل تصحيح مسار ما للوصول إلى نتائج ما لذلك ففى اطار العلاقات الدولية ما يعتبر أزمة لطرف قد لا يعتبر أزمة لطرف اخر طبقا لهذه الرؤية.

من الناحية الواقعية - وبعيدا عن التنظير -أريد تناول موضوع العلاقات المصرية الامريكية من لحظة تسبق التوقيت الذى حدده السفير وفاء حجازى عندما تحدث عن الازمة المرتبطة بانعقاد القمة العربية فى القاهرة.

الازمة (أو الخلاف) فى العلاقات المصرية الامريكية بدأت منذ عامين تقريبا وبالتحديد فى أواخر شهر أبريل وأوائل مايو ١٩٩٤ ففى خلال لقاء مصرى أمريكى عبر الجانب الامريكى عن مواقف تتعلق بالأوضاع الداخلية فى مصر وتثير قلق الادارة الأمريكية، وكذلك أوضاع خاصة بالعلاقات المصرية الأمريكية.

ارتبط القلق الأمريكي بموقفين محددين: الأول هو تصاعد الارهاب فى مصر وكان عام ١٩٩٤ من أسوأ الاعوام بالنسبة لهذه الظاهرة.

طرح تساؤل أمريكي واضح..

هل يستطيع النظام المصرى أن يصمد فى مواجهة هذه العمليات الارهابية أم أن هناك عناصر أخرى يمكن أن تطفو على السطح وبالتالى كان من ضمن ما لمح إليه الطرف الأمريكى أنه حريض على اقامة علاقات مع كل القوى الداخلية فى مصر استعدادا لأى احتمال. فالولايات المتحدة الأمريكية قوة عظمى ويجب أن تكون مستعدة لكافة الاحتمالات.

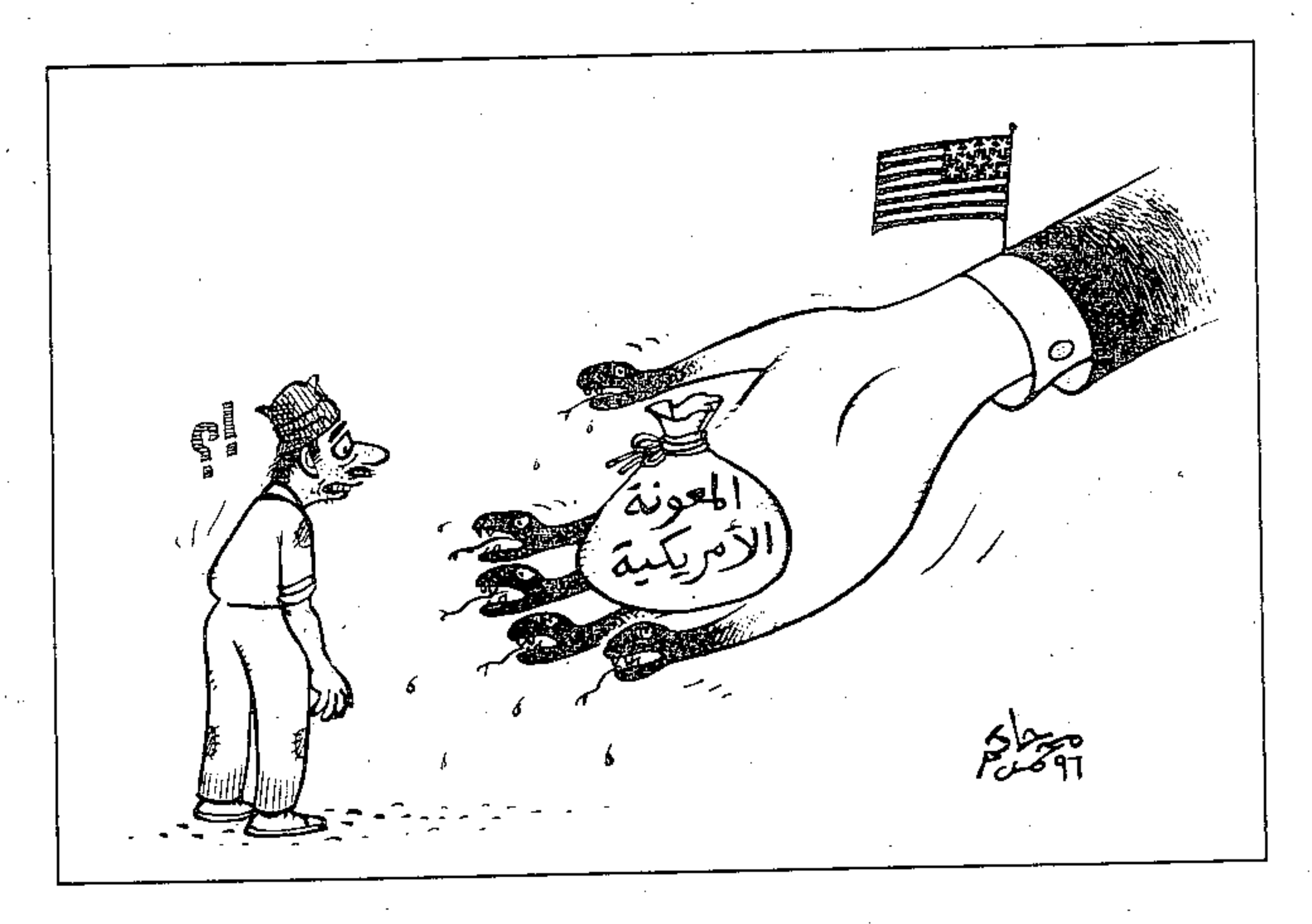
النقطة الثانية المحددة، أنه مع بدء دخول مفاوضات السلام إلى المراحل النهائية لا يوجد فرصة لمناورات كثيرة، ويتطلب الأمر التعبير الواضح عن مجموعة من النقاط النهائية المفترض أن تصل إليها عمليات السلام.

وقد أصبح الأمر واضحا تماما خلال هذا العام. كان مقررا أنه فى مايو ١٩٩٦ سيتم التفاوض حول الوضع النهائى بالنسبة للقضية الفلسطينية.. مستقبل منطقة الحكم الذاتى (الدولة الفلسطينية) القدس، اللاجئين، المستوطنات، الحدود..

وانطلاقا من هاتين الحقيقتين، الوضع الداخلى فى مصر، والمرحلة الجديدة -النهائية- للتسوية السلمية، بدأ الجانب الأمريكى طرح مجموعة من الأسئلة.

هل هناك صيغ جديدة للعلاقة المصرية الأمريكية؟.

هل يمكن تعديل العلاقة التى كانت قائمة



فى ذلك الوقت إلى نوع اخر يتجاوب مع متطلبات المرحلة الجديدة؟.

هل هناك اطراف داخلية أخرى ذات قوة يمكن للولايات المتحدة أن تتعامل معها؟.

وأشاروا هنا بالتحديد إلى نقطتين رئيستين.

طرحوا سؤالا مباشراً .. **ما هو الجيل المستقبلى الذى سيتولى الحكم بعد الجيل الحالى؟.**

فى الوقت الحاضر هناك مجموعة من الافراد يحكمون مصر. هذه المجموعة ثابتة لحد كبير والتغيرات فيها تحدث بشكل بطئ للغاية.

وبالتالى هناك سؤال حقيقى عن الجيل الذي يمكن أن يحل فى توقيته الطبيعى وليس بالضرورة عن طريق الانقلاب أو التغيير المفاجئ محل الجيل الحالى فى مرحلة زمنية محددة.

كانت هناك إشارات أمريكية واضحة لمن أسموهم **المصريين فى الخارج** وهؤلاء لهم- من وجهة النظر الأمريكية - ميزتان:

أولا: ميزة سياسية نتيجة تواجدهم على الساحة الدولية. وبالتالى فرؤيتهم للأوضاع الدولية أفضل من جيل موجود داخل مصر، ولم يتعامل مع الساحة الدولية وأطرافها المختلفة.

ثانيا: المصريون فى الخارج يملكون أموالا يمكن تحويلها داخل مصر تغطى ديون مصر وتحل محل المعونة الأمريكية وتوقف مصر اقتصاديا على قدميها.

كانت أسئلتهم بوضوح ماذا بعد مبارك؟ ومن سيتولى بعده لوحدث أى شئ، خاصة أنه لا يوجد نائب له؟.

على الجانب المصرى كان هناك أيضا تفكير جديد. وأستطيع القول بثقة شديدة أنه منذ عام ١٩٩٤ **ومصر تضع فى ذهنها احتمال انتهاء المعونة الأمريكية نهائيا.** أن الموقف المصرى منذ ١٩٩٤ يقوم على أساس أن المعونة الأمريكية هامة ونافعة ، ولكنها يمكن أن تشكل نقطة ضغط سياسية على الموقف المصرى. واذا استخدمت فى هذا الاطار فمصر تستطيع الاستغناء عن هذه المعونة؟.

انتقل إلى عنصر آخر يؤثر على هذه العلاقات فيتحيل النظر فى العلاقات المصرية الأمريكية متجاهلين تأثرها الشديد بالعلاقات مع اسرائيل.

هناك قضايا أو محاور فى العلاقات مع اسرائيل تم حليا ، وأخرى تأجل حلها إما لارتباطها بالوضع النهائى الفلسطينى، أو نتيجة للمشاكل مع سوريا ، أو الوضع فى لبنان.

والمطلوب الآن- أمريكيا- كما سبق أن قلت صورة واضحة تماماً لا لبس فيها

لعلاقات القوى فى المستقبل.

لو نظرنا لمعادلة التفاوض سنجد أن هناك معادلات للقوى ، هذه المعادلات تسند كل طرف من أطراف التفاوض. نتائج هذه المفاوضات ستعبر تعبيرا واضحا عن حجم القوة التى تسندها.. ويمكن القول أن القوة فى يد الطرف الأمريكى الاسرائيلى، وبالتالى **تشكل العلاقات الجديدة يجب أن يتجه بكل اطراف المنطقة لقبول تصورها موجود فى الذهن الاسرائيلى اساساً مدعوما بالموقف الأمريكى بهذا الخصوص.**

أيضا **نقطة ثانية** يجب وضعها فى الاعتبار ان الولايات المتحدة الأمريكية هى القوى العظمى الوحيدة الآن على رأس العالم وهذا يدفعها إلى أمرين محددين.

فنحن تعلم أن هذا الوضع ليس وضعاً مستديما انه وضع غير طبيعى وهناك قوى تنمو ، وفى مرحلة ما ستبرز مجموعة من القوى التى يمكن ان توازن القوة الامريكية وبالتالى هذا يدفعها إلى أمرين تحديدا.. الأول سرعة ترتيب الأوضاع العالمية وسرعة ترتيب المناطق الاقليمية بما يتمشى مع المصالح الأمريكية. قبل بروز القوى الاخرى. الأمر الثانى يعود بنا إلى **مبدأ نيكسون ففى أعقاب الحرب الامريكية غير الناجحة** فى **فيتنام** قال **نيكسون** ان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تمارس دورها العالمى بمفردها وبالتالى هناك ثلاثة مبادئ رئيسية يجب أن يضعها الامريكيون وكل حلفاء واصدقاء الولايات المتحدة فى اعتبارهم. وهى: **القوة والمشاركة والتفاوض.**

القوة من منطلق ان الولايات المتحدة الامريكية هى التى تملك القوة الاستراتيجية لحماية نفسها/اصدقائها . ودور أصدقاء وحلفاء الولايات المتحدة هو المشاركة فى توفير الافراد والدعم المادى للقوة.

ومن هاتين النقطتين يمكننا الدخول فى عمليات التفاوض .

وما يحدث الآن فى المنطقة من عمليات تفاوض ، مبنية على اطار القوة واطار المشاركة والمشاركة هنا فى كمية الأموال التى دعمت بها الدول العربية الولايات المتحدة الأمريكية فى العمليات الأخيرة. هذه نوع من المشاركة المطلوبة أمريكيا.

ومبدأ **نيكسون** مع ظروف وجود الولايات المتحدة قوى عظمى وحيدة على رأس العالم تتطلب منها أن تختار دولة فى كل منطقة اقليمية تعتبرها **الدولة الاقليمية العظمى** التى تعتبر نواة للسياسة الامريكية فى المنطقة.

وفى منطقتنا **اسرائيل هى هذه الدولة الاقليمية العظمى.**

ووجود هذه القوة الاقليمية (العظمى) يتطلب انشاء مجموعة من الاحلاف تكون نواتها هذه القوى.

وقد طلبت الولايات المتحدة من مصر أن يكون هناك نوع من التفاهم أو التوافق الاستراتيجى بين مجموعة من دول منطقة الشرق الأوسط محورها اسرائيل ومصر.

وذلك على المستوى السياسى **وطرحوا بصورة مباشرة تكوين حلف دفاعى يضم اسرائيل ومصر.**

والسؤال هنا.. هذا الحلف ما هى وظيفته وضد من؟.

كان المنطق الذى طرحته الولايات المتحدة أن مصر تثير دائما قضية الترسانة النووية الاسرائيلية.

مع قيام الحلف الذى يضم مصر واسرائيل **، تتغير بالضرورة طبيعة القوة النووية الاسرائيلية من كونها تمثل تهديدا لدول فى المنطقة ، لتصبح مظلة لهذا الحلف الدفاعى ولكل الدول الداخلة فيه، بما فيها مصر.**

أما التساؤل حول العدو أو الخصم الذى يتوجه ضده هذا الحلف.. فقد اشارت الولايات المتحدة بوضوح إلى **ايران.**

وكان رد مصر ان ايران طرف أو خصم رئيسى لكم ولكنها ليست كذلك بالنسبة لنا.. لدينا مشاكل مع ايران وهى مشاكل بين ايران ودول عديدة أيضا فى المنطقة ولكن لنا أيضا تاريخ وعلاقات مشتركة مع ايران. **والمشاكل الحالية فى العلاقات الايرانية العربية يمكن التغلب عليها فى مرحلة ما.**

وفى جميع الاحوال لا يمكن اعتبار ايران هى الخصم أو العدو الرئيس لنا وبالتالى اعتباره الخصم الرئيسى لحلف دفاعى يضم مصر مع اسرائيل ودولاً أخرى فى المنطقة.

وجاء الرد الأمريكى الاسرائيلى المباشر على مصر فى شكل اتفاقية الدفاع بين تركيا واسرائيل.

وهذا هو المغزى الحقيقى لهذه الاتفاقية.

فبالاضافة إلى أنها تمكن الطيران الاسرائيلى من استغلاله مساحة واسعة للتدريب أو استغلال قواعد قريبة من سوريا والعراق وامكانية استغلالها ضد ايران سواء فى اطار استراتيجى اسرائيلى ، أو فى اطار استراتيجى أوسع كالاحتواء المزدوج الذى قال عنه «مارتن انديك» .. فان هذا الحلف كان الرد المباشر على رفض مصر الدخول فى مثل هذه الاحلاف.

وللرئيس مبارك كلام واضح فى هذا الشأن.

فقد أعلن أن مصر لا تؤمن باقامة أحلاف فى المنطقة فالاحلاف توجد محاور والمحاور توجد خلافات ونحن فى مرحلة السلام.

بعد هذه الحقائق كلها أصل إلى السؤال المطروح فى هذه الندوة.. هل هناك أزمة فى العلاقات المصرية الأمريكية؟.

كلمة أزمة كلمة مثيرة للجدل.. ولكن المؤكد أن هناك رغبة أمريكية لاعادة ترتيب المنطقة لصالح اسرائيل .. وقد وصلنا إلى مرحلة لا مجال فيها للمجاملات. فالمطلوب ترتيب الأوضاع طبقا لما تريده اسرائيل وأمريكا.

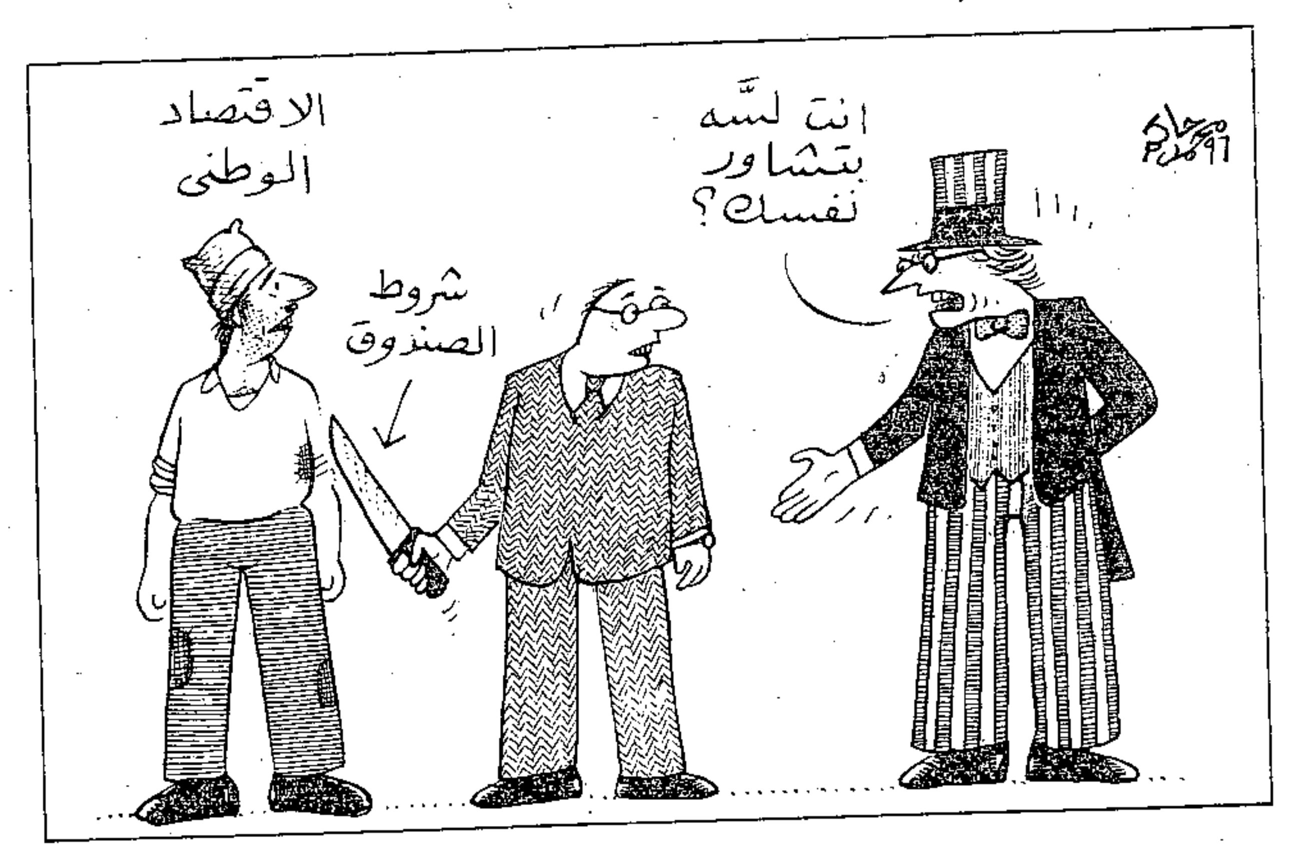
وما تقوم به مصر ، سواء فى عقد القمة العربية أو تصريحات عمرو موسى، أو فى الاعلام فهو محاولة مصرية- ناجحة حتى الآن- فى مواجهة هذه الترتيبات وعينها على قضية هامة أثيرت منذ ثلاث سنوات حول احتمالات الصراع فى اعقاب عقد اتفاقيات السلام؟.

ويبقى السؤال قائما هل هناك أزمة أم لا وأنا لا أستطيع الاجابة على هذا السؤال؟.

جميل مطر

هناك بعض التعليقات السريعة لا أتصور أن العلاقة وصلت إلى درجة الازمة وما اتصوره هو وجود علاقة خاصة بين مصر وأمريكا تبدو الآن أنها تصل إلى نهايتها.

هناك محاولة من الطرفين لتطبيع العلاقة الخاصة التى قامت فى السبعينات لسببين.. ظروف الحرب الباردة. فكما أشار. **عبد**



المنعم سعيد كان هناك نوع أو شكل من أشكال الاتفاق الاستراتيجى أو الموافقة الاستراتيجية على محاربة السوفيت فى المنطقة . وكان مطلوباً من مصر فى اطار الصراع العربى الاسرائيلى أن تقوم بدور معين خلال السبعينات واجزاء من الثمانينات.

هذا الجزء من العلاقة الخاصة يصل إلى نهايته.

الأزمة فى رأيى أو ما أسميه أنا بالانقطاع الحاد موجود داخل كل سياسة على حدة. فهناك أزمة فى السياسة الخارجية الأن- وأنا هنا أستعمل تعبير **«هنرى كسينجر»** الذى قاله منذ أسبوعين فى مجلة **«نيوزويك»** وأنا من ناحيتى أزعم وجود أزمة مشابهة فى السياسة الخارجية المصرية وما نراه الآن من خطاب سياسى جديد ومعلن من قبل السياسة الخارجية المصرية إنما هو دليل وجود أزمة وما زالت مصر غير متأكدة هل سيكون هذا خطها خلال الفترة القادمة أم لا. وهناك أزمة فى التوجهات السياسية المصرية. وكذلك هناك أزمة أيضا فى التوجهات السياسية الأمريكية ، والازمة ليست فى العلاقة بين الدولتين ، ولكن هناك أزمتين فى كل من السياسة الخارجية لكلا الدولتين مصر والولايات المتحدة.

انتقل للمحورين الثانى والثالث:

لقد دفعت كثرة الخلافات فى العلاقات الأمريكية المصرية عددا من المعلقين والكتاب إلى التكهن بالاهداف المباشرة لهذا التوتر. قيل مثلا أن الولايات المتحدة تبذل جهدا بهدف إعادة مصر إلى وضعها الذى رسخته العلاقة الخاصة حتى وأن توقفت مزايا هذه العلاقة من جانب أمريكا. ويقول الأمريكيون أن المصريين لم يبذلوا جهدا مناسبا لحشد العرب على طريق السلام وللاستمرار فى تعبئة الرأى العام المصرى وراء السلام بدليل انحسار التطبيع على المستوى الشعبى. يقولون أيضا أن الكونجرس غاضب من مصر لأسباب كثيرة. ولا يخفى البعض رأيه القائل بأن اسرائيل قررت أن تثير غضب الكونجرس لمعاقبة مصر على موقفها من قضية السلاح النووى الاسرائيلى ومن قضية هرولة الخليجيين والمغاربة.

من ناحية أخرى هناك من يزعم أن التصعيد مصدره القاهرة وأن القاهرة ربما تشعر أن العلاقة الخاصة بدأت تنتهى، وأنها تضغط بالتوتر والتصعيد أملا فى أن تعود واشنطن إلى هذه العلاقة الخاصة. ويبدو أن بعض رجال الأعمال المصريين هم أصحاب هذا الرأى ويؤيدون محاولات العودة إلى وضع العلاقة الخاصة، ولكنهم ضد استخدام التوتر والتصعيد. بل بتردد ويقوة أن مجموعة لها تأثير تضغط ضد وزير الخارجية وتعتبره مسئولا عن تصعيد مشاعر وطنية «غير واقعية» وفى وقت غير مناسب.

على العكس تماما من هذا الرأى ، يطرح سياسى مصرى رأيا يقول فيه أن أمريكا هى التى تريد استعادة وضع العلاقة الخاصة، ولكن مصر ترفض . مصر ترفض لأنها ربما اكتشفت أن هذه العلاقة الخاصة تسببت فى خسائر واضرار كثيرة لحقت بمصر الدولة ومصر النظام الحاكم. إذ قيدت العلاقة الخاصة من آفاق التوسع فى علاقات مصر مع

أوروبا » من مكانة مصر العربية والافريقية . بل إن مصر لم تتمكن كما وعد المسئولون المصريون الذين أقاموا هذه العلاقة الخاصة فى السبعينيات، لم تتمكن من أن تلعب دور الوسيط أو الوكيل عن أمريكا فى هذه المناطق خصوصا بعد أن انتهت الحرب الباردة وبعد مؤتمر مدريد الذى فتح ابواب الاتصال المباشر بين كل العرب وإسرائيل.

من ناحية ثانية فإن هذه العلاقة الخاصة انشأت بدورها جماعات ضغط محلية تمارس نفوذا بالغ القوة ولا يتناسب مع القوى المادية التى يستحوذ عليها أعضاء هذه الجماعات. وأن هذه الجماعات أو افراد فيها يشنون حملات معادية ضد صحفيين وكتاب مقالات وينتقون أقوالا طائلة لاستقطاب مؤيدين للتوجهات «الكونية» والأمريكية. وقد تردد أن بعض المسئولين والأمريكيين فى القاهرة أعلنوا فى مناسبات متعددة أن افراداً من هذه الجماعات صاروا يتحدثون باسم الولايات المتحدة فى مصر وخارج من مصر متسببين فى حرج شديد للدبلوماسية الأمريكية فى مصر.

اذا سلمنا بأن هناك اتجاها نحو تغيير فى السياسة الخارجية المصرية . واذا افترضنا انه لا يتم حسب الاهواء أو المزاج، فالمنطقى أن نتوقع أن شروطا معينة قد استوفت أو لابد أن تستوفى قبل تنفيذ التغييرات ، من هذه الشروط أو المتطلبات:

-أن تكون العلاقة الخاصة قد استنفدت أغراضها، وأن استمرارها يشكل ضرراً.

٢- أنه توجد ما نسميه الاجماع السياسى، أى داخل النخبة الحاكمة، وخصوصا فى المؤسسة العسكرية والاقتصادية ، على ضرورات هذا التغيير ، وان توجد درجة من التأييد الشعبى.

٣- ان التغيير إن وقع، لا يجوز أن يترك فراغا فى شبكة العلاقات الخارجية المصرية، وإلا تسبب فى حال انعزال أو عزلة، أو أكد وجود نواحى قصور وضعف.

٤- ان توجد خبرة بشرية كافية وامكانات سياسية ودبلوماسية قادرة لتنفيذ التغيير وايجاد البديل لذلك أتصور أنه سيكون صعباً اجراء هذا التغيير فى ظل النخب القائمة، ولكن غير مستحيل.

٥- أن يكون فى شبه المؤكد أن يعود التغيير بزيادة محسوسة فى امكانيات النظام السياسية أولا » ثم الاقتصادية.

٦- أن يتم التغيير فى ظل وضوح رؤية ووضوح خط ووضوح الطرق البديلة، وأن تكون الجهة المنفذة للتغيير عارفة كل المعرفة إلى أين هى ذاهبة بمصر . فلا يصدق عليها ما قالته القطة «لأليس فى بلاد العجائب» إذا لم تعرفى أين أنت ذاهبة. فكل الطرق تقريبا ستوصلك إلى هناك.

مبارك وما بعده

د. أحمد يوسف

أصبح الحفاظ على الاستقلالية فى العلاقات المصرية الأمريكية .. نتيجة التغيرات العديدة التى أوضحها الأستاذ نبيل زكى أصبح أصعب الأن عن ذى قبل ، وبالتالى فان ما اتصوره هو أن الرئيس مبارك وادارته لا يحاولون تعديل العلاقة ولا يريدون افتعال صراع أو صدام مع الولايات المتحدة، وإنما على العكس **فالرئيس مبارك يريد أن يثبت العلاقة على ما هى عليه** فى الاطار الذى تصوره من البداية والذى يتعرض للتهديد الآن.

الرئيس يريد أن يحافظ على النموذج الموجود من قبل وأتصور أن ورقة العمل الخاصة بهذه الندوة ، كان مفترضا أن تتضمن سؤالا وهو ما ركز عليه اللواء أحمد عبد الحليم فى بداية كلامه- هو : هل الرغبة فى تعديل نموذج العلاقة موجودة لدى الادارة الامريكية أم لا؟.

وأتذكر أننى شاركت فى حلقة نقاشية مغلقة فى نيويورك فى أبريل ١٩٩٤، وكان هناك جدل حقيقى حول جدوى ادارة الرئيس مبارك للمصالح الأمريكية . واتضح أن هناك انقساما شديدا فى الرأى.

هناك من يقول : أنه **ليس صحيحا أن ما بعد مبارك هو الطوفان ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن تتعامل مع أى نظام فى مصر، أن مسألة النفوذ الاقليمى لمصر إنما هو أكذوبة لأنه كان مرتبطا بمناخ الحرب الباردة.**

الرأى الآخر قال وبكل صراحة أن أمريكا لا تحتمل وجود إيران جديدة بالمنطقة ، **ولا تحتمل أيضا إحداث تغيير فى مصر وإسقاط علاقتها بها إلى أن تفاجأ بوجود قوة اقليمية معادية لها.**

وأتصور - وإن كان هذا انطباعا وليس مبنياً على تحليل علمى رصين- أن السياسة الأمريكية قد لا تخاطر فى الآونة الحالية باسقاط الورقة المصرية ببساطة . لأن المنطقة ما زالت محملة باضطرابات وفوضى وتهديدات متنوعة و.. و.. الخ بحيث يؤدى فقدان قوة اقليمية كمصر- ومهما كان الاختلاف حول تقدير قوتها- نوعاً من المخاطرة غير المحسوبة.

لذلك فاجابتى على السؤال الذى اقترحته وعلى سؤال ورقة العمل يميل إلى التحليل الذى قدمه الاستاذ نبيل زكى من أن تطور **الأمور الى حد الازمة سيتوقف على عوامل داخلية مصرية أكثر مما يتوقف فى اللحظة الراهنة على عوامل أمريكية.**

بالنسبة للسؤال الثانى وهل تملك الادارة المصرية القدرة على **تغيير طبيعة العلاقة؟. أرى أن مصر لا تريد تغيير طبيعة العلاقة،** ولكن اذا كان هناك بالفعل اصرار من الادارة المصرية على توسيع نطاق ومساحة الاستقلال الموجودة فما هو الموقف اذا أدى ذلك إلى أزمة حقيقية؟.

هل تملك مصر القدرة على التصرف؟.

من الناحية النظرية أجيب بنعم. فأنا من الذين يعتقدون أنه **يمكن تدبير أحوال مصر بدون المساعدة الأمريكية ، ويمكن كذلك تدبير أوضاع القوات المسلحة المصرية دون المعونة النقدية الأمريكية.** هناك قدرات مصر ذاتها، وأموال المصريين بالخارج و... و...الخ كل هذا يجعل الاجابة على السؤال نظرياً بنعم.

ولكن تنفيذ الاجابة الممكنة نظرياً بشكل عملى يتوقف على تغيير التركيبة القائمة فى الحكم- ولا أقول تغيير النظام- وكذلك تغييراً فى السلوك. فنظريا نحن نستطيع الاستغناء عن المساعدات الامريكية ولكن هل التركيبة الموجودة فى الحكم تستطيع أن تفعل ذلك.

فى تقديرى أنها غير قادرة على سلوك هذا الطريق. ولكن هناك أملا فى أن تتعلم بالتراكم . بمعنى أن تخلق لنا الولايات المتحدة أزمة فى نطاق معين أو قطاع ما فنستطيع أن نستجيب استجابة صحيحة، وبعد فترة تتكرر الأزمة فى قطاع آخر

نستجيب أيضا. إلى أن نتمكن من أن نستغنى بالتعلم عن هذه المعونات

فجوة فى العلاقات

وفاء حجازى

أقدر تماماً وجهة نظر د. **عبد المنعم سعيد**، وهى وجهة نظر لابد من احترامها وتقبلها، وان كانت تفسح المجال للتناقض معها. **الدكتور عبد المنعم سعيد** أقام تصوره أو تقديره للتوافق الاستراتيجى بين مصر وأمريكا على أساس أن هناك اتفاقا حول مكافحة الشيوعية، وأمن الخليج، والسلام فى الشرق الأوسط مع اسرائيل، والتوجد العالمى.. الخ.

إننى أميل إلى الاعتقاد بوجود فجوة فى المصالح المصرية الأمريكية أو فى التوافق الاستراتيجى لوجود مجموعة من الخلافات التى طرحت نفسها خلال عدد من المواقف. منها مثلا - وهذا حدث بعد اشتراك مصر فى حرب الخليج- تناقض مع الموقف الأمريكى حول كيفية تأمين الوضع فى الخليج. وسعت مصر إلى إبرام ما يسمى بـ «إعلان دمشق» ولجأت الولايات المتحدة إلى عقد عدد من المعاهدات العسكرية مع دول الخليج. واعتبرت مصر ان هذه المعاهدات موقف مضاد لاعلان دمشق الذى جاء فى ديباجته «تحقيقا للأمن القومى العربى فى هذه المناطق» بما يعنى أن قضية الأمن القومى قضية عربية لها خصوصيتها، ولا يمكن تركها لأى قوة خارجية مهما كانت قدرتها على درء الأخطار.

الأمر الآخر الذى برز فى العلاقات مؤخراً والذى جعلنى أقول أن هناك فجوة استراتيجية هو علاقة مصر بدول الجوار وعلاقة أمريكا بها. مثل ليبيا، والسودان، وحتى العراق. فالموقف الأمريكى من هذه الدول لا يلقى قبولاً مصرياً حتى الآن ولنأخذ مثلا الموقف من قضية «لوكربى» فالحكومة المصرية ترى أن معالجة أمريكا للأزمة بها قدر من التجاوز فرضته على الأمم المتحدة. وأدى لفرض الحصار على ليبيا وبالنسبة للسودان، ورغم اتهامها بمحاولة اغتيال الرئيس مبارك إلا أن الرئيس مبارك نفسه يرفض أن تصل العقوبات على السودان إلى الحد الذى أرادته أمريكا، فهناك مصالح مصرية سودانية مشتركة، وأيضا توجد مصالح أمنية سودانية تجعل مصر لا توافق على هذا المخطط.

هذه الأمثلة وغيرها تكشف عن اختلاف فى طبيعة الرؤية للقضايا التى تعالجها مصر فى المنطقة، والرؤية التى تعالج بها أمريكا نفس القضايا.

حتى بالنسبة للعراق، الحكومة المصرية تقف ضد ما يثار بشأن تقسيم العراق، وتعلن أنها ضد هذه السياسات فالعراق دولة لابد وأن تظل موحدة.

من هنا فأتفق تماما مع ما قاله الأستاذ **جميل مطر** عن «العلاقة الخاصة» نعم نحن أنشأنا مع أمريكا علاقة خاصة. ولكن هذه العلاقة الخاصة رغم تنوعها لم ترق إلى مستوى ما يسمى بالتوافق الاستراتيجى بين البلدين وهناك أيضا قضية أساسية تفرق بين موقف مصر وموقف أمريكا وهى قضية الأمن القومى المصرى والتهديد الموجه له من قبل اسرائيل المدججة بالسلاح الأمريكى وبترسانة نووية أقامتها بمساعدة ومعونة وحماية الولايات المتحدة الأمريكية.

إذن هناك فجوة لم يتم تجاوزها وتفرض نفسها على التوجهات السياسية الرئيسية سواء بالنسبة لمصر. وأيضا بالنسبة لأمريكا التى لا تبدى ارتياحاً تجاه المواقف المصرية.

ورغم الرؤية المتكاملة التى قدمها د. **عبد المنعم سعيد فالعلاقات المصرية الأمريكية** لم ترق إلى انشاء ما يسمى بالأرضية المشتركة على الصعيد الاستراتيجى بل على العكس فالخلل والتناقض بين المصالح الجذرية المصرية والمصالح الجذرية الأمريكية تفرض نفسها على هذه العلاقات وتبدو فى هذه الأزمات -أو شبه الأزمات- التى تتوالى والتى بدأت منذ فترة طويلة، وهى موجودة الآن. ويصعب تجنبها فى المستقبل.

تعديل فى أي اتجاه؟!

د. عبد المنعم سعيد

أقدر دائما ما يقوله سيادة السفير وفاء حجازى بحكم تجربته العريضة فى العمل الدبلوماسى، ولكنى أريد أن أحدد نقطة خلاف لصالح الحوار وهو خلاف يتضمن جزء نظرياً.

أطرح فى البداية سؤالا حول الفرق بين الخلاف والأزمة؟.

يتفق الباحثون على أنه قد يكون هناك توتر فى العلاقات يصل بالطرفين إلى مفترق الطرق. بمعنى أنه يؤدى إلى تغير كيفى فى السلوكيات فاذا أخذنا مثلا لحظة الخلاف بين رجل وزوجته نجد أن الأزمة تكون حين يصل الخلاف إلى حد الطلاق. وقبل إلقاء يمين الطلاق يكونان فى مرحلة العتاب والضغط ... و... و ومن هنا فالأزمة هى اللحظة التى تؤدى إلى الفراق أو التهديد به. أى يكون مطروحاً فى العلاقة احداث تغير جوهرى فى السلوك. ونحن نتصور أحيانا أنه فى ظل التوافق الاستراتيجى أو التحالفات لا توجد خلافات، وهذا خطأ.

وأستطيع أن أسرد عشرات الموضوعات الخلافية فى العلاقات «الأنجلو ساكسونية» بين انجلترا وأمريكا. وللعلم فانه حتى عام ١٩٧١ كانت هناك خطط أمريكية للهجوم على بريطانيا فى حالة استخدام بريطانيا لسلاحها النووى ضد أمريكا!!.

بالنسبة للعلاقات المصرية الأمريكية أستطيع القول أن هناك أزمة اذا خرقت مصر حالة الحصار المفروض على ليبيا بسبب أزمة لوكربى. وهنا يكون الفراق. أما الخلاف حول أسلوب معالجة «لوكربى» وكيفية محاكمة المتهمين الليبيين فلا يسمى بهذا أزمة وإنما مجرد خلاف.

ومن الممكن أن يعتبر اليساريون والناصريون والقوميون والاسلاميون والليبراليون، ان مصالح مصر تتركز فى نقاط محددة. ولكن ما يحدد العلاقات بين الدول، هو الموقف الذى تتخذه أجهزة الدولة، وينعكس فى معاملات وتصويت فى الأمم المتحدة بهذا الشكل أو ذاك.

وفى هذا الإطار فالقول بوجود توافق استراتيجى مصرى أمريكى فى القضايا الاساسية، قول صحيح. فعندما تقرر مصر ارسال قواتها المسلحة إلى الخليج، فهذا يعنى أن الخليج منطقة توافق استراتيجى لأننا ضد الراديكالية، وضد السيطرة الاقليمية على الخليج. هذا أمر واقع فقد بعثنا بأولادنا للحرب هناك.

وقد كان لمصر دائما بحكم وزنها الاستراتيجى تأثيرات على الموقف الأمريكى ومنها الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية.

وعندما اتخذت أمريكا موقفا خاطئا وتكشفت عملية (إيران (كونترا) بما تمثله من



خروج على قواعد التوافق الاستراتيجي، حيث ترى مصر في ايران خطرا ملموساً تعديل الموقف الأمريكي وبدأ في مساعدة العراق في حربها مع ايران.

داخل هذا التوافق من الممكن أن تحدث انحرافات وتأثيرات متبادلة ،وفي بعض الأحوال وبدرجات مختلفة فنحن أيضا نؤثر داخل الولايات المتحدة نفسها في بعض الأحوال.

ومن وجهة نظري فهناك مبالغة وتضخيم بالنسبة لمؤتمر القمة العربية الأخير. لقد عقدت خلال فترة التسعينات ثلاث مؤتمرات للقمة. الأول عام تسعين. والثاني والثالث عام ١٩٩٦، مؤتمر «**شرم الشيخ**» الذي حضرته ١٤ دولة عربية ويقدر الأمريكان دور مصر جيد تماما، وعلينا النظر للتقارير الصادرة عن «البنتاجون» والتي تعتبر **مصر رصيداً استراتيجيا أساسيا** فهو يحتاج إلى نقاط ارتكاز أو بؤر معلومات، وهناك اتفاقية أمنية بين مصر وأمريكا موقعة منذ سنة ١٩٧٩ وعدلت سنة ١٩٨١ لاستخدام مصر في أوقات الأزمات!!.

وهذه الاتفاقية تحل محل اقامة قواعد عسكرية - بما تثيره من مشاكل وتجعل كلها- وليس قاعدة رأس بناس فقط قاعدة عسكرية ، بما في ذلك مطار غرب القاهرة، ومطار شرق القاهرة وهو ما حدث أثناء أزمة الخليج.

وكما قلت فان **دوائر «البنتاجون»** ترى أن **الحليف الاستراتيجي الأساسي للولايات المتحدة في المنطقة هو مصر**. لأن اسرائيل حتى الآن لم تتمكن من القيام بأي عمل ضد النظم الراديكالية فمصر هي التي شاركت في الحرب ضد العراق وايران.

في مؤتمر القمة العربية الأخير لم يكن الخلاف حول عقد المؤتمر من عدمه، وإنما كان الخلاف حول نقطتين أساسيتين. **الأولى** : التوقيت لأن الأمريكيين ادركوا أنهم قد خسروا الرهان على بيريز في الانتخابات الاسرائيلية، وكأي دبلوماسية نشطة تحاول أن تتواءم مع الوضع الجديد. وهنا كان الخوف من الصياغة الخاصة بالمؤتمر وماذا سيصدر عنه. لقد كنت أخيرا في زيارة للولايات المتحدة ، وتحدثت مع المسئولين في الخارجية والأمن القومي وكنت في فترة اعلان دمشق مستشارا سياسيا لحكومة قطر.

وكانت التقارير الأمريكية تدعم اعلان دمشق وتطالب دول الخليج بضرورة اشراك مصر وتركيا في عملية أمن الخليج،وجاء الاعتراض من دول الخليج. وكان قرارهم بأن تتولى الدفاع أمريكا مباشرة به قدر من العقل في حدود مصالحهم لقد حسبوا العملية بذكاء شديد ، وقرروا أن يدفعوا ثمن توفير الأمن لجهة واحدة، هي الولايات المتحدة بدلا من أن يدفعوا لأكثر من جهة (أمريكا ومصر وتركيا).

وكان هناك خشية من أن اشتراك مصر وتركيا قد يدفع أمريكا للتخلي عن دور مباشر في توفير الأمن للخليج.

وأصبح الوضع في المنطقة أشبه بالوضع في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية حيث كان أمام الأوروبيين خياران إما أن تقوم بعمل نظام دفاعي أوروبي، كما ننادي نحن الآن بنظام دفاعي عربي، والخيار الثاني كان حث الأمريكيين على الاستمرار في الدفاع عن أوروبا.

وكان القرار صرف النظر عن نظام دفاعي أوروبي لأن من يستطيع مواجهة السوفييت في أوروبا هو فقط الولايات المتحدة.

وأنهي كلامي بأنه في ظل استحكام الأزمات في المنطقة لا تجد الولايات المتحدة حليفا حقيقيا لها قادراً على الفعل إلا مصر.

وهذا ما حدث عندما وقعت العمليات الانتحارية في اسرائيل فلا تركيا ولا اسرائيل كان مستعدة أو قادرة على عقد مؤتمر كمؤتمر شرم الشيخ.

نفس الموقف خلال حرب الخليج. ويقول **«شوارتسكوف»، «وكولين باول» و «وجيمس بيكر»**، في مذكراتهم ان الدائرة الاقليمية في هذه الحرب كانت اساسها مصر.

وعندما حدثت الازمة الأخيرة الناتجة عن فوز

نتنياهو ، وتهددت عملية السلام، فمصر هي التي تحركت وهي التي أحضرت العرب.

ان الرئيس مبارك يفهم تماما حدود اللعبة الخلافية مع الولايات المتحدة. لأن صياغته للمصالح المصرية لم تتغير جوهريا عما كانت منذ التحول الكبير في منتصف السبعينات.

وطبعا من الممكن أن نختلف ايديولوجياً في ذلك ولكنني لا أتحدث بمفهوم أيديولوجي أو نظري. وأعتقد أن هذا الموقف يحقق مصالح مصر. ففي ظل الوضع الدولي الراهن لا أعرف دولة في العالم لا تحاول الاقتراب من الولايات المتحدة بشكل أو بآخر. ومعظم الدول الرئيسية حتى التي تملك السلاح النووي مثل روسيا ، تحاول أن تقيم علاقة مع أمريكا من منطلق محاولة الوصول معها بدرجة أو بأخرى لما وصلنا نحن إليه.

من المهم أيضا ادراك ان العلاقات القائمة على توافق استراتيجي أو حتى تحالف تتأثر بتوازن القوى. ولا يمكن أخذ الأمور بالمنطق الذي اعتدناه في مصر، إما أن نكون أصدقاء أو أعداء.

وكوريا الجنوبية مثلا والتي احتلتها أمريكا نتيجة للحرب الكورية، هناك تأثير متبادل للدولتين في ظل العلاقات القائمة حسب ميزان القوى. وهذا التأثير في عام ١٩٥٠ مختلف عنه عام ١٩٦٠ أو في ١٩٧٠ أو في ١٩٩٦ .

في عام ١٩٩٠ طلب منهم الأمريكيون المساهمة في دفع تكلفة حرب الخليج وبالفعل دفع الكوريون ٢٥٠ مليون دولار ، وبناء عليه بدأوا في الحديث عن وجود مصالح لهم في منطقة الخليج.

بالنسبة لعلاقاتنا مع أمريكا هناك مساحة كبيرة لتغيير طبيعة العلاقة ليس بمعنى أن أخرج بعيدا عن هذه العلاقة، أو أن أخلق مصر ناصرية مرة أخرى، أو أن أخلق اتحاد سوفيتي مرة أخرى ، أو كتلة عالمية مناوئة كما يقال ، وإنما تغيير الوزن بالنسبة لنا في إطار هذه العلاقة وهذا ما يحاول أن يفعله الأوروبيون واليابانيون. وهؤلاء لا يحاولون إنشاء قطب آخر على طريقة القطبية السوفيتية القديمة. وأخشى من شيوع هذه المقولة - تعدد الأقطاب- التي يقولها **عمرو موسى وأسامة الباز والاستاذ الكبير محمد سيد أحمد**. يكفي القاء نظرة على ملكية الشركات، وملكية الأسواق ، وعلى طبيعة المفاوضات التي نطلق عليها حرباً تجارية فدائما ما يحدث شد وجذب ثم يصل الأمر إلى حل ما.

وأخشى ما أخشاه هو عدم وجود أناس متواتمين مع هذه النوعية من العلاقات الدولية.

لدينا افراد أكفاء في عقد المعاهدات ويعرفون الجوانب القانونية لها. أيضا جوانبها الصراعية إنما ما يرتبط بتعديل علاقات القوى داخل علاقة وثيقة نجد أنفسنا غير مستعدين لها سواء على المستوى الفردي أو الفكري، وحتى لم نستطع أن نفعلها على المستوى العربي خلال العشرين أو الثلاثين عاماً الماضية.

ان وضعي سيختلف وأصبح أكثرُ قوة عندما نزيد صادراتي من ٦ر٤ إلى ١٥ مليار. وستزداد قوتي اذا وصلت صادراتي إلى ٣٠ مليار دولار وحتي مع زيادة العجز في الميزان التجاري سأكون أنا الاقوى أيضا.

المشكلة الكبرى في هذه النوعية من العلاقات - وهو ما تعرفه اسرائيل- هو أن تمسك الطرف الآخر من أعصابه الحساسة بما يتضمنه هذا حتى من ابتزاز شخصي، واسرائيل تعرف كيف تحسن علاقاتها التكنولوجية وعلاقاتها الاقتصادية وحتى علاقاتها السياسية مع الحليف الأكبر واسرائيل مثل لم يتكرر في التاريخ. دولة صغيرة بمثل هذا الشكل وتنجح في اقامة مثل هذه العلاقة بدولة كبرى.

من وجهة نظري ، يجب تعديل العلاقات المصرية الأمريكية. ولكن في أي اتجاه ؟..

هذا هو السؤال التعديل بمعنى الخروج أنا أعتقد أنه خطر كبير جدا على مصر لأن معناه ببساطة الصدام ولم يكسب السوفيت في موقف مثل هذا على الرغم من أن السوفيت كانوا يمثلون سدس العالم ويملكون ٧٠٠٠ آلاف رأس نووي. واليابان والمانيا مثلا لم يأخذا بهذا الخيار منذ فترة.

نتنياهو .. والمنعطف الحاكم

نبيل زكي

لا أحد يطرح ونحن نناقش العلاقات المصرية الأمريكية بناطحة أمريكا وأظن أننا نتفق أنه لا توجد قوة في العالم لا تسعى للاقتراب من الولايات المتحدة الأمريكية. ومن المؤكد أن الادارة المصرية تتحاشى دائما وقوع أزمة أو خلاف كبير مع الولايات المتحدة. وتصريحات المسئولين تؤكد هذا المعنى. اذن من أين تأتي المشكلة؟.

المشكلة تنبع من اصرار الولايات المتحدة في الفترة الأخيرة على استثمار الضعف العربي لأقصى حد ممكن لفرض الهيمنة الاسرائيلية المطلقة على المنطقة.

لقد ارتضت الحكومة المصرية منذ وقت طويل صيغة العلاقة الخاصة أو الوطيدة مع الولايات المتحدة والتوافق مع السياسات الأمريكية الاستراتيجية والاقتصادية والدبلوماسية.

ما الذي استجد في هذه العلاقة؟.

الولايات المتحدة تحاول اخضاع مصر لمتطلبات القوة الاسرائيلية المنفردة ولم يعد الأمر يقتصر على الدعم الأمريكي للاحتكار النووي الاسرائيلي انما المطلوب من مصر القبول بعدة أشياء مستحيلة مثل :

*الاعتراف بالقوة النووية الاسرائيلية.

** الاسراع في عمليات التطبيع وحث الدول العربية الأخرى على الاسراع في التطبيع.

** قيام الرئيس مبارك بزيارة رسمية لاسرائيل وليس مجرد زيارة لحضور جنازة رابين.

هذا في الوقت الذي كانت الادارة المصرية تنتظر من الولايات المتحدة موقفا متوازنا بعد الدور الاساسي الذي قامت به في دفع العالم العربي إلى طريق التصالح مع اسرائيل. لم تعترض مصر على استمرار الدعم الامريكي لاسرائيل بنفس القوة السابقة ، ولكن كانت تريد مراعاة دور مصر الاقليمي . ولكن الولايات المتحدة لم تكتف بعدم مراعاة هذا الدور بل وحاربته. فالمطلوب أمريكيا أن تقزم مصر بدورها الاقليمي وهو أمر مستحيل بحسابات الجغرافيا والسياسة ،ولا تستطيع مصر قبوله وفي تقديري أن الادارة الأمريكية نفسها هي التي طرحت تعديل نموذج العلاقة وليست الادارة المصرية ، الادارة المصرية - كما هو معروف - كانت حريصة على علاقة طيبة وودودة مع الولايات المتحدة ومسايرة لكل مقتضيات ومتطلبات حماية المصالح الأمريكية في المنطقة. وكان التوافق المصري الامريكي حتى في عملية السلام أو المفاوضات العربية الاسرائيلية قائما على فكرة انه لابد وان قوة دفع المفاوضات تصل في النهاية إلى اتفاقيات وهذه فكرة أمريكية وسايرتها مصر التي بدأت هذا المنهج (كامب ديفيد) ولكن المفاجأة التي تلقتها مصر في الأونة الأخيرة هي إنه مطلوب منها إقرار التوسع الاسرائيلي في المنطقة ، واقرار اهدار الحقوق الفلسطينية والاستيلاء على أراضي عربية. وقبول التفوق النوعي المطلق في التسليح الاسرائيلي.. الخ.

في مواجهة هذا التطور مطلوب أن تستعيد مصر دورها في عالم عدم الانحياز.

صحيح أن هناك وجهة نظر تقول بأن عدم الانحياز انتهى لانه لا يوجد انحياز لأحد لكن التعبير الذي اصطلح على استخدامه الآن «**كتلة الدفاع عن جنوب العالم في مواجهة اغنياء العالم**» ونحن نعلم التقسيمات الجديدة على ضوء توزيع الثروة العالمية وهناك عنصر أساسي جديد لم نتحدث عنه ومن شأنه أن يؤدي لدفع الأمور إلى منعطف حاسم في العلاقة المصرية الأمريكية وهو تولي «**بنيامين نتنياهو**» الحكم في اسرائيل وهذا يضع الحكومة المصرية في مفترق الطرق والمعارضة في مصر تحدثت قبل هذا عن سياسة التبعية للولايات المتحدة الأمريكية والتي تنتهجها حكومة مصر ونددت بهذه السياسة.

ونحن ازاء سياسة تبعية مباشرة لاسرائيل ما لم تحدث وقفة موضوعية في السياسة الخارجية المصرية.

من المؤكد أن الوضع على المستوى المحلي والاقليمي والعالمي لا يسمح بأي صدام مع الولايات المتحدة ،ولكن الضرورات الوطنية والقومية والمصالح الاقتصادية في مصر تفرض هذه الوقفة . نتنياهو لن يعطي شيئا للعرب .

ومصر كما قلنا لعبت دوراً سياسياً في اقناع بحث العرب على الدخول في عملية المفاوضات. وهذا يجعل الحكومة المصرية في موقف حرج. واذا رفضت الحكومة المصرية هذا الموقف، فستدخل في صدام مع الولايات المتحدة، التي ترفض عمليا ممارسة أية ضغوط على نتنياهو للعودة إلى ثوابت عملية أو مسيرة «مدريد» المتفق عليها.

سيقال أنها مرحلة مؤقتة حتى تنتهي الانتخابات الامريكية ولكن لا يوجد أي ضمان أن كلينتون سيغير موقفه، فهو منحاز تماما لاسرائيل كما هو واضح وسيستمر في هذا الانحياز واذا تولى «روبرت دول» الحكم سيكون أكثر انحيازاً.

اذن لا يوجد اختيار امامنا سوى المحاولة بقدر الامكان في المرحلة القادمة ان ندافع عن المصالح القومية العربية العليا. من خلال تعبئة العالم العربي وشئنا أو لم نشأ، ستعتبر الولايات المتحدة واسرائيل هذا الموقف المصري تمردا على الهيمنة أو السياسة الأمريكية والاسرائيلية. وأعتقد أن هذا هو التحدي الذي نواجهه.

ما أختلف فيه مع د. عبد المنعم سعيد استبعاده التام لاحتمالات ظهور اقطاب اخرى على الصعيد العالمي. إننا بالفعل بازاء عالم تتعدد اقطابه. والدليل الموقف الاوروبي نفسه من صراع الشرق الأوسط ومحاولاته لانتهاج سياسة مستقلة في الفترة الأخيرة وخاصة على يد «شيراك»، وموقفه من لبنان والوضع في المنطقة وأيضا تحذير أمريكا لمنظمة الوحدة الافريقية فيما يتعلق «ببطرس غالي» والرفض والإصرار على دعم **بطرس غالي** وهذا مؤشر هام بالنسبة لمنطقة تعاني من مشكلات طاحنة في العالم وهي القارة الافريقية وهو نموذج يتضح فيه درجة من درجات رفع راية العصيان على الأوامر الأمريكية.

نحن لا نطمح حاليا في إعلان استقلال كامل عن السياسة الامريكية ولكن في إطار هذه العلاقة مع الولايات المتحدة من الممكن ويستطيع اليسار هنا أن يلعب دورا بحثا عن تشكيل مقومات موقف استقلالي عن الولايات المتحدة على المدى البعيد. على أن نبدأ من الآن وهذا يتطلب اجراءات داخلية عديدة. ويتطلب أولاً تعبئة الموقف العربي ونقطة الضعف الاساسية في هذا المطروح والمطلوب مصريا وعربيا هو الموقف العربي ذاته لان الولايات المتحدة الامريكية ستسعى لاضعاف الموقف المصري من خلال اختراق الموقف العربي وخاصة في الخليج.

وهذا يحتاج إلى جهود مضاعفة من جانب مصر والدبلوماسية المصرية على جميع الأصعدة.

علاقة ثلاثية وليست ثنائية

اللواء / أحمد عبد الحليم

سأتحدث عن المحورين الثاني والثالث في شكل ملاحظات محددة.

أولا ان علاقة مصر بالولايات المتحدة الامريكية هي علاقة استراتيجية على الاقل في المرحلة الراهنة ولا ترغب الحكومة المصرية بأي حال من الاحوال في تغيير هذه العلاقة.

الامر الثاني ان ما يحدث الآن يتم في إطار هذه العلاقة الاستراتيجية، وهنا أجد نفسي متفقاً تماما مع توصيف طبيعة تغيير شكل العلاقات في اطار علاقة استراتيجية وسياسية ثابتة وشرحه د. عبد المنعم سعيد لانه في الحقيقة صاغه بشكل بارع وانا أتفق معه في ذلك. وبالتالي فالمحاولة المصرية لتغيير الاوزان النسبية لاطراف هذه العلاقة(مع **الوضع في الاعتبار ان العلاقة ليست ثنائية ولكنها علاقة ثلاثية- مصر- الولايات المتحدة -اسرائيل**)وتحقيق معادلات جديدة تضع الاطراف الثلاثة في اطار مقبول من وجهة نظر السياسة الخارجية المصرية، تجري في هذا النطاق. فمصر تسعى لممارسة القوة المتاحة في اطار علاقات دولية صحية باستخدام ادوات سياسية ودبلوماسية مع استبعاد الوصول إلى حد المواجهة أو التعارض التام بشكل نهائي، لان هذا ليس في مصلحة مصر على الاقل في هذه المرحلة التي تمر فيها.

وهناك مجموعة من المشكلات على المستوى الاقليمي ومجموعة من المشكلات على المستوى الدولي فما يحدث الآن سيكون له نتائج كبيرة جدا على مدى مستقبلي قادم.

هناك قضية أشار إليها د. عبد المنعم سعيد، وهي وثائق الخارجية الامريكية وفي الواقع فوثائق الخارجية والبنتاجون أيضا، يكونان أكثر قدرة على الوصول إلى تقييمات صحيحة لانه ليس هناك ضغوط انتخابية عليهما، عكس البيت الأبيض والكونجرس.

ثالثا: قضية الاتفاق الاستراتيجي القضية ليست ذات بعد واحد ولا أستطيع أن أطلقها على علتها وأن أقول إن هناك اتفاقا استراتيجيا أو أنه لا يوجد هذا الاتفاق فهناك دوائر من هذه العلاقة استراتيجية وسياسية وهناك اتفاق استراتيجي كامل واتفاق استراتيجي جزئي، وهناك دوائر أخرى يوجد بها عدم اتفاق وبالتالي تجري محاولات لتغييرها في إطار هذه العلاقات الثنائية بين مصر واسرائيل. وهذا ما يحدث فيما يختص بقضية السلام في الشرق الأوسط وهو نوع من عدم الاتفاق الاستراتيجي ما بين وجهتي نظر الولايات المتحدة ومصر. ومصر تحاول تغييرها في إطار هذه العلاقة الاستراتيجية الثنائية الثابتة.

وقضية العلاقات الدولية إذا نظرنا إليها من منظور القوة فهي ممارسة للقوة أي أن دولة تمارس عليها ضغوط القوة من أطراف خارجية لتحقيق مصالح لهذه الاطراف داخل الدولة. ومن جهة أخرى هذه الدولة نفسها تمارس من ادوات القوة ما تحقق به مصالحها في الاطار الصحي السليم. وطالما هذه الضغوط في حالة توازن تصبح العلاقات الدولية في إطار سليم واذا زادت الضغوط الخارجية تحدث عملية التهديدات والمخاطر، اما اذا زادت قوة الدولة عن القوة التي تضغط عليها لتحقيق مصالح هنا تطرح امكانية الغزو والتوسع، وهو الوضع الموجود في اسرائيل (نظريا على الأقل).

اذا أجبنا بطريقة مباشرة عن المحور الثاني هل لدى الحكومة المصرية رغبة لتعديل هذه العلاقة واقامتها على أسس مغايرة؟.

في تصوري ان مصر لا ترغب في تغيير هذه العلاقة واقامتها على اسس مغايرة ولكن تعديل هذه العلاقة في اطار الخط الاستراتيجي العام وإطار تعديل الوزن النسبي لمصر في إطار المعادلة الثلاثية التي يمكن أن تكون أكثر من ثلاثية لو هناك اطراف اخرى موجودة مثل تركيا.

هل تملك الادارة المصرية القدرة على التغيير؟.

نعم بالادوات السلمية وعدم التهديد بالقوة أو اللجوء لاستخدامها وعدم استخدامها بالفعل وفي إطار الادوات السياسية والدبلوماسية المتاحة وأيضا في ضوء الروابط الاقتصادية والسياسية والعسكرية غير العادية مع الولايات المتحدة.

في ضوء هذا أيضا يمكن أن يتم التوصل إلى نوع جديد من العلاقات في إطار المعادلة الاصلية التي تحافظ على العلاقة الاستراتيجية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

تراجع نتنياهو

د. عبد المنعم سعيد

ما زلت متشائماً بالنسبة لموضوع نتنياهو.

ومع ذلك فخلال اسبوعين أو ثلاثة هناك أشياء جوهرية حدثت بالنسبة لموقف نتنياهو غير التي طرحها في برنامجه الانتخابي، نشرنا في مختارات اسرائيلية الصادرة عن مركز الدراسات بالأهرام برامج كل الاحزاب الاسرائيلية وأشار «الليكود» في برنامجه إلى أنه سيغلق بيت الشرق وكان هذا تعهداً أمام الناخبين، ثم أتى بعد ذلك وقال- نتنياهو- أنه لن يغلقه، ولكن سيمنع فقط زيارته. التفكير الاستراتيجي الذي يتعامل مع الحقائق ويبحث عن تغيرات ينفذ منها لابد أن يدرس كيفية ترتيب زيارات لبيت الشرق وكيف ستمنعهم اسرائيل، ومثلا لو سافر الرئيس مبارك وطلب زيارة بيت الشرق فلن يقولوا لا. وأنا أشير إلى هذا حتى نرى كيف يمكن أن نتعامل مع موقف معين هم لا يستطيعون أغلاق بيت الشرق لسبب بسيط وهو أنهم موقعيون على خطاب لياسر عرفات بعدم اغلاق بيت الشرق، وهذا الخطاب موجود كالتزام على دولة اسرائيل.

كان نتنياهو أيضا يقول أنه لن ينسحب من الخليل، والآن يقول أنه سيحترم تعهدات اسرائيل. وأنا أرى أن نتنياهو إما أنه يضيع وقتاً. وإما أنه عنده عدة قضايا بأولويات مختلفة يريد التفاوض حولها.

قال نتنياهو أيضا أنه ضد «أوسلو» والآن

يقول إنه سيطبقها. وبقراءتي للموقف الأمريكي أجده يختلف وقد قال «كريستوفر» في مؤتمر صحفي بالقاهرة أن الولايات المتحدة مع مبدأ «**الأرض مقابل السلام**» ، ولكنه قال ان القضية إنما هي آلية ترجمة هذا المبدأ في الواقع. والولايات المتحدة في قمة الدول الصناعية أقرت بنفس المبدأ وأمريكا لم تأخذ موقف نتنياهو خلال حملته الانتخابية وأعتقد أنه يوجد أيضا خلاف إسرائيلي أمريكي حول موضوع الجولان.

وما زال الامريكيون حتى هذه اللحظة -وقد يتغير هذا مستقبلا - يرون أن الوصول لسلام سوري اسرائيلي جوهري للخلاص من لعبة الشرق الأوسط كلها. **وبالطبع قد يرون معاقبة الرئيس الأسد قليلا لأنه تعنت معهم في أزمة لبنان** ولكنهم يرون أهمية تحقيق السلام مع سوريا.

ودور مصر في هذه المعادلة مهم جدا من ناحية اقناع سوريا.

وأكرر أنه يوجد أسباب موضوعية تؤدي لتباطؤ ما يسمى «عملية السلام كما أن هذه العملية ستدخل في عدة مشكلات خاصة وأنه توجد عناصر لا تملكها مصر ولا أمريكا ولا اسرائيل، مثل الأشخاص الذين يفجرون أنفسهم وسط «تل أبيب» وبتكلفة مادية رخيصة جدا.

وأتفق مع الرأي القائل بضرورة زيادة قوتنا في المساومة نتيجة إعادة ترتيب الأوضاع الداخلية المصرية. وللعلم فان موضوع أزمة قانون الصحافة كانت رغم أنها أزمة داخلية من أسباب قوة مصر في هذا المجال لأن أي درجة من درجات العقلانية السياسية داخل مصر وأي درجة من درجات التقدم الاقتصادي تزيد قدراتنا في هذه العلاقة الخاصة.

ونريد عند النقاش العام حول قضية استراتيجية بهذا الوزن أن نكون واثقين من قراءة ما يقال بالضبط ولا نترك أنفسنا أسرى الانطباع العام، وأنا أرى حجما معقولا من تراجعات «نتنياهو» خلال الثلاثة أسابيع الماضية.

تعديل الموقف الأمريكي

نبيل زكي

في تقديري أننا لسنا ازاء برنامج كتلة الليكود ، بل نحن بازاء اسرائيل التوراتية مباشرة، وهذا هو نتنياهو وعندما نبحث في تاريخه ومواقفه سنصل إلى نتائج لا تبعث على أي تفاؤل بالنسبة لعملية المفاوضات سواء المفاوضات الاسرائيلية الفلسطينية أو الاسرائيلية السورية اللبنانية كل العوامل تؤكد على أنه يسير في طريق اغلاق عملية السلام أو تجميدها ،لأن موقفه من سوريا يتلخص في انه يرفض الانسحاب من الجولان والواضح انه ثابت في مواقفه وليس متغيراً.

موضوع بيت الشرق أقل أهمية لانهم منعوا الوزراء الاوروبيين فعلا من دخوله واحتجوا وذهب منهم **وزير خارجية السويد أو النرويج** ومع ذلك لا تمثل اهمية لانه لم يعد باقيا في القدس العربية عمليأ إلا شارع واحد وانتهت القدس العربية، وهذا هو التفكير والخطط الاستراتيجية الاسرائيلية.

وفيما يتعلق بفلسطين وقضية الانسحاب والخليل ايضا قضية جزئية جداً ومتفق عليها سابقاً مع بيريز وحتى اذ فعلها نتنياهو فهو ينفذ اتفاقا تم تأجيله ثلاث مرات حتى الآن وفي النهاية تبقى قوات الاحتلال الاسرائيلي في الخليل لتحمي ٤٥٠ مستوطناً ويتجمد الوضع عند هذا الحد.

ان مشكلة نتنياهو انه ليس حراً في اتخاذ القرار لأنه توجد نقطة مهمة جدا وهي حلفاؤه مثل «**شارون**» و«**إيتان**» ونحن أدرى بموقف هؤلاء أي أننا نواجه تحالف الحاخامات والجنرالات المعادي تماماً لعملية السلام في المنطقة وهم مع التوسع ومع اسرائيل التوراتية. المشكلة الأصعب والأعقد تكمن في الموقف الأمريكي ، فحتى الآن لم تصدر أي اشارات واضحة، وبيان الدول الصناعية السبع الكبرى هو في الحقيقة بيان أوروبي أكثر منه أمريكي وعندما وافق كلينتون على البيان الاوروبي كان مضطرا فهو لم يستطيع ان يحتوي الموقف العالمي وخاصة الأوروبي. وبالنسبة لتصريح كريستوفر «الأرض مقابل السلام» فنعرف اسبابه لانه كان في موقف حاسم، والرئيس مبارك وصل إلى حد انه تركه وقام واحتج على تصريحاته في تل أبيب قبل أن يصل للقاهرة.ورغم هذا فان السياسة لا يحكم عليها في تقديري بمعايير فترة زمنية قصيرة أو مجرد تصريحات ، ولكن الخط العام لنتنياهو وحلفاؤه لا يقودنا إلى توقع انفراج قريب على الأقل في عملية السلام ما لم يتحرك الموقف العربي.

مشكلة الخلل في العلاقة الأمريكية المصرية سياسية لانه في الحسابات الأمريكية مصر لم يعد لها وزن كما كانت من قبل أي أن تأثيرها ضعف في العالم العربي فنحن في حاجة لاعادة تأثير مصر في الساحة العربية لكي تعدل الولايات المتحدة موقفها.

وفاء حجازي

لن أضيف كثيرا وإنما مجرد تعليقات .

نحن نتحدث عن العلاقات المصرية الأمريكية وتحدثنا عن المرونة الواجبة في تناول هذه العلاقات وتغيير المواقف في داخل إطار التعاون مع أمريكا وإعادة التوازن النسبي وليس لي اعتراض على هذا بل على العكس أوافق تماماً، بشرط أن يحقق هذا منافع لمصر.

أما إذا كان هذا لا يأتي بأي نتيجة أو أنه مجرد تعديل وينتهي فانني لا أوافق على منهج سياسي لا أستفيد منه شيئا والمرونة ليس في أن اتفق مع طرف لا أستفيد منه إنما المرونة أن أتعامل مع الموقف بما يعود على في النهاية بالنفع.

أما اذا لم يكن هذا التعديل لصالحي فهنا الامر لا يصبح مرونة وانما تراجع وانسحاب. المرونة ترتبط بالاساس بما يمكن ان يعود بالفائدة على الموقف المصري ومشكلتنا هي أن علاقتنا مع الولايات المتحدة ليست علاقات ثنائية وإنما هي علاقات مركبة أو بمعنى أصح علاقة ثلاثية لها طبيعة ميكانيكية فتقترب العلاقات المصرية الأمريكية من التحسن اذا تحسنت علاقة مصر مع اسرائيل والعكس اذا ساءت علاقة مصر مع اسرائيل وهذا هو بيت القصيد لابد أن يؤخذ في الاعتبار أن العلاقات المصرية الأمريكية محكومة إلى حد كبير بمدي تصالح مصر مع اسرائيل وتحسن العلاقة بينهما والعكس صحيح واذا اضفنا لهذا قضية اخرى، هي وجود فرق واضح حين اعالج موضوعات هامشية وأخرى محورية. فحينما أتحدث مثلا عن إعلان دمشق فرغم أهميته انما يظل جانبياً في الصراع العربي الاسرائيلي هو الصراع الحاكم الاسرائيلي لأن الموقف الأساسي كيف يتطور هذا الصراع وهل يتطور لصالح القوى المصرية والقوى العربية أم بالعكس يصعد من قوى اسرائيل على حساب الموقف العربي ويحدث تآكل في الموقف العربي والموقف المصري.

منذ عام ١٩٤٨ والصراع العربي للعلاقات داخل المنطقة الاقليمية ولطبيعة العلاقات بين دول المنطقة والدول الخارجية سواء كانت الولايات المتحدة الأمريكية أو غيرها من الدول ،وهذه حقيقة أخرى، ومع احترامي الشديد لكل ما قيل فنحن نشهد في الوقت الحاضر تحركا أساسيا في طبيعة هذه العلاقات وتحولاً أساسياً في تطور الصراع العربي الاسرائيلي لحساب اسرائيل.

وأشير هنا لمؤتمر شرم الشيخ وأعتقد أنه مؤتمر سلبي بكافة المقاييس لانه وضع القضية في وضع مقلوب لم تعد القضية من هو صاحب حق ومن المعتدي على الحق ولكن من هم انصار الارهاب ومن هم انصار السلام؟.

وفجأة وجدنا أن معظم الدول العربية

محصورة فى معسكر الإرهاب بينما اسرائيل فى معسكر السلام. وهذا مخالف للحقيقة تماماً. ما أريد لفت النظر إليه ان معالجة الصراع العربى الاسرائيلى تتم حاليا فى إطار ينتهى إلى إعادة ترتيب الأوضاع فى المنطقة العربية. والمقدمات التى سبقت منذ مؤتمر «مدريد» الآن كلها مقدمات توحى بأن **اسرائيل بصدد أن تتوج كقوة اقليمية كبرى فى المنطقة**، ومن خلال ما يسمى بعملية المصالحة التى تضيف للقدرات الاسرائيلية قدرات جديدة بل بالعكس تعطى لاسرائيل فرصة أن تطالب بمكاسب جديدة مثل المياه والبترول وعائدات البترول والنظام الشرق أوسطى.. الخ واستمرار عملية التطبيع دون التقيد بأى التزام فى تصحيح العلاقات السياسية وجوهرها الحقوق العربية المغتصبة التى اغتصبتها اسرائيل ويساند هذا الموقف الاسرائيلى بل يدفعها إليه الولايات المتحدة الأمريكية وليس العكس. ويعود هذا الأمر بالسلب على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية فحينما نتحدث عن نتنياهو فنحن نتحدث عن تغير نوعى داخل اسرائيل. فى الحقيقة نفس الوضع كان قائما من قبل، ولكن التعبير عنه كان يتم بأسلوب أكثر ذكاء أو سلاسة. اليوم يجرى التعبير عنه بأسلوب فج وبلغة سياسية فيها نوع من انواع العنجهية والغرور غير مطلوبين وتنتهى إلى أن يكون هناك نوع من أنواع التسلط الاسرائيلى على مجمل الأوضاع فى المنطقة والسؤال ما هو موقف مصر تجاه هذا التطور الذى يحدث بالتدريج ومنطق الدبلوماسية الأمريكية القائل بجزء يليه جزء آخر وفى النهاية نجد السكين تصل إلى اصابعنا لتقطعها.

اذا أثارت مصر قضية السلاح النووى قالت أمريكا لا تتحدثوا عنه هذا الامر لان من حق اسرائيل الحفاظ على الترسانة النووية من أجل الأمن واذا تحدثنا عن الانسحاب يكون الرد باعادة الانتشار. ولابد أن يراعى فيه الأمن الاسرائيلى وأصبحت قضية الأمن قضية منتفخة وأصبح الأمن الاسرائيلي معناه الحقيقى كما عبر عنه ليس فقط «نتنياهو» ولكن أيضا شيمون بيريز على حساب الحقوق العربية فالى أى مدى أستطيع أنا أعدل وأعبر عن موقفى النسبى مع أمريكا فى إطار هذه السياسة والاستراتيجية البادئة إلى سحب السجادة تماماً من تحت أقدام الموقف العربى وسحب مكاسب جديدة واضافتها الى اسرائيل. فكيف ستكون العلاقة إذن؟.

أصل إلي السؤال ..هل لدى ادارة الرئيس حسنى مبارك رغبة فى تعديل هذه العلاقة؟.

أقول لابد أن تكون لديها الرغبة ولكن ليست الرغبة وحدها هي التى تحسم الأمر لأن هذه الرغبة لابد وأن يقابلها استعداد على الجانب الآخر لتلقى هذه الرغبة ولا أعتقد أن رغبة الرئيس مبارك فى تعديل هذا الموقف هى مجرد الانسحاب والتنازل عن كل القضايا وفى مقدمتها الدور الاقليمي المصرى والدور القومي الذي تضطلع به مصر لابد أن تسعى وأن يكون هناك جهود دبلوماسية للتمسك بحق مصر فى ممارسة دورها الاقليمى ،والتمسك برد الحقوق العربية متمنيا إلا تكون النتيجة للموقف المصرى أن تكون اسرائيل فى الموقف المهمين والمسيطر على المنطقة والقوة الاقليمية الكبرى، وبالمناسبة فان بيت الشرق سيغلق لان نتنياهو تحدث فى مؤتمر صحفى وأشار إلى أنه لا يجب أن يكون للسلطة الفلسطينية أى مكان فى القدس.

ولا أتصور أن المرونة المصرية معناها التراجع المستمر. فالمرونة هى التعامل مع حقائق الموقف بأساليب متنوعة ومختلفة ومتباينة ومنها أيضا المقاومة ،وليست المقاومة بالسلاح ولكن على الأقل باستخدام العمل الدبلوماسى الناجح فى التأثير على الموقف. نفس الأسلوب الذى أتبع فى جمع مؤتمر القمة العربى فهذا نوع من أنواع المقاومة.

أنا ضد أن تصعد مصر خلافاتها مع الولايات المتحدة ولكنى أيضا ضد أن تنسحب مصر أمام الضغوط التى يمارسها المحور الاسرائيلى الأمريكى وتضحى بمصالحها لا لشئ حتى لا تتهم انها متعنتة ومتشددة. وأتصور انه من الان علينا أن نسعى لتحقيق الاهداف المصرية العربية والمتمثلة في ضرورة تحقيق سلام حقيقى وعادل ولا يضيع الحقوق المغتصبة ولا يضيع على مصر دورها الاقليمى ومسئوليتها القومية ولا أمنها القومى وعليها ان تسعى بكل الوسائل والحوار المفتوح بين حسنى مبارك وكلينتون ،وبين حسنى مبارك ونتنياهو. ولكن هذا لا يلغى مرونة مصر فى داخل الاطار العربي لدعم الموقف العربى ليشكل في النهاية موقفا ضاغطاً على كل الاطراف التي تحاول ان تحرمنا من الحصول على هذه الحقوق. اذن انا ضد ان يكون هناك موقف رافض لأى محاولة ولكن لابد أن تكون هذه المحاولة منطلقة من رؤية سليمة ومحققة للأمن القومى المصرى والدور الاقليمى المصرى ،وللدور القومى المصرى. فبدون هذا الدور يتعرض الامن القومى المصرى للخطر وأيضا المصالح المصرية تتعرض للخطر. ولنا فى عام ١٩٧٣ مثل اذ قامت مصر بتوظيف دورها القومى لخدمة انتصارها فى حرب أكتوبر.

واستخدمت العمق الاستراتيجى العربى كأداة من ادوات الحشد والتعبئة وأيضا حينما استخدم سلاح النفط بالاتفاق مع القوى العربية.

من الصعب القول بأنه يتعين على أن أغير وأبدل وأوازن.. الخ لكى تكون النتيجة النهائية لصالح اسرائيل وصالح الهيمنة الامريكية والسيطرة والسطو الاسرائيلى على المنطقة إنما اذا كان هناك نوع من التبادل فى الفوائد والمنافع فأهلا ومرحبا. وأتصور أنه لا توجد دولة فى العالم مهما كان وضعها ضعيف لا تستطيع أن تقاوم .فلنبدأ بعمل بسيط جدا ردا على كل المحاولات والمناورات التى تبذل فى اسرائيل وأمريكا أن تدعم مصر علاقتها العربية إنما الانجاز الذى تحقق فى ظل مؤتمر القمة تدعمه مصر بمزيد من العلاقات ومزيد من الانفراج العربى سواء فى علاقتها مع السودان أو مع الدول العربية الاخرى والتعاون فى قضية السوق العربية المشتركة ،والعلاقات الاقتصادية والتعاون الثقافى كل هذه المسائل تدعم من مقاومة مصر للمخطط الذى يراد به أن تتنازل. هناك أدوات كثيرة يمكن استخدامها وأتصور بداية أنه لابد أن يكون هناك نوع من المشاركة الشعبية لمساندة هذا الموقف.

عبد العال الباقورى

شكراً جزيلاً لكل الذين شاركوا فى هذه الندوة وأجدني مشفقا على القارئ من تلقى هذا الكم من المعلومات والتحليلات ووجهات النظر.

الأقباط بين

«مطرقة الطائفين» و«سندان الأقلوين»



كان من المفترض أنه بتأسيس مرحلة التعددية الحزبية للمرة الثانية في تاريخ مصر الحديث في عام ١٩٧٦، أن يواكب ذلك تحرك في اتجاه تأكيد دعم المواطنة. إلا أن مصر شهدت «مناخاً» ، خلال هذه الفترة، أثر سلبا على العلاقة بين مكونات الجماعة الوطنية، كذلك عانى الاقباط- وهم المصريون الذين يمثلون الآخر الديني- من جراء تصاعد الممارسات الطائفية الموجهة ضدهم كما و كيفا ، كما من حيث مرات حدوثها وكيفا من حيث نوعية وأسلوب تنفيذها ، على المستويين الفكرى والمادى.

وخلال هذه الفترة والتى تقترب من الربع قرن، وفى محاولة لحل ما طال الاقباط، برز على سطح الحياة السياسية فريقان حاصرا الأقباط من خلال طروحاتهما وممارساتهما، وساهما إلى حد كبير فى دعم المناخ المناقض للتطور الديمقراطى وللمسار التاريخى المصرى الطبيعى لمكونات الجماعة. هذان الفريقان هما:

(١) الطائفيون

(٢) الأقلويون

أولاً: الطائفيون

ونقصد بهم هؤلاء الذين شرعوا فى إعادة النظر في الموقف من الأقباط من حيث طرح التعامل معهم على أساس أنهم «أهل الذمة» ، الأمر الذى مثل تراجعا عن «المواطنة» التى تحققت على أرض الواقع خلال العمل الوطنى المشترك، كذلك نقضاً للمبادئ والنصوص المقررة التى صاغتها معا مكونات الجماعة الوطنية كمحصلة للنضال المشترك حول المساواة والمواطنة. لقد مرت هذه العملية بمرحلتين.

الأولى: البدء فى عملية تقسيم الجماعة الوطنية على أساس دينى، الأمر الذى يحمل ضمنا تمجيداً لقيم طائفة على حساب الأخرى، كذلك صحوة للوعى الذاتى الدينى الذى يتضمن تجاهلا لقيم الآخرين.

الثانية: نتيجة لما سبق حدث عمليا على أرض الواقع نوع من التمييز وعدم المساواة الذى تجسد فى مظاهر عديدة .

لقد رافق هذه العملية أن انتجت أدبيات كثيرة فى هذا الاتجاه مسلحة بترسانة نصوصية هائلة . صحيح أن هناك تنويعات عديدة فى داخل هذا الفريق إلا أن جميع هذه التنويعات بدرجة أو بأخرى التقت فى التعامل مع الأقباط على أرضية «**الذمة**» . وتخلص الترسانة النصوصية فى الاجمال إلى عدم التسليم بالمساواة الكاملة بين مكونات الجماعة الوطنية. ولا شك ان الاستناد إلى النصوص لدى أصحابه له ما يبرره ، فهو أحد أساليب المواجهة ضد كل من يستحضر مرجعية ، فى نظرهم، وافدة بديلا لمرجعيتهم. إلا أن الواقع أثبت أنه حتى الآن لم يستطع النصوصيون هضم الحاضر بمستجداته، وعليه فان النتيجة العملية لذلك تمثل نكوصا عن انجاز تحقق فى الواقع عبر التاريخ، وعجزا عن إمكانية اعمال التجديد للنص كى يستجيب لهذا الانجاز. والثابت حتى الآن ومنذ بدء تناول الآخر الدينى من قبل الطائفيين، أن المسألة لم تتجاوز استحضار الماضى .

ثانياً: الاقلويون

ونقصد بهم الذين يحاولون الدفاع عن حقوق الأقباط على أرض «**الأقلية**» أى اعتبار الأقباط أقلية .

لقد تبلور هذا الفريق كرد فعل لمواجهة الفريق الأول وينطلق أنصار هذا الفريق من أن للأقباط هموما ينبغى السعى لحلها، وأنهم أقلية تعانى من الجور. ونحن مع إقرارنا بأن هناك هموما يعانى منها الأقباط ، إلا أن المحصلة النهائية لهذا الفريق أنهم قدموا الأقباط باعتبارهم جماعة مستقلة الأمر الذى يعنى ضمنا عزل الأقباط عن الجماعة الوطنية.

لقد اعتمد أنصار هذا الفريق على تطبيق مفهوم الاثنية على الاقباط ودفعهم إلى الشعور بالتمايز وتضخيم التباين والاختلاف بينهم وبين باقى مكونات الجماعة وترجمة هذا الشعور. إلى ممارسات ومواقف عملية، والتى تتجسد فى الدعوة من قبل البعض إلى اقامة تنظيم سياسى عصودى واعتبار ذلك تطويراً لنظام الملة العثمانى، رغم أن الثابت تاريخيا أن الأقباط فى مصر لم يتحولوا مع نظام الملل إلى أقلية أو قومية ، وأن نظام الملة فى مصر لم يتعد مسائل الأحوال الشخصية.

والراصد لحركة هذا الفريق فى الأعوام الأخيرة يجد أن حركتهم تأتى مواكبة للأنشطة الدولية المتنامية فى مجالى حقوق الانسان/ حقوق الأقليات ، الأمر الذى أصبح الأقباط بموجبه موضع اهتمام الهيئات التى تعمل فى هذين المجالين ودفع إلى تنظيم لقاءات عدة فى العامين الأخيرين لمناقشة هموم الأقباط تحت مظلة حقوق-الانسان وإعلان الأمم المتحدة لحقوق المنتمين إلى أقليات قومية واثنية ولغوية. ويرتكز خطاب هذا الفريق فى هذه اللقاءات على تعزيز ورصد حقوق الأقليات وأيضا تعزيز الهوية الذاتية للأقليات وبدلا من أن تناقش هموم «الأقليات» على أرض الوحدة انما نجدها تناقش على أرض تعزيز الهوية الذاتية والتى تعنى ضمنا الاستقلال عن الآخر- الأكثرية- كما تعطى مجالا للتدخل الخارجى.

وبعد، إن المحصلة النهائية لحركة هذين الفريقين هى أن الاقباط صاروا محاصرين بين فريقين ينظر الأول إليهم باعتبارهم «ذمة» والثانى «**كأقلية**» ورغم التناقض بين الفريقين فى الدوافع والأهداف، إلا أنه من الناحية العملية نجد أن كل فريق قد صار وجوده مبرراً لوجود الآخر، ويغذى كل منهما الآخر بالأدبيات والممارسات المتنوعة، الأمر الذى يأتى فى النهاية على حساب الحركة الوطنية المصرية والانجاز المصرى فى مجال التكامل الوطنى.

إن الفريقين ينظر آن إلى الأقباط باعتبارهم جماعة طائفية أقلوية مستقلة، وكتلة واحدة صماء، لا يوجد بداخلها تنويعات طبقية واجتماعية وانهم منتشرون فى جسم المجتمع المصرى.

كذلك يستبعد الفريقان المواطنة ، كأرضية للعلاقة والتفاعل الحى بين مكونات الجماعة ودفعا لها للنهوض، واستبدالها «**بالطائفية**» و«**بالاقلوية**».

انما نستشعر خطرا كبيرا من أن يستحكم الحصار المنسوج حول الاقباط من قبل «**الطائفيين**» و«**الأقلويين**» الأمر الذى قد تكون له تداعيات كثيرة فى المستقبل. إننا ندعو كل القوى الوطنية إلى التكاتف **وفك هذا الحصار ودعم التكامل الوطنى بين مكونات الجماعة الوطنية على أرض «المواطنة».**

الراشد

صورة جديدة للنهب الدائم

قبل عشر سنوات وتحديداً عامى ١٩٨٥ و١٩٨٦ أصيب البنك العربى الأفريقى الدولى بأزمة اقتصادية سريعاً ماتحولت لكارثة ، وذلك نتيجة سياسات خاطئة اتخذها رئيسه آنذاك ابراهيم الابراهيمى ، باستغلال سلطاته ، حيث توسع فى تقديم قروض لتمويل عمليات تخص خليجيين ، وكويتيين بشكل خاص ، إضافة إلى دول أمريكا اللاتينية وتسهيلات لبنوك وحكومة السودان ونتيجة سياسات إدارة البنك تعثر معظم عملائه فى الوفاء بالتزاماتهم واستهلك كل احتياطياته المتراكمة منذ تأسيسه ، والبالغة ٨٢ بليون دولار : واشتدت الأزمة فى نهاية عام ١٩٨٦ نحقق البنك خسائر ضخمة نتيجة تعثر سداد ٢ر١ مليار دولار منها ٦٧٢ مليون دولار تخص عملاء كويتيين .

وأمام ذلك ، وللخروج من المأزق ، تم تخفيض رأسمال البنك بنحو ٢٠٠ مليون دولار وتدخلت مصر والكويت بتقديم وديعة بواقع ٢٠٠ مليون دولار لكل منهما يتم تجديدها سنوياً ولمدة ١٠ سنوات وبسعر فائدة ١٪ ، ثم تم زيادة الوديعة عام ١٩٩١ بواقع ١١٠ ملايين دولار . وبلغ ماتحمله الجانب المصرى من خسائر نحو ٥١٠ ملايين دولار.

وبعد انسحاب أغلب المساهمين ، بعد فقدان الثقة فى البنك . بقيت مصر" البنك المركزى" والكويت " هيئة الاستثمار الكويتية " ليمثلا المؤسسين الرئيسيين فى البنك برأسمال ١٠٠ مليون دولار وتم الاتفاق على أن تكون الإدارة الفعلية من خلال العضو المنتدب المصرى.

فساد وسيطرة الابراهيمى يتكرران فى البنك العربى الأفريقى

محمود الخضرى

ابراهيمى جديد

وكاد الجميع ينسون أزمة الثمانينات ، بعد مابدأ البنك يحقق أرباحاً ويستعيد ثقته حتى عام ١٩٩٤ عندما بدأ ممثلو هيئة الاستثمار الكويتية التدخل فى شئون إدارة البنك اليومية بالمخالفة للوائح البنك . تتقدم محمد ابراهيم فريد العضو المنتدب باعتراض لرئيس مجلس الإدارة فهد محمد الراشد " كويتى" تحسباً لأية مشاكل قد تضر بأعمال البنك.

ولم تفلح محاولات العضو المنتدب ، فطلب الراشد وأعضاء مجلس الإدارة الكويتيون من مراجع الحسابات " حازم حسن - مصرى" - إعادة هيكلة النظام الإدارى ، وانتهى ذلك بإلغاء منصبى المدير العام الرئيسى للنشاط الداخلى " سامى الحلوانى" وللنشاط الخارجى " محسن خالد" وقدم الأول استقالته.

وبدأت سلسلة تدخلات فهد الراشد خليفة الإبراهيمى صاحب كارثة الثمانينات " حيث قرر الإبقاء على محسن خالد رغم إلغاء منصبه ، وبنفس منصبه وبراتب مليون و٥٤ ألف جنيه ، وهو ماكان يتقاضاه فى لندن .

تحريات

تحركت على الفور عقب ذلك أجهزة رقابية وأمنية سيادية وأجرت تحريات ،

أجهزة رقابية وأمنية تحقق فى المال السايب لمصر والكويت

وكشفت التحريات عن أن محسن خالد ومحمود النورى « عضو مجلس إدارة البنك عن هيئة الاستثمار الكويتية » كانا مسئولين عن كوارث مصرفية سابقة . انتهت بتخسير وإفلاس بنك الخليج المتحد " كويتى بحرينى " على مدى السنوات ٨٢ -١٩٨٧ التى عملا بها بالبنك والذى كان يشغل محمود النورى العضو المنتدب به . والنورى هذا له قضية أخرى تتعلق بتهريب آثار من مصر وسنتعرض لها فيما بعد .

وتكشف المعلومات أن الاثنين كانا مسئولين أيضا عن خسائر فرع البنك العربى الأفريقى الدولى فى لندن منذ أعوام ١٩٨٨ حتى ١٩٩٤. بل اتضح أن محسن خالد دخل البنك العربى الأفريقى بشهادة خبرة من محمود النورى بصفته عضواً منتدباً لبنك الخليج المتحد البحرينى وهنا تثار علامات استفهام حول طبيعة الشهادة والعلاقة الشخصية بين النورى ومحسن خالد.

الراشد .. الابراهيمى

لم يرتدع فهد الراشد من كارثة البنك فى الثمانينات والتى كانت سبباً فى تخسير بلاده " الكويت " ومصر ملايين الدولارات - ٧٠٠ مليون دولار على الأقل - ولم ينظر إلى التحذيرات التى وصلته من جهات عديدة بل استمر فى مخالفة قانون تأسيس البنك ولائحته .

قام الراشد - رغم كل ماأثير حول محسن خالد من علامات استفهام - بمنحه كمدير عام رئيسى صلاحيات العضو المنتدب مثل الاشراف على الاستثمار والخزانة والائتمان والتسويق والفروع المحلية والخارجية . علاوة على اشتراط موافقة مجلس الإدارة على قرارات واختصاصات العضو المنتدب فى التحقيق مع المختلسين أو المخالفين أو فى قرارات النقل أو الترقية أو التعيين.

البنك المركزى

كانت مشكلة كارثة الثمانينات أن البنك المركزى فوجئ بما حدث على أيدى إبراهيم الإبراهيمى وتم توجيه اللوم لأعضاء مجلس الإدارة والعضو المنتدب من المصريين عن صمتهم إزاء المخالفات التى ارتكبها الإبراهيمى وتسبب فى إهدار ٥ر١ مليون دولار على البنك والدول المساهمة فيه خاصة مصر والكويت ، ولولا الحساسيات والأسباب السياسية لكان معظمهم فى السجون حاليا.

ولكن من نلوم هذه المرة فالوثائق تؤكد أن محافظ البنك المركزى إسماعيل حسن على علم بكل التفاصيل من أول لحظة وحتى آخر الوقائع ، ولديه معلومات عن كل كبيرة وصغيرة ومايحدث فى البنك - بل الأكثر من ذلك فالرقابة الإدارية تحركت من جانبها وأعدت تقريراً فى هذا الشأن ، كما تحركت جهات أخرى وبحثت الموضوع .. ولم يقف الأمرعند ذلك ، فهناك عضوان بمجلس إدارة البنك يشغلان منصب وكيلى محافظ البنك المركزى على علم بكل التفاصيل ، فماذا فعلا لحماية المال العام؟ أقصد أموال البنك المركزى وحصته فى البنك..

وتؤكد الوثائق " أيضا أن رئيس الوزراء السابق د. عاطف صدقى علم بالتفاصيل ولزم الصمت .. وأخيرا د. كمال الجنزورى رئيس الوزراء الحالى تلقى معلومات هو الآخر فمتى يتحرك؟!

عودة لما يحدث

نعود لما يحدث بالبنك العربى الأفريقى الدولى لنعرف أن أعضاء مجلس الإدارة تسعة وهم حاليا ثمانية فقط منهم ٤ عن الجانب المصرى وأربعة عن الجانب الكويتى . ولم يتم تعيين التاسع الذى يمثل باقى المساهمين الذين يمثلون حالياً ٥ر١ من رأس المال . أضف إلى الثمانية رئيس مجلس الإدارة " كويتى" ، وبهذا تصبح أغلبية الأصوات فى صالح رئيس مجلس الإدارة فهد محمد الراشد . بل نجح فى أن ينحاز إليه بعض أعضاء المجلس من المصريين . وبالتالى تصدر قرارات المجلس فى صالح مايريده الراشد « الإبراهيمى» .. فماذا كانت النتيجة ؟

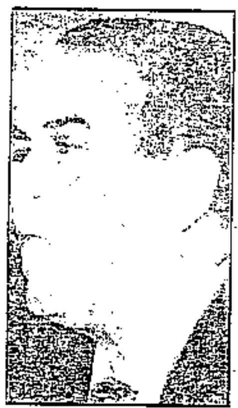


البنك المركزى تلقى تفاصيل المخالفات ولم يتحرك حتى الآن



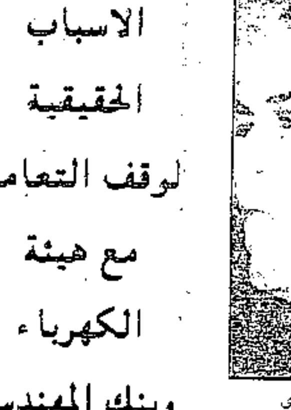
د. عاطف صدقى

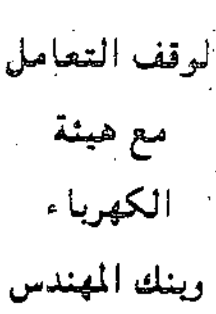
علم ولم يتحرك!!



د. كمال الجنزورى

يعلم فمتى يتحرك





الاسباب الحقيقية لوقف التعامل مع هيئة الكهرباء وبنك المهندس

التشكيك فى كهرباء مصر

صدور قرار - بمنح شركة كويتية قرضاً ١٢ مليون دولار - لشراء حصة شركة إيجوت المصرية فى فندق شيراتون هليوبوليس ، رغم وضوح سلبية هذا القرار .

ارتأى فهد الراشد ، ولأسباب يبدو أنها سياسية ، أن وجود مكتب تمثيل بالأردن للبنك أمر لايجب أن يستمر ، وكذلك وجود بنك تونس العربى الأفريقى ، واستصدر قراراً باغلاقهما .

ولأسباب غير اقتصادية ، استصدر الراشد قراراً بوقف التعامل مع بنك المهندس المصرى الذى كان يغطى خسائر فرع لندن كعميل ، والمتسبب فيها محسن خالد .. بل تم إعداد تقرير يحذر من التعامل مع هيئة كهرباء مصر ، ويشكك فى التزامات الهيئة المصرية ، وأوقف التعامل معها .. واتضح عدم صحة ذلك .. ومازال البنك يسعى لتصحيح أخطاء الراشد ولكن بعد ماذا ؟ .

المال السايب

منذ تعيين فهد محمد الراشد رئيساً لمجلس الادارة فى ١١ أكتوبر ١٩٩٢ ، وبدأت الفوضى فى إدارة البنك ، وأصبح التعامل مع المال المصرى الكويتى يتم على أساس أنه ليس له صاحب .. فهو مكلف بحضور اجتماعات مجلس الادارة التى تصل الى ستة اجتماعات سنوياً . ولكن بمجرد علمه بتشكيل لجنة تنفيذية ، زادت سفرياته واصبحت بمعدل مرتين فى الشهر دون إخطار مسبق للعضو المنتدب . ويعتبرها مهاماً رسمية للحصول على أكبر قدر من بدلات السفر والإقامة .. وهو مادعا محمود النورى أن يفعل نفس الشئ لدرجة أنه يبتدع الوسائل ليحصل على أكبر بدل سفر.

وبدأ الراشد فى ممارسة سلطات أوسع ، فرغم أن أى اتصال بالعاملين بالبنك يتم عبر العضو المنتدب ، إلا أنه تجاهل ذلك ويتصل مباشرة بالمدير العام الرئيسى ، ليتم إعداد قرارات يفاجئ بها الجانب المصرى والعضو المنتدب نفسه .

سفريات وبدلات

وإمعانا فى إهدار المال المصرى الكويتى تم ترتيب جولة يقوم بها رئيس مجلس الإ دارة فهد الراشد والمدير العام / محسن خالد لمراسلى البنك فى أوربا وأمريكا لمدة أسبوعين فى يونيو ١٩٩٥ ، دون إخطار بوقت كاف للعضو المنتدب . ثم تمادى الراشد بدعوة المدير العام للقائه فى الكويت دون تقديم تقرير بما تم أو ماكان سيناقش فى هذا اللقاء " ٢٣ يناير ١٩٩٥ " وذلك بالرغم من أن مثل هذه المهام يقوم بها عادة نائب المدير العام ومدير العلاقات المصرفية.

ويواصل الراشد تصرفاته بترتيب حفل استقبال مع المدير العام دون إخطار للعضو المنتدب فى بيروت يوم ٣ يوليو ١٩٩٥ بمناسبة افتتاح فرع رياض الصلح بل قام المدير العام بتعيين ٣٩ موظفاً دون العرض على العضو المنتدب المصرى بمزايا ومرتبات ومناصب تفوق العاملين القدامى الذين تحملوا أزمة البنك على مدى ٥ سنوات ، وجرى التعيين لتشكيل جبهة حماية للفساد داخل البنك .

ولكن ماهى حكاية تهريب الاثار ، وخسائر سندات فرع لندن ، والانتقام من العاملين الذين كشفوا ذلك؟

- وماهى حكاية مكافآت أعضاء مجلس الإدارة بالبنك والأعضاء بالشركات التى يساهم فيها وموقف البنك المركزى؟

* كشفت الوثائق عن تورط عضو مجلس الإدارة الكويتى محمود النورى فى تهريب آثار مصرية عقب حضوره اجتماع لمجلس إدارة البنك ، وتم تحرير محضر بالواقعة بشأن بوليصة الشحن رقم ١٩١٣٥ ، وجرى قيد المحضر برقم ٥٧٠٧ لسنة ١٩٩٣ إدارى النزهة ثم برقم ٤٣١ لسنة ٩٤ حصر وارد شئون مالية فى ١٨ نوفمبر ٩٤ . ولعدم افتضاح الأمر تم التصالح وسدد غرامة ٦٧٣٢٦ جنيها بالاضافة الى ضعف قيمة المضبوطات والتى كانت عبارة عن ١٠ شبابيك أرابيسك أثبت تقرير الآثار أنها أثرية فعلاً وتم تسجيلها ضمن مقتنيات المتحف الاسلامى .

الغريب فى الأمر أن مجلس الإدارة قام فيما بعد باحالة أحد العاملين فى البنك الى التحقيق بتهمة أنه سرب أنباء المحضر إلى وسائل الإعلام . ولم يتخذ المجلس أى إجراء ضد المتهم الرئيسى الذى أساء للبنك.

* ومن الوقائع المريبة أيضاً قيام المدير العام الرئيسى بالانتقام من أعضاء إدارة التفتيش التى كشفت أنه فى لقائه فى فرع لندن قام بشراء سندات مالية كانت سبباً فى تخسير البنك الملايين بعد ما اتضح أن الشركة المصدرة لها قد أفلست حيث أوعز المدير العام الرئيسى فيمابعد - وبعد انتقاله إلى القاهرة - إلى نائب المدير العام بتقديم شكوى لمجلس الإدارة للتحقيق مع المدير العام المساعد الذى كشف الأخطاء . وعندما جاءت التحقيقات بعكس ماأرادوا قام رئيس مجلس الإدارة باحتجاز ملف التحقيقات دون عرضه على المجلس.

ومن المخالفات التى تجاهلها البنك المركزى المصرى عدم التحقيق فى حصول بعض أعضاء مجالس الإدارة من بينهم ممثل البنك المركزى سعيد سنجر على مكافآت من الشركات التى يساهم فيها البنك العربى الأفريقى الدولى ، وبلغت للواحد ١٥٦ ألف جنيه . بينما لم يوافق مجلس إدارة البنك لنحو ٢٣ عضواً آخرين فى باقى الشركات بصرف أى مكافأة.

السؤال الأخير لماذا يظل البنك المركزى صامتاً على المخالفات رغم الشكاوى الأخيرة حول إحالة ١٧ من العاملين للتحقيق بتهمة الاتصال بالصحف بينما لم يهتم مجلس إدارة البنك بتصحيح الأخطاء؟!

قبل أن نفاجأ بقانون عمل من عصر العبيد (٢)

الحكومة تكبل نقابات العمال.. وتشرّع للمفاوضة مع أصحاب الأعمال

حسن بدوى

ولأن الحكومة انتهت منذ عام مضى من الياغة النهائية لمشروع قانون العمل الموحد .

ولأنها- كما أشرنا فى العدد الماضى - تنتظر الوقت المناسب من وجهة نظرها لإقراره فى مجلس الشعب .. وقد يكون هذا الوقت المناسب فى بداية الدورة البرلمانية القادمة بعد عشرة أسابيع تقريباً.

ولأنها جادة - منذ تولى د. كمال الجنزورى رئاستها - فى الإسراع بعمليات الخصخصة ، بما يعنى واقعياً انسحاب الدولة تماما من علاقات العمل والأجور ، فيما يخص حوالى عشرة ملايين عامل بأجر بعد الحاق قطاع الأعمال العام نهائيا بالقطاع الخاص ، وترك الأمور فى هذا المجال للمفاوضة الجماعية بين أصحاب الأعمال والعمال ، وهو جوهر مشروع قانون العمل الموحد.

ولأن أصحاب الأعمال يملكونَ - كما قلنا فى العدد الماضى - الثروة والسلطة ويهيمنون على أجهزة الدولة ومؤسساتها التشريعية والإعلامية.

فانه لابد ، وحتى يكون لقانون العمل الموحد معنى ، أن يوجد الطرف الآخر المفاوض ، أى تنظيم نقابى مستقل قادر على تنظيم وقيادة الطبقة العاملة بالتعبير الديمقراطى الحقيقى عن مصالحها ، ويملك كافة أسلحة التفاوض الديمقراطى المتعارف عليها دوليا - دون أية قيود - وفى مقدمتها سلاح الإضراب عن العمل.

وبدون ذلك يندفع المجتمع بأسره إلى ميدان الإرهاب والإرهاب المضاد الأمر الذى يهدد بالخطر مستقبل الوطن كله ومصير الأجيال القادمة.

فما هو حال هذا الطرف المفاوض الآخر - أى التنظيم النقابى للعمال - الآن ، وهو مقبل على انتخابات نقابية بعد شهرين ؟ وهل يمتلك الاستقلالية والقدرة والأسلحة المطلوبة لممارسة دوره الديمقراطى الفعال فى المفاوضة الجماعية حول علاقات العمل والأجور؟ وكيف تتعامل معه الحكومة وقوانينها ؟ وهل يؤدى هذا التعامل إلى إحداث التوازن المطلوب بين طرفى التفاوض؟ أم إلى اختلال خطير يهدد المجتمع بأسره؟

مأزق الحكومة

الحكومة التى تندفع فى طريق الخصخصة وتحرير الاقتصاد والانسحاب من مجال علاقات العمل، كان لابد حتى تتوازن أوضاع المجتمع أن تطلق فى نفس الوقت الحريات السياسية والنقابية وتعيد صياغة تشريعات العمل النقابى لتطلق حركة العمال - وهم إحدى قوى المجتمع الأساسية - فى مسار ديمقراطى ، باعتبار أن ذلك أكثر المسارات أمنا وتحقيقا لنتائج إيجابية

ولكنها رغم إلقائها بكل مخاوفها جنبا من عمليات الخصخصة وتفكيك وتصفية القطاع العام - سندها الاقتصادى والاجتماعى - بما يؤدى إليه ذلك من ضياع هيبتها وقدرتها أمام قوى الضغط الخارجية والداخلية المهيمنة على ثروة المجتمع .. فإنها-أى الحكومة - فى نفس الوقت ، مازالت تتحسس مسدساتها كلما سمعت كلمة ديمقراطية أو استقلالية نقابية أو حقوق العمال فى وسائل النضال السلمى كالإضراب والتظاهر وغيرها .

عسكرة

ولعل حديث د. عاطف عبيد لجريدة " الأهرام" منذ عدة أسابيع والذى استمر ثلاثة أيام متوالية ، وتضمن قوله بالنص إن عمليات الخصخصة لابد أن تتم بادارة عسكرية " ودعوته لترك هذه الأمور لربان السفينة - أى للحكومة - لم يأت من فراغ.

ففى ٢٩ مارس ١٩٩٥ صدق الرئيس مبارك على تعديلات قانون النقابات العمالية التى أقرها مجلس الشعب برقم ١٢ لسنة ١٩٩٥.

وكان أخطر مافى تلك التعديلات، تلك المواد التى تكرس هيمنة العناصر الحكومية على قيادة التنظيم النقابى ، وتحول دون حدوث أية تغييرات ذات قيمة فى المستويات العليا للتنظيم النقابى ، تعبر عن إرادة الجمعيات العمومية للعمال أو لنقاباتهم العامة .

فالمادة ٢٣ من التعديلات تنص على :« ويجوز لمن أحيل إلى المعاش لبلوغ السن القانونية والتحق بعمل داخل التصنيف النقابى الذى تضمه النقابة العامة دون فاصل زمنى ، الحق فى الانتخاب أو الترشيح للمنظمات النقابية»

هذه المادة جاءت تفصيلاً لاستمرار معظم أعضاء مجلس إدارة الاتحاد العام لنقابات

إغلاق المسار الديمقراطى أمام العمال يدفعهم لشق مسار بطريقة إنفجارية

العمال والنقابات العامة ، وأغلبهم أعضاء فى الحزب الحاكم - حتى وإن استفاد منها فرد أو اثنان من المستقلين أو المنتمين لهذا الحزب المعارض أو ذاك - فلا ضرر ولاضرار ، فاستمراره أهون من أية تغييرات أخرى غير محسوبة قد تستبعد الحزب الحاكم من مقاعد الأغلبية فى التنظيم النقابى ..

وإذا كانت الخشية من هيمنة الإخوان وجماعات الإرهاب مبرراً تعلنه الحكومة لهذا التوجه فى التشريع ، فإن هذا التوجه نفسه لن يحول دون تفشى تيار الإرهاب الفكرى والمسلح ، بل يقويه كما أن إغلاق منافذ الديمقراطية أمام قوى الاستنارة - واليسار فى مقدمتها - ساعد كثيرا على نمو تيارات الإرهاب.

بل إن التعديلات سمحت أيضاً " لعضو مجلس إدارة النقابة العامة أو الاتحاد العام الذى انتخب عضواً بأحدهما لمدة دورتين متتاليتين وسابقة على الدورة المراد الترشيح إليها ، التقدم بطلب الترشيح مباشرة لمجلس إدارة النقابة العامة "- أى دون خوض الجولة الأولى من الانتخابات القاعدية أمام الجمعيات العمومية فى مواقع العمل - وذلك بعد أن سقط كثيرون من قيادات ونواب وأعضاء الحزب الحاكم فى انتخابات لجانهم النقابية فى الانتخابات الماضية عام ١٩٩١ ، منهم على سبيل المثال عمر فيصل الديب عضو مجلس الشعب عن الحزب الوطنى فى ذلك الوقت ، وسليمان إدريس عضو الحزب الوطنى ونائب رئيس النقابة العامة للصناعات الهندسية وقتها والذى كان مرشحاً فى حالة تخطيه الجولة الأولى لتولى رئاسة النقابة العامة .. وغيرهما

والمدير النقابى

تلك التعديلات أيضاً ، تم تفصيلها لتحقيق مزايا جديدة لقيادات المستويات العليا من التنظيم النقابى ، فنصت المادة ٣٦ فقرة ٢ على« ... ويظل للعضو الذى أمضى دورة نقابية سابقة مباشرة للدورة النقابية المراد الترشيح لها ، عضواً بمجلس إدارة المنظمة النقابية ، محتفظاً بعضوية جمعيتها العمومية عند شغله لإحدى الوظائف التكرارية من مستوى وظائف مديرى العموم أو الإدارة العامة ومافي مستواها ممن ليس لهم الحق فى توقيع الجزاء".

وجاءت المادة ٣٦ فقرة و لتنص على « ويشترط فيمن يرشح نفسه لعضوية مجلس إدارة المنظمة النقابية ألا يكون عاملاً مؤقتاً أو معاراً أو منتدباً .. الخ»

ولأن هناك عمالاً مؤقتين يعملون بشركاتهم منذ مدد تتراوح بين سنة وأكثر من عشرين عاماً .. ولأن هؤلاء يجرى تسريحهم بالجملة فى هذا الوقت ولأن من يتم تثبيتهم يرون على مصافى الإدارات ، فإن القيادات النقابية من العمالة المؤقتة ستستبعد بهذا النص من الانتخابات القادمة ليحل محلها عناصر من الموالين للإدارات فى معظم الحالات.

الأخطر أن تعديلات قانون النقابات العمالية لم تقترب من المادة ٧٠ وهى مازالت باقية فى القانون وتنص على أنه للوزير المختص أو النيابة العامة حق التقدم بطلب للمحكمة الجنائية المختصة بحل أى منظمة نقابية تقوم بأى عمل احتجاجى !!

إنها مادة منقولة نصاً من المواد ٩٨ و١٠٢و١٠٢ مكرر من قانون العقوبات ، وهى منقولة بدورها من قوانين الفاشية الإيطالية فى عهد موسولينى وتجرم كل من يروج أو يحبذ لهيمنة طبقة على طبقة .. إلى آخر تلك التعبيرات الهلامية المطاطة .. والغريب أن توضع فى قانون تنظيم نقابى هو طبقى بطبيعته !!

هذا عن القيود التشريعية..

فماذا عن التعامل الفعلى للحكومة؟

تدخل مبكر

منذ عدة أسابيع تفرغ وزير القوى العاملة أحمد العماوى لعقد لقاءات مع مجالس إدارات النقابات العامة للعمال (٢٣ نقابة عامة).

يقولون إنها لقاءات تتم للإعداد لمقاومة تسلل الإرهابيين للتنظيم النقابى .. وهذا التبرير فى حد ذاته يؤكد تدخل الحكومة .. فضلا عن تأكيده لضعف وعجز قيادة هذا التنظيم عن الارتباط بقواعدها العمالية والتأثير الديمقراطى فيها وكسب تأييدها وقدرتها على عزل تيار الإرهاب جماهيريا..

ويتردد أن تلك اللقاءات تتضمن فى بعض النقابات التى لاتضم عنصراً يسارياً هجوماً على اليمين واليسار معاً ، على دعاة الإرهاب ودعاة الإستنارة والوحدة الوطنية معاً!!

وبعد ..

تلك المقدمات جميعها تؤكد عزم الحكومة على استمرار قبضتها على رقبة التنظيم النقابى ،، وهى بذلك تجعل هذا التنظيم أكثر عجزاً وعزلة عن مواجهة تحديات مرحلة الخصخصة فهو تنظيم يكاد يكون الوحيد من نوعه فى العالم الذى تتخوف قياداته العليا من النطق بكلمة إضراب عن العمل ، رغم أن الإضراب ملازم فى كل بلاد الدنيا للعمل النقابى العمالى . وكانت مصر سباقة فى ذلك ومارست الحركة العمالية فيها دورها النقابى النضالى منذ بدايات القرن العشرين بل ومارست سلاح الإضراب منذ نهايات القرن الماضى.

كلمة أخيرة.

إن حركة الصراع الاجتماعى لايمكن أن تتوقف ، فاذا لم تنفتح أمامها المسارات الديمقراطية .. فإنها بلا شك تشق لنفسها بقوة الضغط المتراكم طريقاً فى بطن جبال التشريعات سيئة السمعة والتدخلات والقيود والضغوط الحكومية .. ولكن شق هذا الطريق سيكون بلا شك انفجاريا .. مدويا .. غير مأمون العواقب.

جنون البقر..وجنون الخصخصة (٢)

قيام وسقوط صناعة الدواجن فى مصر

عريان نصيف

تعرضنا فى العدد الماضى ؛ عندما فتحنا ملف مافيا استيراد اللحوم، إلى مخطط هذه العصابات -التى تربحت فى سنوات قليلة الكثير من مليارات الدولارات على حساب غذاء الشعب-والذى يستهدف ضرب أى بدائل محلية للحوم المستوردة، وبدأنا بعرض دورهم فى تدمير الثروة السمكية.

ونعرض اليوم لأبعاد هذا المخطط الجهنمى فى مجال الثروة الداجنة.

انتعاش وانهيار صناعة الدواجن

مع دعاوى ما يسمى بسياسة الانفتاح الاقتصادى وتشجيع المشروع الخاص التى سادت فى مصر منذ منتصف السبعينيات ،كان من الطبيعى أن تنمو -بالعمق والانتشار- صناعة الدواجن المحلية.

ووصلت الأرقام الخاصة بهذا المجال فى عام ١٩٨٥ ، لما يلى:

١٨ ألف مزرعة قطاع خاص (بأحجام مختلفة) تنتج حوالى ٤٫٥ مليار بيضة سنويا.

٤٢٠ مليون دجاجة سنويا . (أى ما يقرب من ٣٠٠ ألف طن لحم أبيض).

٢٫٥ مليار جنيه حجم الاستثمار لهذ الصناعة.

بالاضافة إلى المزارع العامة التى وصل إنتاجها إلى:

- ١٠٠ مليون بيضة فى السنة.
- ٢ مليون دجاجة سنوياً.

ولأن الرأسمالية المصرية فى هذا العصر السعيد ،من نوع خاص- تابع من طين بلدنا!- فبدلا من التوسع فى الاستثمار فى هذا المجال الهام، القادر على توفير هامش ربح كبير للمنتجين، فى نفس الوقت الذى يتيح فيه للمستهلكين الحصول على نسبة معقولة من البروتين الحيوانى (حيث إن ارتفاع أسعار اللحوم الحمراء، جعل متوسط ما يحصل عليه المواطن المصرى- وفقا لاحصاءات المنظمات الدولية المتخصصة- لا يتجاوز ١٥ جراماً فى اليوم، فى الوقت الذى تضع فيه هذه المنظمات مقدار ٥٠ جراماً كحد أدنى لازم للإنسان).

بدلا من ذلك، كان قرار مافيا استيراد اللحوم -ومن يساندونهم ويحمونهم- أن ساعة الصفر قد حانت لتدمير صناعة الدواجن فى مصر.

ففى الفترة من ١٩٨٤ حتى ١٩٨٦، تم فى هذا المجال حدثان هامان كمؤشران لتلك المؤامرة:

* قيام أحد كبار منتجى البيض باعدام ١٠ مليون بيضة بحجة المحافظة على السعر.

* قرار د. **يوسف والى وزير الزراعة** باعدام مليون كتكوت من إنتاج المزارع العامة، بحجة عدم توافر العلف الكافى.

.. ولعل هذان القراران كانا يندرجان تحت ما يسمى "عمليات «جس النبض» .وعلى ضوء مرورهما، ابتدأ مسلسل سقوط -أو بالدقة إسقاط - صناعة الدواجن المحلية.

واتسع المخطط المستهدف احتكار إنتاج الدواجن لعدد محدود من كبار المربين للتحكم فى سوقها من ناحية ،ومن ناحية أخرى حتى لا تصبح بديلا للحوم الحمراء، وعائقا أمام مستورديها الذين كانوا قد برزت أنيابهم وطالت مخالبهم .وخاصة أن هنالك ترابطا-إن لم يكن توحدا-بين المحتكرين فى كلا المجالين.

وبالفعل-وعلى ضوء ذلك- تدهور الإنتاج فى الثروة الداخلية إلى ما يلى:

*أغلقت أكثر من ٧٠٪ من مزارع التربية، وبالذات الصغيرة والمتوسطة، بكل ما يعنيه ذلك من خراب لأصحابها والعاملين بها.

* إنهار الانتاج بنسبة تقرب من ٧٥٪ (المتوسط ١٣٠ مليون دجاجة).

*ارتفعت بالتالى نسبة استيراد اللحوم سواء الحمراء أو الدواجن المذبوحة.

عوامل تدمير الثروة الداجنة

(١) قرار وزير الزراعة فى ١٩٨٦، بتحرير سعر الذرة (العلف الرئيسى للدواجن)، وقرار وزير التموين -فى نفس العام- بوقف استيراد الدولة له وترك ذلك للقطاع الخاص.

وقد أدى ذلك إلى الارتفاع الكبير فى أسعار العلف بما لا يترك هامشا معقولا من الربح يمكن الآلاف من مزارع التربية (الصغيرة والمتوسطة) من الاستمرار فى الانتاج، كما أدى-فى نفس الوقت- إلى الانتشار الكبير لما يسمى مصانع«تحت السلم»!. التى تقوم بانتاج علف غير مطابق للمواصفات الصحية حيث يتكون من مخلفات المجازر من دم مجفف وجلد وشعر بالاضافة إلى اليوريا وملح الطعام.. الخ هذه المواد الضارة بصحة الانسان المستهلك ، بخلاف عدم غربلته وترك نسبة كبيرة من التراب به.

(٢) رفع الدعم كلياً عن الأعلاف وفق ما يسمى سياسة الخصخصة على الطريقة المصرية!.



(٣) خفض الجمارك على الدواجن المذبوحة المستوردة - تزيداً حتى على اتفاقيات الجات التى سمحت بهامش زمنى لذلك الخفض- مما أدى إلى حالة من «الإغراق» للمستورد فى السوق على حساب الانتاج المحلى.

وقد رفض السيد/ وزير التموين السابق، الاقتراح الذى طرح فى مجلس الوزراء آنذاك بوضع حوالى ١٥٠ مليون جنيه (بمعدل جنيه واحد للطن) لحماية الدواجن المحلية من هذا الاغراق.

(٤) فساد الأجهزة، الذى أدى إلى أن يفاجأ د. **ممدوح شرف الدين** المستشار بوزارة الزراعة فى مارس ١٩٩٤ ، بوصول شحنة هائلة من الطيور المستوردة بالرغم من صدور القرار الوزارى رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٩٤- قبل دخول تلك الشحنة بأقل من عشرة أيام بوضع ضوابط ومواصفات لاستيراد الدواجن المجمدة.

(٥) استنفاذ جانب كبير من نسبة القروض المخصصة فى بنك التنمية والائتمان الزراعى لإقامة مزارع للدواجن، فى مشروعات وهمية، لقطع الطريق على العناصر الجادة فى هذا الإنتاج فى الحصول على قروض تمكنها منه.

(٦) فى نفس الوقت الذى ثبت فيه أن كثيرا من المستورد (علفا أو دواجن) يحمل العديد من الأمراض ، كما يتضح مما يلى:

*جزء كبير من الذرة المستورد يحمل فطريات طبيعية تجعل استخدامه كعلف أمراً ضاراً ، ولكن ذلك يتم ويتسع من خلال «مستوردين بلا ضمير» كما يصنفهم د. **عبد الخالق الغمرى**- خبير تغذية الحيوان بالمركز القومى للبحوث.

* شركة كبيرة تدعى «شركة المهن الطبية للمنتجات البيطرية وإضافات الأعلاف»، تعلن على صفحات الجرائد «القومية» عن منافسة لاستيراد ١٥٠٠ طن من مسحوق اللحوم والعظام ، بالرغم من أن ذلك الاعلان نشر مرارا بعد الحملة على ما يسمى جنون البقر وعلى الرغم من مخاطره على صحة الإنسان وخاصة بالنسبة لمرضى الفشل الكلوى . وعندما تواجه صحيفة «الشعب» فى ١٩٩٦/٦/٤ ، المسئول عن الشركة بذلك، يكتفى بأن يؤكد أن هذه الاعلاف مخصصة للدواجن!!

* العديد من الأمراض- التى لم نكن نعرفها إلا من الكتب، وفق تعبير د. **صلاح عبد الكريم** أستاذ الطب البيطرى بجامعة القاهرة- لم توجد فى مصر إلا بعد دخول الدواجن الإسرائيلية.

** بالرغم من هذه الأمراض والأخطار من الدواجن -أو أعلافها -المستوردة إلا أنه -وفقاً لمخطط تدمير صناعة الدواجن المصرية ، يتم تجاهلها وعلى العكس تروّج -بالعديد من الوسائل الإعلامية- مقولات لم يثبت صحتها علميا وطبيا، ضد الدجاج المحلى ويصل الأمر إلى «اتهامه» بأن أكله يتسبب فى إصابة الرجال بالعقم والعجز الجنسى، وإصابة النساء بسرطان عنق الرحم بالاضافة إلى ظهور شعر فى دقونهم وشواربهن!!

وتنتشر الشائعة، وبالفعل تسهم عام ١٩٩٥/٩٤ فى ضرب الانتاج المحلى من الدواجن.

ومع نجاح مخطط مافيا الأغذية المستوردة.. -وخاصة اللحوم- فى ضرب الثروة السمكية وتصفية إنتاج الدواجن ، فلابد أن يستكملوا مؤامرتهم بخصوص الثروة الحيوانية المحلية، وهذا هو محور الجزء القادم من هذا الموضوع.

"دعارة الأطفال" .. تقرير خطير للأمم المتحدة

تشغيل الأطفال

فى الصناعات التحويلية والخدمات .. لا

وفى صناعة الجنس .. نعم !!

فى خضم المنافسة التجارية المشتعلة بين مايسمى بالدول الصناعية الكبرى (أوروبا الغربية والولايات المتحدة) والاقتصادات الأسيوية السريعة النمو ، تعمد الدول الغربية إلى المطالبة بتضمين اتفاقات منظمة التجارة العالمية أحكاما تمنع تشغيل الأطفال فى الأنشطة التجارية الخاضعة لتلك الاتفاقات، بل ويطالب بعضها بفرض حظر على صادرات الدول التى تسمح بتشغيل الأطفال فى تلك الأنشطة. وكان غريبا أن تطالعنا صحفنا بأن وزير القوى العاملة المصرى قد تطوع فى كلمته أمام المؤتمر السنوى لمنظمة العمل الدولية فى يونية الماضى باعلان رفضه لهذا الربط ولمناقشته فى مؤتمر المنظمة على أساس أن مجال بحثه هو منظمة التجارة العالمية وليس منظمة العمل الدولية ! رغم أن المنظمة سبق وأن أصدرت اتفاقيات وتوصيات عن ظروف تشغيل الأطفال كما سبق لها أن أصدرت اتفاقيات وتوصيات متعددة ربطت بين تشغيل العمال وبين صناعات معينة.

على أن المطلب الغربى هو فى جوهره جزء من النفاق المعتاد فى الفكر الليبرالى الغربى . وإذا كانت الاقتصادات الأسيوية الحليفة للغرب من الناحية السياسية والمنافسة له بضراوة من الناحية الاقتصادية ، تسير على الدرب الذى سلكه الاقتصاد الأوربى إبان فترة ازدهاره الباكرة فى القرن التاسع عشر ، فإن الغرب الذى لم يعد فى حاجة إلى تشغيل الأطفال فى أنشطته الإنتاجية وقد وجد بديلاً لرخصهم فى العمال المهاجرين من البلدان النامية لايتورع عن تشغيل الأطفال واستغلالهم في صناعة من أكثر صناعاته إدرارا للربح، الا وهى صناعة الجنس . ومن المعروف على سبيل المثال ، أن أحد مصادر الدخل الرئيسية فى الدانمارك هى إنتاج المواد الإباحية التى تستخدم الأطفال ، سواء كانت مطبوعات أو أفلاماً ، وأن سوق تصديرها الرئيسية هى الولايات المتحدة الأمريكية ، كما أن رحلات سياحة الجنس ، خاصة الى دول جنوب شرق أسيا ، من أجل دعارة الأطفال تتم علنا وتحت سمع وبصر الجميع فى

محمد جمال امام

العديد من دول أوروبا الغربية ، لاسيما ألمانيا وبريطانيا . فاعلاناتها تنشر فى الصحف المحلية وعلى شاشات التلفزيون وعملياتها تتم فى رحلات طيران عارض علنية تضم فى كثير من الأحيان رجالا تجاوزوا الخمسين من عمرهم يتحرقون شوقا إلى الاستمتاع بفتيات صغيرات لاتتجاوز أعمارهن فى كثير من الأحيان الرابعة عشرة . ولنتخيل مدى الرعب الذى يصيب طفلة أسيوية ضئيلة الحجم عندما يبدأ كهل ألمانى ضخم الجثة فى انتهاك طفولتها بلا خجل أو شفقة!

وبينما كنت أقلب فى أوراقى منذ أيام قليلة عثرت على قصاصة من صحيفة" الأهرام " بتاريخ ٣ مارس ١٩٩٦ تتضمن خبرا عنوانه " الغموض يحيط بانتحار عروس ألقت بنفسها من الطابق التاسع " . ويقول الخبر : " تجرى أجهزة الأمن بالجيزة تحقيقات واسعة فى حادث العثور على عروس تبلغ ١٦ عاما فى منور إحدى العمارات بمدينة الإعلام بالعجوزة ، حيث تم الإستماع إلى أقوال زوجها السائح الألمانى .. وتبين أن العروس تدعى .. وأن زوجها ألمانى الجنسية كان قد حضر فى رحلة سياحية إلى مصر تنتهى فى ١٣ مايو القادم ، وكان قد أشهر إسلامه وتبين أنه يبلغ من العمر ٤٧ عاما وأن السائح قد تقدم للزواج من العروس عن طريق حارس العقار الذى أحضرها إليه بعد أن طلب منه البحث عن عروس صغيرة السن وتقابل مع أهلها وتم تحرير عقد زواج عرفى انتقلت بعده العروس القتيلة إلى الشقة المفروشة .. وأن أسرة العروس تنتمى إلى قرية بجنوب الجيزة اشتهرت بتزويج القاصرات الى السائحين العرب والأجانب " .

ثم عثرت على قصاصة من صحيفة " هيرالد تريبيون " الأمريكية بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٩٥ بعنوان " أسيا تصعد حملاتها ضد الجنس .. إعلان الحرب على دعارة الأطفال " تقول:" إن مطاردة مشتهى الأطفال فى أسيا لم تسفر إلا عن أثار طفيفة على دعارة الأطفال فى المنطقة حيث يجبر مايقرب من مليون طفل على العمل فى المواخير " ونقلت الصحيفة عن مسئول فى مؤتمر دولى عقدته " منظمة إنهاء دعارة الأطفال فى السياحة الأسيوية " قوله إن: استراليا وفرنسا والولايات المتحدة قد شددت مؤخرا من قوانينها التى تجرم اشتهاء الأطفال وسياحة الجنس وقال إن تايلاند التى يبيع فيها الأباء بناتهم إلى المواخير قد اقترحت قوانين مشددة لحماية الأطفال . وأضاف أن مابين خمسة آلاف إلى سبعة آلاف طفلة نيبالية يختطفن سنويا ليبعن فى الهند وأن متوسط أعمارهن يتراوح بين ١٠ إلى ١٤ سنة . وذكر أن الجهود التى تبذلها دول المنطقة لمحاربة سياحة الجنس قد أسفرت عن زيادة حادة فى عدد من يلقى القبض عليهم من الأجانب من مشتهى الأطفال.

وإذا كان ثمة شكوك حول صحة هذه الإشارات إلى سياحة الجنس التى تركز على الأطفال، فاننا نقدم شهادة من لجنة حقوق

الإنسان التابعة للأمم المتحدة ، وردت فى تقاريرها التى تصدرها عن حقوق الطفل . فقد جاء في وثيقة لها بتاريخ ١١ فبراير ١٩٩٢ أن أحد المصادر في البرازيل يقدر " أن عدد الأطفال الذين يمارسون الدعارة فى البلد يبلغ حوالى ٦٠٠٠٠٠ طفل " نعم ، ستمائة ألف طفل يمارسون الدعارة فى البرازيل عام ١٩٩٢ !

وجاء فى تقرير آخر للجنة بعنوان " **حقوق الطفل** " بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٩٢ معلومات غاية في الفظاعة والقسوة ننقل بعضها بنفس العبارات والكلمات التى أوردها التقرير رغم بشاعتها . يقول التقرير فى بابه الثانى المعنون " **بغاء الأطفال** " أن المقصود بكلمة الطفل أولئك الذين يقل سنهم عن ١٨ سنة وفقا لاتفاقية الطفل ، وأن تعريف بغاء الأطفال يشير إلى " استغلال الطفل جنسيا مقابل عوض نقدى أو عينى ينظمه عادة وليس دائما . وسيط (أحد الأبوين أو أحد أفراد الأسرة أو وسيط أو معلم . إلخ) ويقول التقرير أنه على الرغم من أنه لاينبغى السماح مبدئيا ببغاء الأطفال لمن هم دون الثامنة عشرة من العمر ، فأن هناك بلدانا كثيرة تحدد سن الرضا للإتصال الجنس عند عتبة أدنى من هذا السن . إذ أنها تتراوح بين ١٣ و١٧ سنة من العمر. وهذا يعفى فى بعض الحالات أن الزبون يعفى من المسئولية فى حالة رضى الطفل البغى حتى وإن كان عمره أقل من ١٨ عاما ، ويضيف التقرير أنه يحدث فى بعض أنحاء العالم زيادة فى اتجاه الزبائن نحو اختيار بغايا أصغر سنا . خاصة العذارى ، ويتجه السوق باطراد نحو الصغار جدا ، وتتصاعد الأسعار وفقاً لذلك.

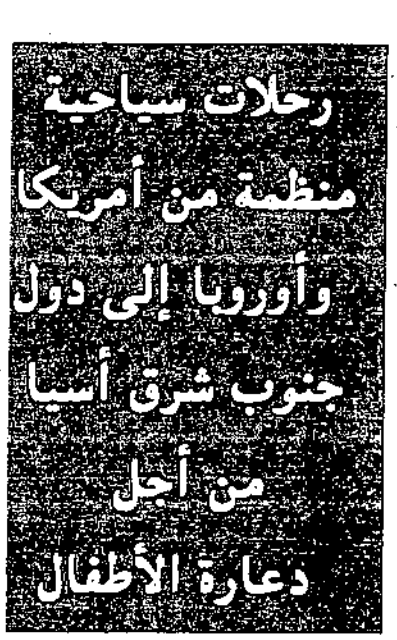
ويقول التقرير: إن بغاء الأطفال يتراوح بين الحالات الفردية والضحايا الجماعيين للجريمة المنظمة ! وأنه رغم أن التفكير فى هذه الحالة قد يتجه أولا إلى أن المهنة تقتصر على الفتيات ، فان ثمة عددا متعاظما من الفتيان فى مهنة الدعارة فى مختلف أنحاء العالم . ويضيف التقرير بأن أكثر الحالات اثارة للقلق هى تلك التى يرغم فيها الأطفال على ممارسة الدعارة ،لاسيما الفتيات . خاصة وأنهن يجبرن على ذلك باستخدام العنف معهن فى كثير من الأحيان.

ويشير التقرير إلى أن أنواع البيع والاتجار فى الأطفال تشمل مايلى:" القوادون والمنظمات الإجرامية التى تبيع الأطفال الى دور الدعارة سواء داخل البلد أو خارجه ! والقوادون والمنظمات الإجرامية التى تعرض الأطفال على الزبائن ! والمرطبون من الأفراد الذين يحتازون الأطفال لاستعمالهم الشخصى ! ومنظمات لواط الأطفال التى تحتاز الأطفال لأعضائها.

ويخلص التقرير إلى أنه قد " ثبت أن الاستغلال الجنسى للأطفال المنظم على أيدى محترفين موجود فى جميع البلدان المشمولة بالدراسة . ففى الفلبين وتايلاند والهند ، ثبت أنه توجد شبكات تغطى البلد بأكمله أو أجزاء منه . ولهذه الشبكات عملاء يجندون بانتظام أطفالا للدعارة عن طريق الرشوة والتهديدات والاختطاف ، والتجنيد للمهنة من البلدان المجاورة أمر شائع أيضا . فالأطفال من بورما يجندون للدعارة فى تايلاند ، والأطفال من نيبال وبنجلاديش يذهبون إلى الهند ".

وفى الباب الثالث من التقرير والمعنون " **انتاج المواد الإباحية عن الأطفال** " يورد التقرير شهادة لإحدى الضحايا من الولايات المتحدة تقول: " لقد كانت الخطوة التالية لإعدادى للاستغلال الجنسى هى التصوير – وذلك ماأصبحت أعرف الآن أنه يشكل مادة أساسية لوجود الكثير من لواط الأطفال وفى البداية التقط لى صورا وأنا مرتدية ملابسى . وبما أن الكل كان على علم باهتمام اليكس بالتصوير فقد بدا ذلك طبيعيا تماما والواقع أن أسرتى كانت مسرورة بهذه الصور الأولى ، وتملقنى اليكس لكى أخلع ملابسى . وبدأ ذلك بالقميص .. ثم طلب منى أن أحاول الوقوف بدون البنطلون الجينز ".

وتعرف اللجنة " استخدام الطفل فى المواد الخليعة" بأنه " أية مادة بصرية أو سمعية تستخدم الأطفال فى سياق جنسى أو أى مادة مسجلة تصور طفلا ينتهكه جنسيا شخص بالغ أو أى تصوير بصرى لكل من قل عمره عن ١٨ عاما وكان يمارس سلوكا جنسيا صريحا حقيقيا كان أو محاكاة، أو يقوم بعرض الأعضاء التناسلية عرضا مثيرا للشهوة ، والسلوك الجنسى الصريح يشمل ، ولايقتصر على .. الوطء من القبل والوطء من الدبر وارتشاف الأعضاء التناسلية والدبر للذكر والأنثى ".



وينقل التقرير عن مصدر غير حكومى قوله " إن تصوير المواد الإباحية عن الأطفال التى تطرح فى الأسواق الوطنية والدولية ترد من دوائر الهواة والمحترفين على السواء ، ولاشك أن الأمر ينطوى على صناعة كبيرة ومربحة.

كما يخلص التقرير إلى أن " تداول المواد الإباحية التى يستخدم فيها الأطفال منتشر على أوسع نطاق فى البلدان المتقدمة ، خاصة فى الغرب ، على أن الاتجار بأطفال البلدان النامية لاستخدامهم فى المواد الإباحية مستمر ولابد من اتخاذ تدابير أقوى لمكافحته ، ويرتبط جزء كبير من هذا الاتجار بسياحة الجنس وبالدعارة فى البلدان النامية ، كما أن انتشار المشكلة عبر حدود البلدان يشير إلى عالمية الظاهرة التى يتداخل فيها العرض والطلب عبر الحدود والقارات.

إن التربح باستغلال الأطفال أمر مرفوض أصلا ، سواء كان ذلك بتشغيلهم فى صناعة السجاد أو النسيج والملابس الجاهزة أو فى الخدمات أو فى الإعلانات (وقد يطالب البعض ، وأنا منهم بوضع ضوابط صارمة لتشغيل الأطفال فى أعمال السيرك والمسرح والتلفزيون والسينما بما يحمى طفولتهم من النواحى الجسمانية والصحية والنفسية والأخلاقية) فما بالك بالتربح من ورائهم فى البغاء والتصوير الإباحى . وقد تبرر دوافع الفقر الشديد أن تضطر الأسر الفقيرة فى البلدان النامية الى الاسترزاق من وراء تشغيل أطفالها فى بعض الصناعات أو الورش الخدمية ، ولكن أن تتحمس دول يقال عنها أنها متحضرة للدفاع عن هؤلاء الأطفال إلى حد المطالبة بفرض حظر على صادرات الدول التى تسمح بتشغيلهم فى الوقت الذى تغض الطرف فيه عن رحلات سياحية بالطيران العارض إلى بلدان نامية يتدافع فيها كهول إلى انتهاك عذرية بنات صغيرات بحثا عن متعة شاذة ، فذلك نفاق مابعده نفاق.

هموم

سلوكيات العصيان المدنى بيـــن المصريـــين

في اجتماع حزبي عن الآثار السلبية لبيع وتصفية القطاع العام بعد أن تم استنزافه من قبل الحكام وحوارييهم ويتم الآن بيعه لصالحهم أيضا، أعطيت الكلمة للحضور وأعلن معظمهم أنهم ضد البيع. ولكنهم سئلوا :وما هو البديل؟ وطالبوا بتحديد ما نقصده بالقطاع العام وإصلاحه بدل بيعه.

د. أحمد محمد صالح

والتناقض العجيب أن الحضور وهم يشكون أزمة الحاضر كانوا يدخنون بشراهة وينادون بمقاطعة البضائع الاجنبية وتشجيع الإنتاج المصرى. وعم بدوى واحد من الحضور مصرى مثل كل المصريين مربع القامة قمحى بين الخمسينات والستينات في جلباب وطاقية بلدى صوته واضح الالفاظ ملامحه مريحة، أعلن الرجل **تعجبه من رؤساء الأحزاب الذين يرفعون قضايا ضد بيع القطاع العام في الوقت الذى يمكن أن يعبئوا فيه أحزابهم للقيام بعصيان مدنى يضغط على الحكومة.** وعقب على ذلك رئيس الندوة بأن المناخ السياسي والاجتماعي السائد الآن فتت قوى العمال وأضعف إرادة الرفض لدى الوطن.

وانتهى الاجتماع وكلام عم بدوى والتعقيب عليه مسيطر على تفكيرى، وسألت وقرأت وعرفت أن **العصيان المدنى** **Civil disobedience** هو المقاومة السلبية للقانون أو السلطة، وهو التزام أو فعل ضميرى .وصاحب المنطوق الأصلى لهذا المصطلح هو HENRY THOREAU, S ESSAY واستعمله في عام ١٨٤٩ تحت عنوان مقاومة الحكومة المدنية RESISTANCE TO CIV- IL: GOVERNMENT،وفي هذا المصطلح ناقش العصيان بأنه **تمرد ضميرى على القانون يأخذ شكل رفض أو عدم امتثال**،مثل أساليب **المهماتا غاندى**(١٨٦٩-١٩٤٨) وهو زعيم هندى عرف باسم GREAT LORD وقاد حركة الأمة الهندية حتى منحت الاستقلال واعتمد على المقاومة السلبية لمواجهة السلطة البريطانية في الهند وسميت طريقته بـ **الساتيا جراها SATYAGRAHA** وهى اللجوء إلى المقاومة السلبية لتحقيق الإصلاح السياسى والاجتماعى مستخدما كل أشكالها مثل رفض دفع الضرائب ، الإضراب عن العمل، الازدراء والسخرية من رموز السلطة. وهناك أيضا قس أمريكى وأحد قادة الحقوق المدنية هو **مارتن لوثر كنج** (١٩٢٩-١٩٦٨) واتباعه الذين لجأوا إلى المقاومة لمحاربة التمييز العنصرى في الولايات المتحدة الأمريكية [١].

ويعرف المعجم الانجليزى وبستر WEBESTER العصيان المدنى بأنه **رفض الطاعة أو الامتثال للقوانين والمطالبات والتشريعات والسياسات الحكومية التى تعكس نفوذ وسطوة الحكومة بشرط عدم استخدام العنف مثل المقاطعة والإضراب وعدم دفع الضرائب**.وفي معجم كاسل الشهير يعرف العصيان بأنه **رفض الطاعة والمقاطعة والإهمال والاستخفاف وعدم الإذعان**،ويعرف العصيان المدنى **بأنه خطة في حملة سياسية تأخذ شكل**

الرفض كعدم دفع الضرائب أو إنجاز الواجبات المدنية.

ومن المنطلقات النظرية السابقة نستطيع أن نقرر شرطين أساسيين لسلوكيات العصيان المدني:

١- عدم استخدام العنف.

٢- الالتزام الضميري بفعل الرفض.

وأفعال الرفض أو عدم الامتثال تأخذ أشكالاً متعددة منها: الإضراب، الاعتصام، المظاهرات، المقاطعة، الإهمال، الاستخفاف والسخرية والازدراء من رموز السلطة، عدم دفع الضرائب، عدم المشاركة في الانتخابات، عدم الامتثال للقوانين والمطالبات والتشريعات والسياسات الحكومية. وهذه الأفعال تعكس واقعاً ملموساً في الشارع المصري، **فالجماهير شكلت لنفسها منذ آلاف السنين آلية معارضة خاصة بها تحقق لها التوازن النفسي مع أى حكومة بأقل قدر من الخسائر الفردية ، ولكن بتعاظم أو أقصى حد من الخسائر المجتمعية**، تلك الآلية هي التكور على النفس أو العصيان المدني الذي يمارسه المصريون منذ الفراعنة وأصبح جزءاً مكوناً للشخصية المصرية لدرجة صعوبة فصله كسلوك طارئ . ويستطيع القارئ أن يستعرض ويرصد الكثير من السلوكيات التي نمارسها يومياً في حياتنا وهي تعلن بوضوح تام العصيان المدني على الحكومة، سنقدم منها أمثلة:

١- **النكت والسخرية** كسلوك يومي للناس يترجم صرخاتهم مع بسماتهم حيث يخلطون الأزمنة والشخصيات ويمارسون التعبيرات الساخرة بأشكالها التعبيرية المختلفة يتحدون بها كل القوانين والقيود ولا يستطيع أن يوقفهم قانون من أى سلطة. انظر كاريكاتير **حجازى ومصطفى حسين وأحمد رجب وبهجت** وغيرهم كثير. اقرأ الشعر والزجل من **عبد الله النديم وبيرم التونسي ثم صلاح جاهين حتى أحمد فؤاد نجم** ، بل تأمل الناس وهي مدفوعة في الشوارع في مهرجان إعلامي تحت عنوان الاستقبالات الشعبية للحكام، تأمل



أحمد فؤاد نجم





أحمد حجازى



نور فرحات

ابتساماتهم الخبيثة وتحيتهم المصطنعة التي تنافق الحكام حتى ينفجروا من تخمة الإحساس بالعظمة بل، تمعن في كلمات المجاملة والرياء والزيف التي يمارسها المرءوسون مع رؤسائهم في العمل وأشهرها تداولا الآن كلمة **(يا باشا) اتفضل يا باشا** سعادة الباشا جاي.. وهي تنطق بطريقة صفراء تعكس قمة الاستخفاف والازدراء، بل تمعّن في كلام الأغاني الوطنية وقارنها بالواقع وكلام الناس في البرامج الإعلامية ،وهي تقر من تحت الضرس أن كل شئ تمام، وإعلانات النفاق والتأييد في الصحف على حساب الشعب.

٢- قاوم الفلاحون الاقطاع ثم القوانين الزراعية الحكومية عن طريق التحايل عليها والهروب من الأرض وتبويرها وتجريفها وتلويث قنوات المياه وعدم الادلاء بمعلومات عن الخارجين عن القانون. والفلاح دائما يعلن الموافقة الظاهرية على سياسة الحكومة والسخرية منها بمجرد الانتهاء من الموقف الاعلامي، وقاوم الفلاح التعليم الرسمي بالتسرب الجماعي، ورفض تحديد النسل بادعائه أنه مخالف للدين.وعندما تدعو الحكومة الفلاحين أن يعطوا ظهرهم للترعة يصرون على فعل العكس، وعندما تسعى الحكومة الى تنمية القرية تزداد الهجرة إلى المدن وترييف العواصم **وتصبح مصر كلها عشوائيات احتجاجا على نقص البنية الاساسية في الريف**.وعندما تدخل الحكومة الكهرباء في الريف بغرض التنمية والتصنيع يستخدمها الفلاح في الإنارة ومشاهدة الفيديو، وتصرخ الحكومة لزيادة الرقعة الزراعية فيتجاهلها الناس ويفرضون المباني عليها- منتهى التحدي.

٣- اذهب إلى المصالح الحكومية والدواوين ستجد **امتناعاً عاماً عن العمل واهمالاً وتسيباً ولامبالاة** يأخذ اشكالاً مستترة عديدة. الحكومة تدعو لزيادة الانتاج فتزداد المقاهي في المدن والقرى ويتزاحم عليها الناس من الفجر .وتحاول الحكومة إثارة دوافع الناس للنظافة والمحافظة على البيئة فيلقى الناس الفضلات والبقايا في الطرق والأنهار والبحار ويشبعون حاجات الاخراج تحت الكباري ويبصقون في كل مكان. واصبحنا نتكلم من خلال الميكروفونات الزاعقة.

٤- وفي الإعلام والتعليم يواجه الناس الإعلام الرسمي بالفيديو والدش. ويقاومون التعليم الرسمي بالمدارس والدروس الخاصة والغش الجماعي والاغماء الجماعي. الحكومة تدعو للوحدة الوطنية فتنفجر الفتنة كل حين. الحكومة تدعو للتعاون العربي فيذهب الشباب للعمل في إسرائيل احتجاجا على التهاون الرسمي في الحفاظ على كرامة المصريين في الخليج- بل اصبحنا نقاوم عجزنا وجهلنا الجنسي بأوهام اللبان الجنسي الاسرائيلي.

٥- والتحايل على القوانين والاستثناءات

الحديث عنه يحتاج إلى مجلدات ،فنستطيع بلا حرج واطمئنان تام أن نقر بوجود الاستثناءات والتحايل على جميع القوانين فى كل موقع وكل مكان تتحدى كل شعارات الطهارة والالتزام، فى التعليم ،فى المحاكم، فى المرور، فى الصحة والبناء والجامعة فى المسرح والسينما فى كل موقع هناك استثناءات وتحايل على طوفان القوانين. هذا غير النفاق وتأليه الحاكم، والامتناع عن التصويت فى الانتخابات ،التهرب من الضرائب كل واحد بطريقته ،والغريب أن المصريين حين يهاجرون إلى أي دولة أخرى تجدهم يلتزمون تماما بالنظام والقانون، تجدهم أكثر همة ونشاطا وانتاجا.. لماذا؟ ما الذى تغير؟ فهم نفس الأشخاص الذين مارسوا السلوكيات السابقة. الاجابة واضحة وضوح الشمس بل إن مصر تستقبلك فى مطارها بالإجابة الواضحة فهى تقريبا البلد الوحيد الذى تجد فى المطار من يقف على أبواب الطائرات القادمة وينادى على بعض الركاب بالاسم لكى يسهل لهم عمليات الخروج من الجوازات والجمرك ،وعادة يمارس ذلك القائمون على تنفيذ القانون، **وإذا كنت تريد تأكيداً على عدم احترامنا لكل القوانين تجدها فى أحداث مباراة الأهلى والزمالك الأخيرة، وتجدها فى سلسلة القوانين التى تحكم المحكمة بعدم دستوريتها**،تجدها عند كل إشارة مرور عندما ترى السائقين وخاصة قائدى سيارات السلطة يخالفون إشارات المرور باستمتاع لمحاولة إثبات الذات.

والمشاهدات السابقة نعيشها جميعا حكاماً ومحكومين يوميا وهى تعبر تماما عن عصيان وعدم امتثال للقوانين والمطالبات والتشريعات والسياسات الحكومية،وهى حالة مميزة وفريدة لأن العصيان المدنى أو المقاومة السلبية عادة إجراء تتخذه أقلية أوفئة فى مجتمع تشعر أنه وقع عليها ظلم فتعلن عصيانها، للمطالبة بحقوقها، أو سياسة يلجأ اليها مجتمع ما لمقاومة سلطة أجنبية أما **أن يمارس شعب المقاومة السلبية ضد حكومة يفترض فيها أنها وطنية ،نابعة منه فهذا الموقف يحتاج تفسير.**

وإذا كان رصد السلوكيات السابقة بالارقام يحتاج جهداً ووقتاً ومساحات نشر أكبر فانه يمكن بسرعة خلال هذه العجالة أن نعرض المقولة الرئيسية الواضحة فى أغلب الكتابات والأبحاث التى حاولت التعمق فى سلوكيات المقاومة السلبية للمصريين وهى: **أن علاقة المصرى بالحكومة على مر العصور علاقة عداوة مريبة ومهادنة وندر فيها التوافق**، فالحكومات المتعاقبة على الشعب المصرى باختلاف ايديولوجياتها فشلت تماماً فى التوصل لحل مشاكل الوطن و المواطنين، فافتقد المصرى مشاعر الانتماء والولاء للنظام السياسى، وأن الناس تعى تماما أن الحكام يركبون معهم قارباً واحداً فاذا غرق بالجميع لن يخسروا شيئا أكثر مما خسروه بل الخاسرون هم الحكام وحواريوهم، وتلك المعانى تجدها تماما على لسان العامة(البلد بلدهم)- (بلد الحكومة) .وبعض الكتابات انفردت بمقولات مميزة تفسر تلك المقاومة السلبية التى يمارسها الشعب المصرى منها: ما كتبه الاستاذ أحمد بهجت أثناء الانتخابات الأخيرة فى أهرام يوم ٩٥/١١/٢٨ كتب يقول: إن الشعب المصرى له أسلوبه فى المقاومة السلبية لسلطة الحكومة حين لا تعجبه وغالبا لا تعجبه أى حكومة فهو يصفق و يطبل ويزمر ولكنه لا يعمل شيئا من أجل هذا الشئ الذى لا يعجبه، وبهذا السلوك السلبى تسقط الفكرة التى لا تعجبه مثل ورقة ذابلة فى شجرة تتهيأ لتسقط فى الشتاء .والصبر أسلوب من أساليب المقاومة عند الشعب المصرى وهم ينتظرون رحيل الحاكم وينتظرون ان تقع له مصيبة أو يرحل أيهما أسبق. وهم لا يتدخلون فى تفاصيل هذه المصيبة إنما ينتظرون وقوعها فحسب، ومن الذى يمكن ان يلومهم عليها حين تقع.

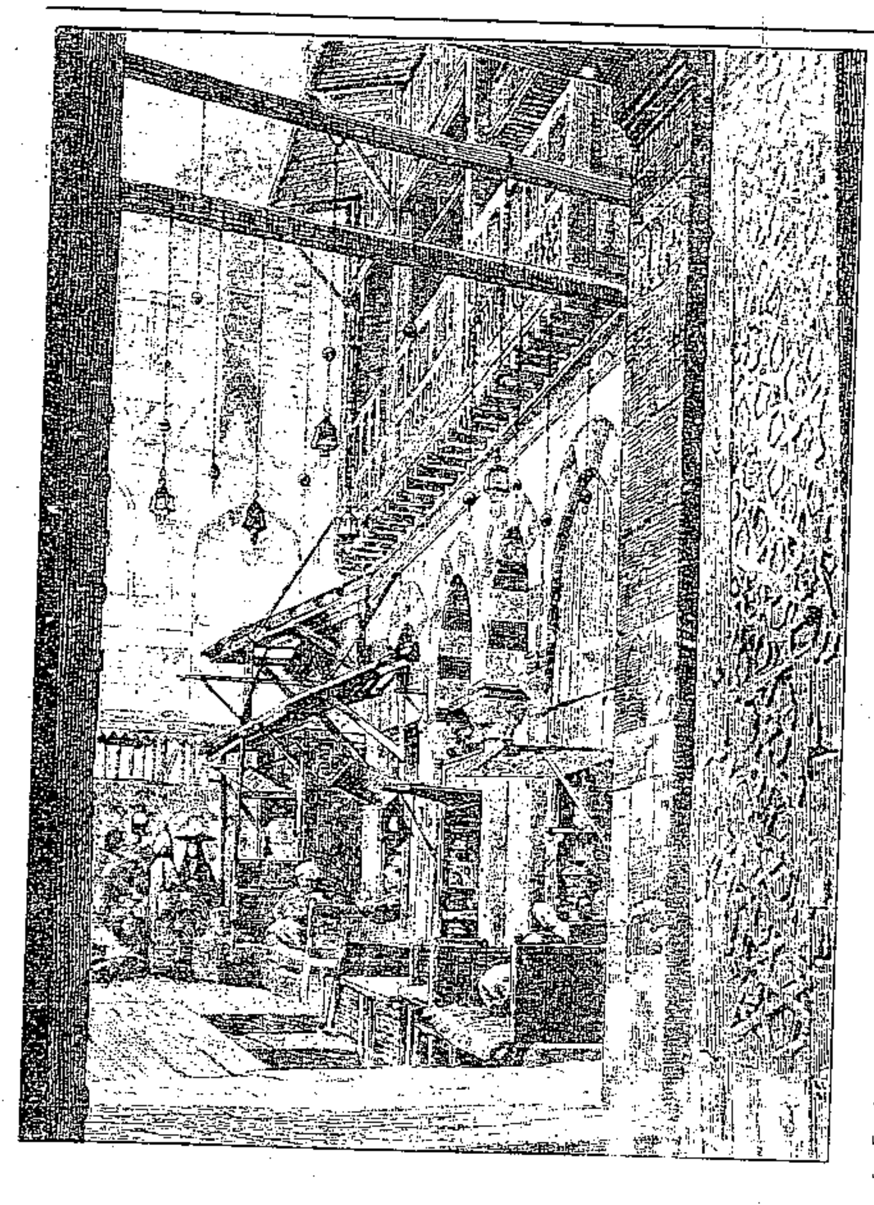
وفى دراسة مميزة للاستاذ **الدكتور محمد نور فرحات** تبين غلبة قيمة النظام والقهر فى النظام التشريعى أغلب عصور التاريخ الاجتماعى المصرى حتى الآن، أوجد لدى المصريين ظاهرة مميزة فى المجتمعات الانسانية وهى ظاهرة **الازدواج القانونى**، أى وجود ونفاذ نظام قانونى غير رسمى يقابل النظام القانونى الرسمى يسود فى العلاقات بين المحكومين من وراء ظهر الحكام تارة وبإقرارهم تارة أخرى. فالقانون النافذ شئ والسلوك الفعلى شئ آخر. أن العادات التاريخية للمصريين فى مواجهة القانون الرسمى الظالم أن يصطنعوا لهم قانونا فعليا آخر. يطبق من وراء ظهر الحكام وكان هذا هو المحرك الوحيد للحفاظ على الوحدة السياسية الشكلية للمجتمع المصرى، والسمة الثابتة للنظام القانونى فيما يتعلق بقيمة الحرية هى **غيبة المشاركة السياسية** وجعل القهر السياسى علاقة ثابتة بين الحكام والمحكومين .وهذه السمة أحدثت لدى السيكولوجية المصرية سمة ثابتة فى علاقة المصريين بالسلطة وهى سمة **السخرية من السلطة والخوف والسلبية تجاهها** فى نفس الوقت(٢).

وفى الدراسة الموسوعية لشخصية مصر لاستاذ وراهب العلم **الدكتورجمال حمدان** نستطيع أن نلمح فى كل سطر اسباباً متعددة تفسر سلوكيات المقاومة السلبية للمصريين وكانت أهمها أن **مصر كانت أبدا هى حاكمها وحاكمها هو عادة أكبر أعدائها واحيانا شر أبنائها** وهو يتصرف على أنه صاحب مصر وولى النعم أو الوصى على الشعب. فمصر هى حاكمها وما تزال، ولا مستقبل لمصر إلا حين يتم دفن آخر بقايا الفرعونية السياسية والطغيان الفرعونى(٣) .وتضيف الدكتورة **نعمات أحمد فؤاد**فى كتابها العاشق الهادئ عن شخصية مصر أن لكل شعب فلسفته وطريقته فى المقاومة،الشعب المصرى كان ينظر إلى الحاكمين نظرة الشاعر فى أعماقه بقيمته وحضارته وتراثه وكان همه كله أن يحافظ على ذاتيته على قيمته وتراثه باتقاء شرهم واعتزالهم لاسيما إذا اتقوا ظلمه. والمصرى حكامه لم ينصفوه، فتركهم يتصارعون على مغانم الحكم ليعكف هو على عمله الذى يحبه ويحقق ذاته .فلسفة الشعب

المصري أن يتقوقع على نفسه النفسية ويصرع ويرعد فينا وصناعة. فمصر لا تموت[4]

وفي تفسير نفسي للدكتور أحمد عكاشة يرى سلبية المصري واستكانته منذ الفراعنة وحتى الآن ترجع إلى أن المصري تعود أن يترك حريته وأمور حياته للحاكم اعتقادا من المصري القديم أن الحاكم هو صورة الله في الأرض. والاستكانة في رأيه هي الاعتمادية في كل شئ على الحاكم بدل أن يكون الفرد مسئولا عن ذاته.وأيضا يتصف المصري بالتقوقع والذاتية والانفرادية، وكلما زادت عليه الامه يصبح سلبيا في عدوانه يفرز نكتة يفرز اشاعة يفرز اهمالا في العمل أو يتقوقع فكل واحد منا يرى نفسه فقط وتختفي روح الجماعة التي تلزم التقدم.(جريدة الدستور المصرية ١٢- ٦-١٩٩٦).

ونستطيع هنا أن نقرر أنه إذا كان علم الاجتماع أثبت في بعض دراساته العلمية أن ممارسة السلطة لها تأثيراتها السيكلوجية على الشخصية وتغير سلوكيات ممارسيها وتجعلهم غير قادرين على رؤية وسماع الآخرين، فان الشعب أيضا الذي تعرض للطغيان طوال العصور وتكور وتقوقع على نفسه آلاف السنين وانسحب من الحياة السياسية يؤثر ذلك على شخصيته ويضعف عنده إرادة الرفض، لدرجة فقد القدرة على تمييز الطغيان. ونلاحظ من التفسيرات السابقة أن المجتمع المصري طوال تاريخه مجتمع حكام،والتاريخ يبين لنا أن الدول المتقدمة لم يكن أمامها إلا التعليم لكي تتحول من مجتمع حكام إلى مجتمع مواطنين،ولا سبيل أمامنا أيضا إلا التعليم السليم الذي يؤهل المجتمع للديمقراطية ويشكل ضمير ووعي المواطن الذي يدفعه للانخراط في مجموعات القوى السياسية المستقلة التي تعتمد عليها فاعلية وديمقراطية الحياة السياسية، فالديمقراطية تضعف أو تتلاشى عندما يتكور ويتقوقع الشعب على ذاته.



* هوامش

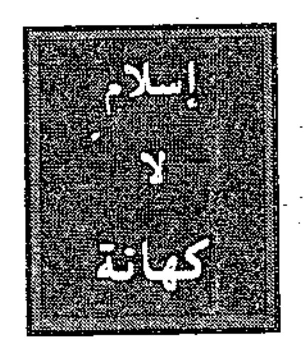
(١) ... ...

RANDOMHOUSEINC. ENCYCLOPED[illegible] C[illegible]GHT(C)
1983.1990 BY RANDOMHOUSE. INC

(٢) ... ... المصريون والقاهرة رؤية لبعض الأبعاد التاريخية للأزمة القاهرية المعاصرة في ... ... حرية اصدار: محمود أمين العالم، الكتاب الأول يوليو ١٩٨٥ دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر ... .

(٣) جمال حمدان، شخصية مصر، الجزء الرابع، عالم الكتب القاهرة ١٩٨٤، ص ٥٢٥-٦١٤.

(٤) نعمات أحمد فؤاد، شخصية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ٢٢٦.



الوثنية والإسلام

خليل عبد الكريم

المجلس الأعلى للثقافة وفق غاية التوفيق عندما أصدر ضمن(المشروع القومي للترجمة) كتاب (**الوثنية و الاسلام تاريخ الامبراطوريات الزنجية في غربي إفريقيا) تأليف- مادهوبانيكار**-ترجمة وتعليق **أحمد فؤاد بلبع**.

ولا نكون مغالين إذا قلنا إن هذا الكتاب من أدسم الكتب التي ظهرت في العشر سنوات الأخيرة وأكثرها احتواء على المادة العلمية والفكرية.

وإذا كان يقال عن الترجمة الرصينة إنها تأليف مواز للمتن المترجم فان هذه المقولة تنطبق تماما على ما قام به الأستاذ بلبع، ففضلا عن الترجمة الدقيقة فان التعليقات والحواشي التي أضافها تنم عن علم غزير وصبر جميل على البحث ،ومثابرة على الدرس نفتقر إليها في أيامنا هذه التي تتسم فيها الأعمال الثقافية بالعجلة والهرولة إلا ما ندر.

وصفحات الكتاب تقرب من الخمسمائة من القطع الكبير علاوة على خريطتين لغرب أفريقيا تعينان القارئ على تتبع المواقع التي وردت بالكتاب- ويحتوى على جزئين أولهما من عشرة فصول وآخر من أربعة- وتدلنا مصادر البحث والتحقيق العربية والافرنجية التي رجع إليها المترجم على مدى الجهد الخارق الذي بذله ويكفي أن نعرف أن العربية منها بلغت ثمانين وأربعة- أما الاجنبية فقد تجاوزت العشرين.

ولتقدير مدى المعاناة الذي كابده أ. بلبع يكفي أن نعرف أن المؤلف المستر بانياكار أورد آلافا من أسماء الأشخاص والأماكن والأحداث ومئات من الفقرات الكاملة استقاها من ترجمات أجنبية لمراجع (الأصح أن يقال مصادر . أ. هـ) عربية من التراث فاضطر المترجم إلى الرجوع إليها في مظانها ولو كان غيره مكانه لترجمها كما هي ولكنه رأى أنه لو فعل ذلك لكان فيه(تشويها للكتاب وإنتقاصا من قيمته واخلالاً بطلاوة النصوص) ص٦ من المقدمة -وعنوان الكتاب في أصله الانجليزي هو (الثعبان والهلال) إنما قدّر المترجم بحق أنه لو نقله إلى العربية لتعذر على القارئ أن يفهم مقصده ،ولذا استباح لنفسه تغييره لكي يعين على إبراز مضمونه مع الابقاء على تتمته كما هي :(تاريخ الامبراطوريات الزنجية في غربي افريقيا)- ولا تثريب عليه لانه كان أمينا فصرح به في التصدير الذي افتتح به الكتاب.

ومن العسير إن لم يكن من المستحيل الإلمام بموادد في هذه الصفحة ومن ثم نكتفي بمسألة واحدة تتصل بسبب بعنوان صفحتنا الثابت وهي أن سلطة رأس المال المتمثلة في النخاسين ورؤساء القبائل كانت تنفر من اعتناق الزنوج للإسلام لأنه يعادي الرق فيحرمها من مصدر ثرائها .فقد كان الرقيق عصب الصادرات مع أن عدداً من افرادها كان مسلما (هو في الحقيقة «لابس إسلام» وليس مسلما- على وزن «لابس مزيكة». أ. هـ) وقد أثارت هذه الحقيقة الاسلاميين المتشنجين من أساتذة (!!!) التاريخ في بعض كليات الآداب الذين حضروا ندوة لمناقشة الكتاب فشغبوا على المترجم مع أنه لا تبعة عليه ولا على المؤلف لإنها حقائق تاريخية كما أن ذكرها لا يسيئ للاسلام بل يشرفه.

وهو داء قديم فقد كان بعض ولاة دولة بني أمية يعرقل دخول العلوج (هكذا كانوا يسمون مواطني البلاد التي داستها خيولهم المباركة.أ.هـ)الاسلام حتى لا تسقط عنهم الجزية التي كانت من أهم موارد (بيت المال).

وبعد:

فانني لا أملك سوى أن أحيي وزارة الثقافة ووزيرها الفنان فاروق حسني الذي رصد خمسة ملايين جنيه لـ (المشروع القومي للترجمة) وأشكر المجلس الأعلى للثقافة وأمينه العام الاستاذ الدكتور جابر عصفور على هذا المشروع الذي يعد بحق أهم المشروعات الثقافية في العقد الأخير في مصر المحروسة.

أما المترجم الاستاذ/ أحمد فؤاد بلبع فلا أجد من الكلمات ما يوفيه حقه من التقدير فله من الله وحده حسن الجزاء.

□ نساء □

المرأة.. السجين والسجان

جيهان أبو زيد

لم يتفق الكثيرون بعد على أن هناك خصوصية فعلية لقضايا النساء ولا على مشاكلهن النوعية المتعددة التى تتبارى القيم والتقاليد المستحكمة من التراث فى تعقيدها وتتبارى المؤسسات الرأسمالية فى تأكيدها استناداً للتراث الأزلى فى التاريخ وهو المصلحة . لكن العموم الأكثر ربما يتفق - على اختلاف اتجاهاته - فى أن هناك تأسيسا عميقاً يتم لهذه المشكلات .. من يوم الميلاد يستقى الطفل سواء كانت أنثى أو ذكرا التعاليم التى تحافظ على ثبات المشاكل النوعية والقيم التى تجعل من المرأة السجين والسجان .. ولنبدأ من أصل الحكاية.

الطفلة الأنثى

إن دراسة أنواع العنف التى تمارس قبل الطفلة الأنثى لأمر شديد الصعوبة لأن كافة أشكال هذا العنف مختلطة بكافة أنواع السلوك الأسرى قبل الفتاة

والمشكلة فى العنف الأسرى الذى يمارس ضد الأنثى - الطفلة - أن المجتمع وبالتالى الأسرة وأفرادها لايعتبرونه عنفاً - بل يعتبرونه سلوكاً طبيعياً لابد من ممارسته معها وفقاً لتصورات الأسرة عن الأدوار الطبيعية للأنثى . تلك الأدوار التى تستلزم سلوكاً اجتماعياً جامحاً لطفولتها كدفعها لتعلم أعمال الخدمة المنزلية والطهى سواء طوعاً أو قهراً وإجبارها على ترك اللعب واللهو أو تقريعها إذا مارفضت خدمة شقيقها الذكر أو ترويع الفتيات من أنوثتهن والعمل على إخفاء كل مظاهرها وعدم الالتفات لها - وهو أمر غريزى - كمنع الفتيات من الاهتمام بمظهرهن والوقوف أمام المرآة والتجمل وهو سلوك طبيعى ومقبول وله أهمية اجتماعية أو حرمانها من ممارسة الألعاب الرياضية لأسباب متنوعة.

يبقى أن مثل أشكال العنف هذه ، لايخطئها القانون ولايرى المجتمع فى ممارستها ثمة مبرر لتدخله لحماية هؤلاء الفتيات مما يمارس معهن خاصة وأن الأسرة المصرية وهى تعاقب صغارها تفرق بين الصغير والصغيرة . سواء من حيث سبب العقاب من ناحية أو من حيث جسامة العقاب وتكراره من ناحية أخرى ، فالصغيرة هى التى تلازم أمها فى المنزل طوال الوقت وهى التى ينتظر منها مساعدة الأم فى أعبائها . وهى التى تفجر فيها الأم كل إرهاقها وآلامها الدفينة بسبب مشاكلها الأسرية والخاصة . بخلاف الطفل الذكر الشارد خارج المنزل دائما إما لعمل أو دراسة أو لهو مسموح به .

أما أشكال العنف المجتمعى التى يمارسها المجتمع على الأنثى الطفلة فهى تبدأ من الطفولة المبكرة وتزداد ضراوتها وحدتها كلما انخفضت الحالة الاقتصادية للأسرة حيث يبدأ استخدام هذه الطفلة كسلعة يتاجر بها فى تجارات متنوعة ، وعلى الرغم من المحاولة التى حاولها القانون فى فرض سياج من الحماية على الطفلة - القاصر بلغة القانون - لكن هذه النصوص اصطدمت بالواقع وممارساته اليومية.

ومأوضح ظاهرة زواج الفتيات أقل من السن القانونى وهى الظاهرة التى تنتشر فى الريف والأماكن غير الحضرية والتى يعلم بحدوثها الجميع وفى ظل تواطؤ شامل من الجميع بداية من الأب والطبيب . ويتزامن مع هذه الظاهرة ، ظاهرة تزويج الفتيات القاصرات عن طريق تحرير العقود العرفية وهى ظاهرة لها أماكن انتشار معروفة - والتى تزوج فيها القاصرات بعرب وافدين وتسعى الأسر المصرية الفقيرة وبالتحايل على أحكام القانون إلى إبرام هذه الصفقات بالتحايل على أحكام القانون وبمعاونة متخصصين فى القانون.

وتفرض أخيرا ظاهرة ختان الإناث نفسها - تلك التى يمنعها القانون- لكنها تنتشر انتشاراً كبيراً بما فيها من قسوة تصل الى حد الإجرام وبمالها من آثار نفسية جسيمة .

وإذا كانت هذه الظواهر هى ظواهر مجرمة أو ممنوعة قانوناً . لكن المجتمع يمارسها مع الفتيات الصغيرات فقط ، فان هناك ظواهر أخرى لاتقل انتشاراً لكنها لاتخص الفتيات الصغيرات وحدهن بل تمتد لتشمل الصغار الذكور أيضا وإن كانت أشد وطأة بالنسبة للفتيات عنها بالنسبة للفتيان الصغار مثل ظاهرة عمالة الأطفال أقل من السن القانونى ، فاذا كانت الأسر المصرية ، نتيجة الأزمات الاقتصادية تدفع بأولادها إلى سوق العمل - ذكوراً وإناثاً كأحد مصادر دخل الأسرة . فان الصغار الذكور ، ورغم كل مايعانونه من مشاكل فى سوق العمل، أسعد حالاً من الإناث حيث يتعلمون حرفة فى الورش أو المصانع . ورغم قسوة ظروف العمل وضآلة دخلهم فان أعمالهم تزيد من كفاءاتهم وتؤهلهم لمستقبل أفضل هذا على عكس الفتيات واللاتى ليس لهن مكان فى سوق العمل إلا كخادمات فى المنازل وهو العمل الذى لايؤهلن إلى أى عمل غيره . حيث تصادر طفولتها بحرمانها من أسرتها وإحتجازها فى مقر عملها مع أسرة غريبة

ورغم قسوة كل مظاهر العنف المجتمعى الذى تعانى منه الطفلة الأنثى فالآثار التى تترتب على جرائم الاغتصاب لهى أقسى هذه المظاهر على الإطلاق وبصرف النظر عن العقوبة القانونية الرادعة لهذه الجريمة فان هذه الظاهرة تحديداً ليس لها علاج قانونى لعدم اكتشافها عادة ، سيما وأن هذا الانتهاك يتم بواسطة أقارب الأسرة ومعارفها فالفتاة تتعرض لأشكال مختلفة من الانتهاكات الجسدية مستغلين فى ذلك جهلها وخوفها الذى سيمنعها من إفشاء ماحدث وأيضا مستغلين عدم تصديق الكبار لمثل هذه القصص خاصة وإن كانت تخص كبار مرموقين فى الأسرة فلا يكون أمام الفتاة سوى الصمت وإبتلاع تجربة مريرة بكل اثارها النفسية والتعقيدات المستقبلية المترتبة عليها.

ومهما امتدت الحماية القانونية للأنثى من العنف المجتمعى فستظل قاصرة ، ليس لقصور الأدوات بل لأن المجتمع بأفكاره وعاداته وتقاليده وأعرافه يحول بين القانون والتطبيق لصالح النسق القيمى . ومادامت نظرة المجتمع للمرأة ثابتة بدون تغيير وفقا للعادات والتقاليد فستظل طريقة التعامل الأسرى مع الأنثى كما هى بكل ماتحويه من أشكال العنف السالفة حيث يصبح هذا العنف جزءاً من الإعداد الطبيعى لمثل هذه الأدوار.

□ □

أعد هذا التقرير بالاستعانة بورقة (الطفلة الأنثى بين الحماية القانونية والاعتداءات الواقعية) للأستاذة / أميرة بهى الدين.

وورقة انتهاك حقوق الأطفال الإناث د/ زينب شاهين

رحيق السنين

د. سمير حنا صادق

التطور البيولوجى

يقول ناعوم تشومسكى فى آخر مؤلفاته أن تقدم شعب من الشعوب يقاس بمدى تفهمه للتطور البيولوجى، ويعتقد كثير من المفكرين أنه إذا كانت الحقبة الماضية يمكن أن نعتبرها حقبة رقائق السيليكون Microchips (اللبنة الأساسية فى بناء الكومبيوتر) فان الحقبة المقبلة هى حقبة العلوم البيولوجية (الهندسة الوراثية - البيوتكنولوجى- البيولوجيا الجزيئية.. إلخ). ويعلم العلماء أن التطور البيولوجى يمثل الهيكل العلمى الصلب الذى تتكئ عليه كافة علوم البيولوجيا.

لم يعد التطور مجرد نظرية، فكل الدلائل تؤكده، ولم توجد ظاهرة واحدة تنفيه، وأصبح موضعه من العلم مثل كروية الأرض ودورانها حول نفسها ودورانها حول الشمس. وأصبح من يرفضه كمن يرفض هذه الحقائق كلها.

وتكمن أهمية تفهم التطور البيولوجى فى أنه، إلى جانب قيمته العلمية المطلقة، يضع أساسا قويا للعديد من العلوم المهمة للبشرية مثل العلوم الطبية خصوصا فى مجالات التشريح وعلم وظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية، وعلوم الحفريات، والعلوم الاجتماعية، وعلم النفس والحفاظ على البيئة.

وهناك آلاف من الظواهر- ظهر أغلبها بعد داروين- تؤكد التطور البيولوجى ويكفى أن نرصد منها:

- أنه بدراسة الملايين من الحفريات، ورصد تاريخها بدقة (بدراسات الإشعاع الذرى) ثبت أن **عمر الحياة على الكرة الأرضية يزيد عن ثلاثة بلايين(٣ آلاف مليون)** سنة وأن هناك الملايين من الأنواع التى ظهرت ثم اختفت، وأن هناك أنواعاً لم تظهر إلا مؤخراً. لقد ظهرت الديناصورات منذ حوالى مائتى مليون عام واختفت منذ منذ حوالى سبعين مليون عام ولم يبقى منها إلا بعض النماذج الصغيرة مثل **التمساح والاليجاتور**، ولم يتطور عنها ويبقى على سطح الأرض إلا الطيور. ولم تظهر الأحياء المشابهة للانسان Homi-noids إلا منذ حوالى ٥ ملايين سنة. وقد ظهر الجنس البشرى كما نعرفه الآن Homo Sapiens منذ **حوالى مليون سنة** بعد مراحل متعددة اختفت جميعا منها قرد الجنوب Australopethicus afarensis ومنها **الإنسان القادر** على العمل Homo habilis، ومنها **الانسان الواقف** Homo erectus. ولكل من هذه الكائنات نماذج حفرية مدروسة.

إننا لا ينبغى أن نتعجب مما يمكن حدوثه فى **٥ آلاف مليون** سنة ونحن نرى بأعيننا ما ندخله نحن البشر على الكائنات الحية: فالقمح الذى نأكله يختلف تماما عن القمح الذى وجد فى الطبيعة قبل ظهور الانسان. بل يختلف عن القمح الذى كان موجودا منذ بضع عشرات من السنين، ونفس المقولة تسرى على الكلاب والخيل والبقر والخنازير التى يجرى «تطويرها» عاما بعد عام لتلائم احتياجاتنا.

-إنه قد ثبت حديثا أن الكائنات الحية بأجمعها تشترك فى احتوائها على شريط وراثى يتشابه فى مكوناته وإن اختلف فى تفاصيله. وإن بكل كائن حى جهاز قادر على قراءة أى من هذه الشرائط. فالشجر والبكتريا والحيوانات المختلفة قادرة على قراءة الشريط الوراثى للانسان. وقد امكن تسخير هذه الظاهرة فى تحويل نوع من البكتريا (E.Coli) إلى كائنات منتجة للانسولين البشرى. وهو الانسولين الذى يستعمل الآن كبديل للانسولين المحضر من بنكرياس الخنازير.

ومثل غيرها من النظريات التى غيرت المفاهيم فى تاريخ البشرية، لم يكن داروين أول من تحدث عن التطور. فقد كانت لفكرته جذور عديدة ولعل أقدم من تحدث عن التطور كان **اناكسيمندر**، صديق ورفيق **طاليس** (أقدم العلماء المعروفين) الذى عاش فى **ايونيا** (مجموعة من المدن والجزر كانت

توجد على الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى) منذ ألفين وخمسمائة عام، ثم أعاد الفكرة إلى الحياة العالم الفرنسي لامارك ١٧٧٤-١٨٢٩ Jean-Baptiste Lamarck) أحد أهم أساتذة علم الحيوان في فرنسا أيام الثورة الفرنسية . ولكن نظرة لامارك للتطور بنيت على مفهوم غير علمي وهو أن الخواص المكتسبة من البيئة تورث للأبناء (مثال: الزرافة لا تجد غذاء إلا على الشجر المرتفع فتمد رقبتها فتطول فيولد أولادها برقبة طويلة).

ولد **داروين** Charles Robert darwin في عام ١٨٠٩ وكان والده طبيبا وحاول أن يقنع ابنه بدراسة الطب أو الحقوق ولكنه فشل والتحق ابنه بدراسة العلوم. وفي عام ١٨٣٢ اشترك داروين كباحث بيولوجي في رحلة على مركب الابحاث بيجل Beagle لدراسة مناطق أمريكا الجنوبية . وكانت أهم دراساته على مجموعة جزر تدعى **جالاباجوس** (Galapagos) ارسل داروين خلال رحلته التي استمرت لمدة خمس سنوات آلاف من النماذج المحفوظة والمحنطة وعكف بعد عودته على دراستها وكتابة ابحاث علمية عنها لمدة عشرين عاما.

وفي عام ١٨٥٨ كتب العالم الفريد رسل والاس من الملايو مقالا صغيرا عن تطور الاحياء ارسله للنشر. وكان هذا المقال بمثابة خلاصة لكل الافكار التي تردد داروين في نشرها. فاتفق معه داروين ، بناء على توصية الهيئات العلمية، على تأجيل نشر المقال شهور قليلة حتى ينتهي داروين من كتابة مؤلفه «أصل الأنواع».

بنى داروين نظريته على حقائق بسيطة:

- **إن الأفراد من الأنواع المختلفة من الأحياء تختلف فيما بينهما.**
- **إن فرص الحياة والتكاثر والبقاء تختلف باختلافات هذه الخواص (في الحيوانات آكلة اللحوم الفرد الاسرع عدوا له فرصة غذاء أفضل) لهذا تحدث عملية «انتقاء طبيعي» لخواص مميزة:**
- **إن تراكم هذه الخواص جيلا بعد جيل يؤدي إلى تغيرات ملموسة في خواص الأحياء.**

وكما يحدث لكثير من النظريات العلمية فقد سخرت النظرية في بدء ظهورها لخدمة الغرب العنصري ، فاستعملها **جالتون** Francis Galton (١٨٢٢-١٩١١ ابن خالة داروين) للتحريض على «تحسين» الجنس البشري (Eugenics) بمقولات غير علمية وعنصرية تم القضاء عليها تماما في أوساط العلم الحقيقي.

ولعله من سخرية القدر أن **الاتحاد السوفيتي** الذي كان يفترض فيه أنه قلعة من قلاع العلم، قد تبنى أيام **ستالين** نظرية لامارك غير العلمية بناء على توصية من أحد علمائه المقربين (**ليسنكو**) الذي اعتبر أن **لامارك** أقرب إلى الايديولوجية الماركسية من داروين- وكانت فترة مخجلة في تاريخ العلم في الاتحاد السوفيتي.

تقدم الدول مرهون بما تبذله من جهود في تدريس العلوم الأساسية لأبنائها



عندما تمر بالأمم المتقدمة أزمة تهدد رخاءها وأمنها ، وعندما تستيقظ في دولة متخلفة الرغبة في تحقيق التقدم والرفاهية لشعبها. عندما يحدث هذا فان هذه الدول تبذل جهودا خارقة في تدريس ما يطلق عليه اسم العلوم الاساسية لأبنائها (**الرياضة والكيمياء ، الفيزياء ، علم الأحياء**) وقد يكون أهم هذه العلوم في الحقبة المقبلة هو علم الاحياء ،ولابد لدراسة علم الاحياء من فهم التطور البيولوجي

إضافة ضرورية إلى نوستالجيا د. سمير حنا صادق عن اللجنة الوطنية للعمال والطلبة

ندين جميعا بالشكر للدكتور **سمير حنا صادق** لما قام به في عدد شهر يولية الماضي من" اليسار" بتذكيرنا بالدور الهام الذي قامت به اللجنة الوطنية للعمال والطلبة في تاريخ مصر الحديث، وذلك بمناسبة مرور خمسين عاما على تكوينها غير أنه فاته وهو يردد أسماء القيادات الطلابية التي شاركت في إنشائها أن يذكر اسم الدكتور **عبد الرؤوف أبو علم** ، رحمه الله الطالب وقتها في كلية الزراعة بجامعة فؤاد الأول ومثل حزب الوفد في اللجنة.

والدكتور أبو علم نموذج فريد من بين العناصر التي شاركت في انشاء هذه اللجنة . إذ أنه رغم انتمائه إلى أسرة أبو علم ذات الثروة والنفوذ في محافظة المنوفية وفي حزب الوفد حيث كان عمه سكرتيرا عاماً مساعدا للوفد فانه من خلال مشاركته في اللجنة ارتبط ارتباطا عميقاً بالحركة العمالية وظل مخلصا لها حتى وفاته في عام ١٩٨٤.

وعندما تولى حزب الوفد السلطة في عام ١٩٥٠ . عينه **فؤاد سراج الدين** ملحقا عماليا في سفارة مصر في واشنطون ؛ حيث حصل على الدكتوراه من إحدى جامعاتها وكانت رسالته عن "**الحركة العمالية المصرية**" وعندما انتهت خدمته كمستشار عمالي في الوفد المصري الدائم لدى المقر الأوروبي للأمم المتحدة في جنيف وعاد إلى مصر في عام ١٩٦٤ ، رشحه وزير العمل حينئذ السيد **أنور سلامه** ، مستشارا فنيا للاتحاد العام للعمال ، وعندما انتخب رئيس

الاتحاد فى ذلك الحين ، المرحوم **أحمد فهيم** ، وكيلا لمجلس الأمة ، لم يجد الدكتور أبو علم غضاضة فى أن يعمل مديرا لمكتبه فى المجلس إلى جانب عمله فى اتحاد العمال ، كى يساعده على القيام بمسئولياته على الوجه الذى يدعم دور الحركة العمالية فى العمل السياسى .

حينما جاء الدكتور أبو علم الى اتحاد العمال لم يكن قد مضى على خدمتى فيه أكثر من تسعة أشهر . كنت شابا جامعيا حديث التخرج من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية لايربطنى بالحركة العمالية سوى أفكارى الاشتراكية ورغبتى فى المساهمة فى مسيرة البناء الاشتراكى فى مصر فى ذلك الوقت . غير أن عملى مع الدكتور أبو علم علمنى الكثير عن الحركة العمالية ، وقوى من ارتباطى بها والذى دام قرابة ربع قرن من الزمان . **كان ايمان الدكتور أبو علم بالحركة العمالية وضرورة استقلاليتها التامة عن كل هيمنة ، سياسية كانت أو ادارية قويا ولايتزعزع** . وقد جلب عليه ذلك غضب القيادات الادارية والسياسية فى البلاد والتى لم تتورع عن الانتقام منه لما كان يكتبه من مقالات فى مجلة **الطليعة** وفى **صفحة الرأى** بالأهرام يدعو فيها إلى استقلالية القرار النقابى ولترديده لهذه الأفكار فى المحاضرات التى كان يلقيها فى مراكز الثقافة العمالية ، وذلك فى مرحلة مأساوية بالغة من حياته ، بعد أيام قليلة من وفاة زوجته إثر ولادتها لطفله الرابع ، وكان وقتها يلبى نداء الواجب كعادته فى كل الظروف ، تاركا زوجته تضع مولودها ليلقى محاضرة فى مركز للثقافة العمالية فى الاسكندرية اختارت تلك القيادات هذه اللحظة الأليمة لتلغى انتدابه إلى اتحاد العمال وتنقله مديرا لمديرية عمل أسوان ورغم أن جهود بعض الأصدقاء خففت من صورة الانتقام التأديبى بتعديل النقل إلى ديوان الوزارة فى القاهرة، إلا أنه لم يفقد حماسه للحركة العمالية وللمساهمة فى تدعيم دورها ونشاطها (من الطريف فى هذا الصدد أنه رفض رفضا باتا



عبد الرزوف أبو علم

أن يساعدنى فى الحصول على وظيفة فى منظمة العمل الدولية فى جنيف رغم نفوذه الكبير فى دوائرها اقتناعا منه أن اتحاد العمال فى حاجة الى خدماتى ، وأن جحا أولى بلحم طوره)

فيما بعد ، عندما اختارته **منظمة العمل الدولية** مستشارا إقليميا لها للثقافة العمالية فى المنطقة العربية ، ظل يدعو دون كلل إلى نقل تبعية مؤسسة الثقافة العمالية المصرية من أمانة العمال بالاتحاد الاشتراكى العربى الى الاتحاد العام لنقابات العمال . وعندما كنت أناقشه فى خطورة ذلك بالنظر إلى نوعية القيادات العمالية التى يمكن أن تتولى المسئولية حينئذ عن نشاط المؤسسة كان يقول: **إن المبدأ يبقى والأشخاص إلى زوال** ، وفى خلال عمله فى المنطقة العربية كان له اسهامه البارز فى قيام العديد من مؤسسات الثقافة العمالية فى بعض الأقطار العربية التى كانت تفتقر إلى وجودها . ولاأعتقد أن **العراق وليبيا والأردن واليمن** ستنسى له ذلك .وظل الدكتور أبو علم حتى وفاته يجاهد لدعم النشاط التثقيفى الذى يقوم به الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب والاتحادات النقابية المهنية العربية . وفى كل ذلك لم تكن تعنيه نوعية القيادات رغم أنه بذكائه الحاد كان قادرا على سبر غورها ، بقدر ماكان يعنيه أن يترسخ نشاط المنظمات والمؤسسات التى تتولى تلك القيادات تسيير أمورها . كما يذكر له أنه إبان عمله فى الاتحاد العام لعمال مصر ، كان صاحب فكرة قيام الاتحاد بتنظيم دورات تثقيفية باللغتين الانجليزية والفرنسية للقيادات النقابية الإفريقية ، وهو النشاط الذى كان له أثره الكبير فى تدعيم نفوذ اتحاد عمال مصر فى الحركة النقابية الإفريقية.

وقد كان الدكتور أبو علم بسيطاً فى مظهره وسلوكه، أقرب فى تصرفاته وفى أسلوب حياته إلى قلوب العمال العاديين لم تنقطع صلته الحميمة يوما بالقيادات العمالية التى تعرف عليها إبان نشاطه فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وعمل جاهدا على انتشال بعضهم من مصير مؤلم انتهوا إليه عندما أدارت لهم الأيام ظهرها ، إلى درجة وقوف بعضهم على أبواب المساجد يمدونأيديهم للسؤال وكان شديد الفخر حتى وفاته بانتمائه الى الطليعة الوفدية ، وإن كان ارتباطه بالعمل النقابى قد علمه كيف يتجاوز أفكار الطليعة الوفدية الى منطلقات أكثر قومية وتقدمية.

ولعلى بهذه الاضافة أكون قد وفيت للدكتور أبو علم جانبا من حقوقه على " **قم للمعلم وفه التبجيلا** ".

محمد جمال إمام

يوسف عبدلكى

الهمسة الصارخة

يوسف عبدلكى هو أحد أعمدة الكاريكاتير العربى الحقيقى بلا جدال

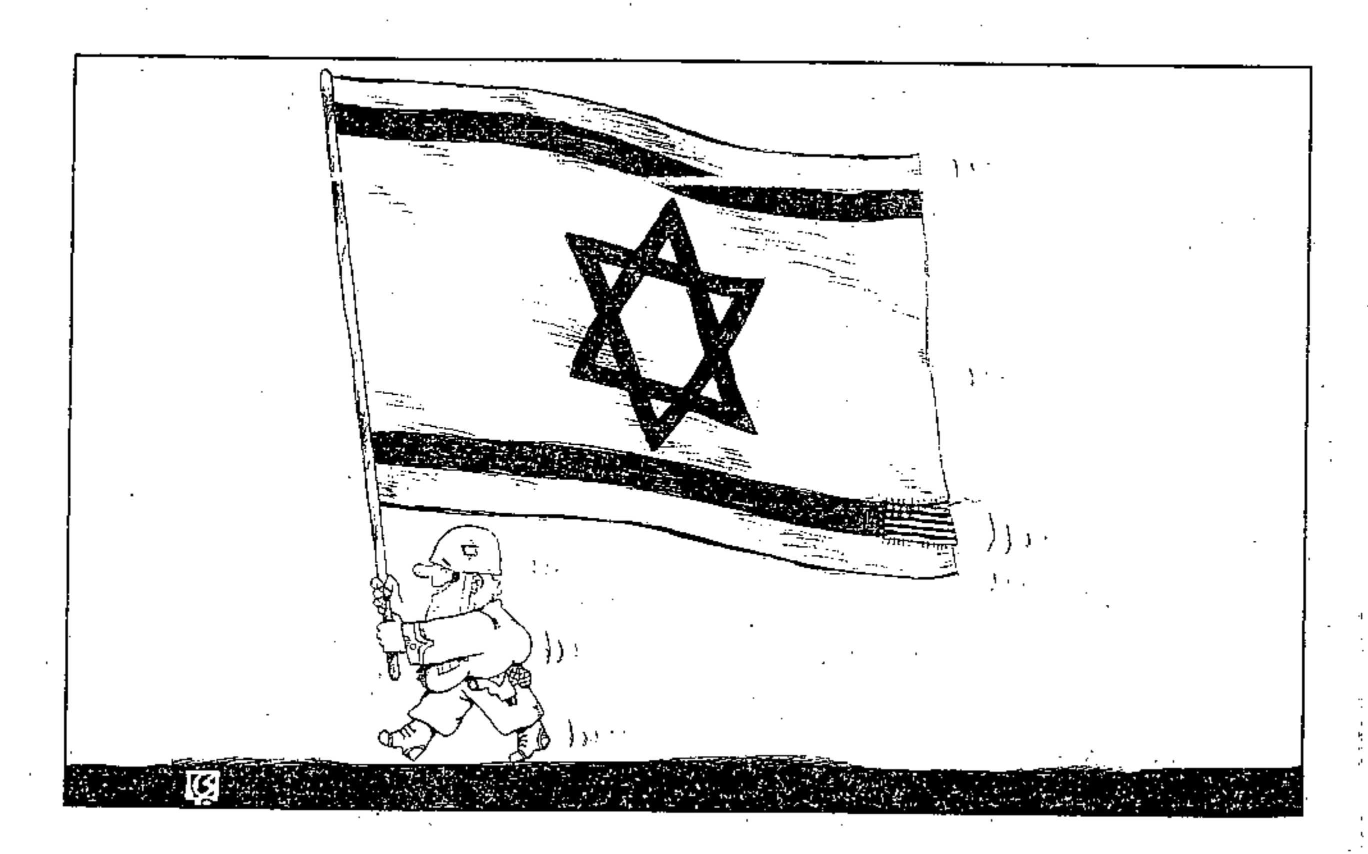
وأقول الكاريكاتير الحقيقى لأنه فى هذا الزمان استشرت ظاهرة الكاريكاتير التقليد المزيف " شغل تايوان" فإذا كان الكاريكاتير الحقيقى هو كشف وتعرية السلبيات من أجل حياة أفضل فيوسف هو من أهم فرسانه الشجعان.

ويوسف درس وتخرج من كلية الفنون الجميلة بدمشق ثم أكمل دراسته فى فرنسا وبرع فى الجرافيك مع تفرده وتميزه الشديد فى الكاريكاتير فكرة ورسما. وكانت رسالة الدكتوراه التى حصل عليها من جامعة باريس الثامنة عن " رسامو الكاريكاتير العرب وتقنياتهم "

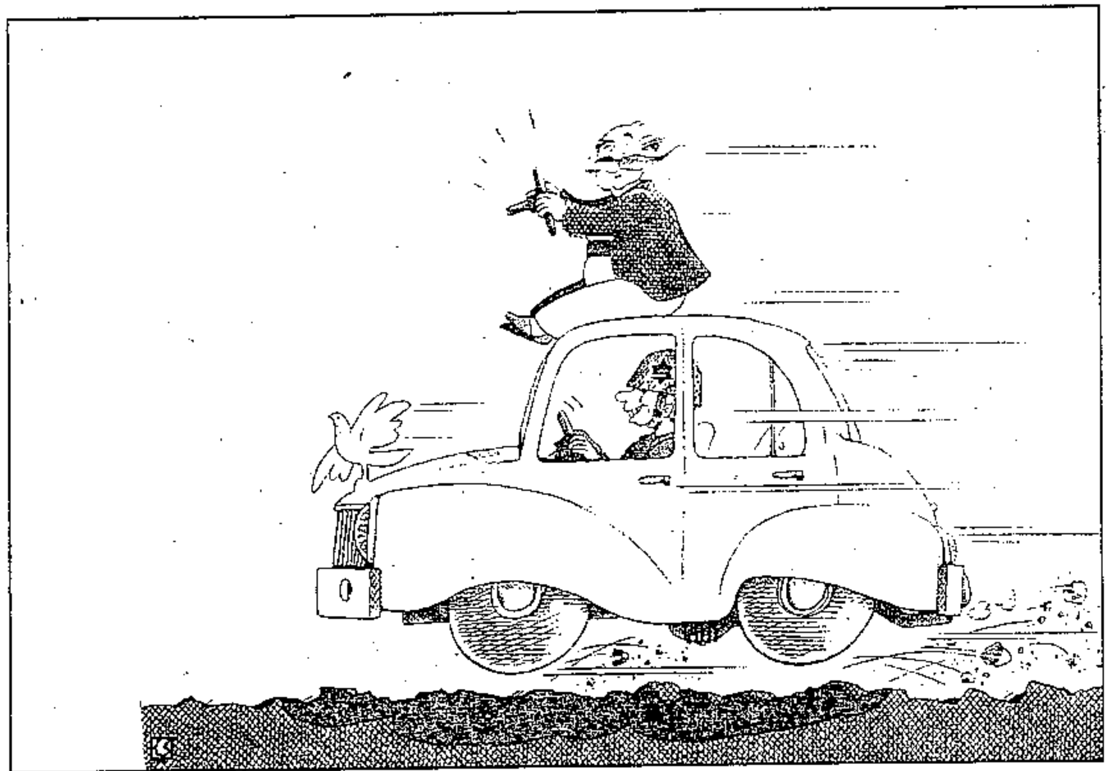
أرجو أن يهتم أحد بترجمتها ونشرها عسى أن تنفع الناس.

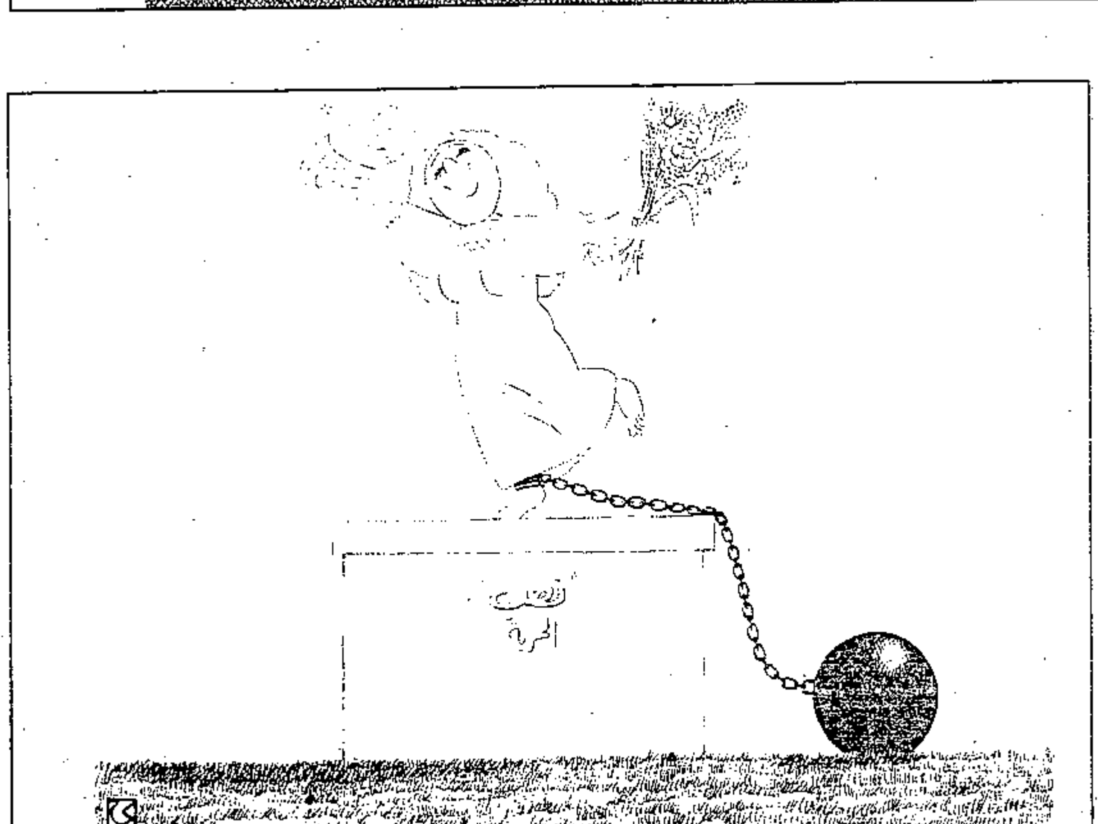
إذا كانت رهافة خطوط يوسف عبدلكى هى الشعر بعينه ، ففكرته هى الهمسة الصارخة.

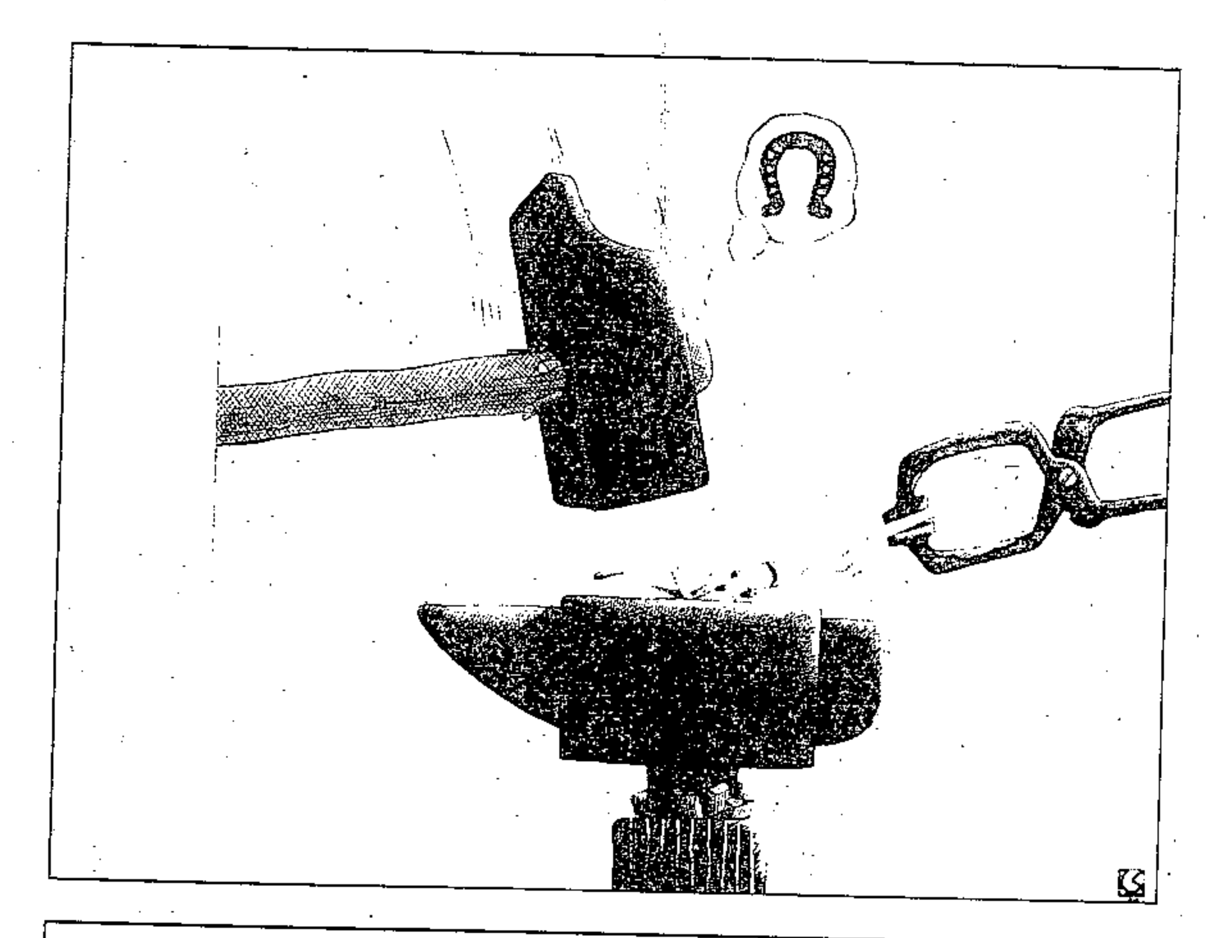
بهجت

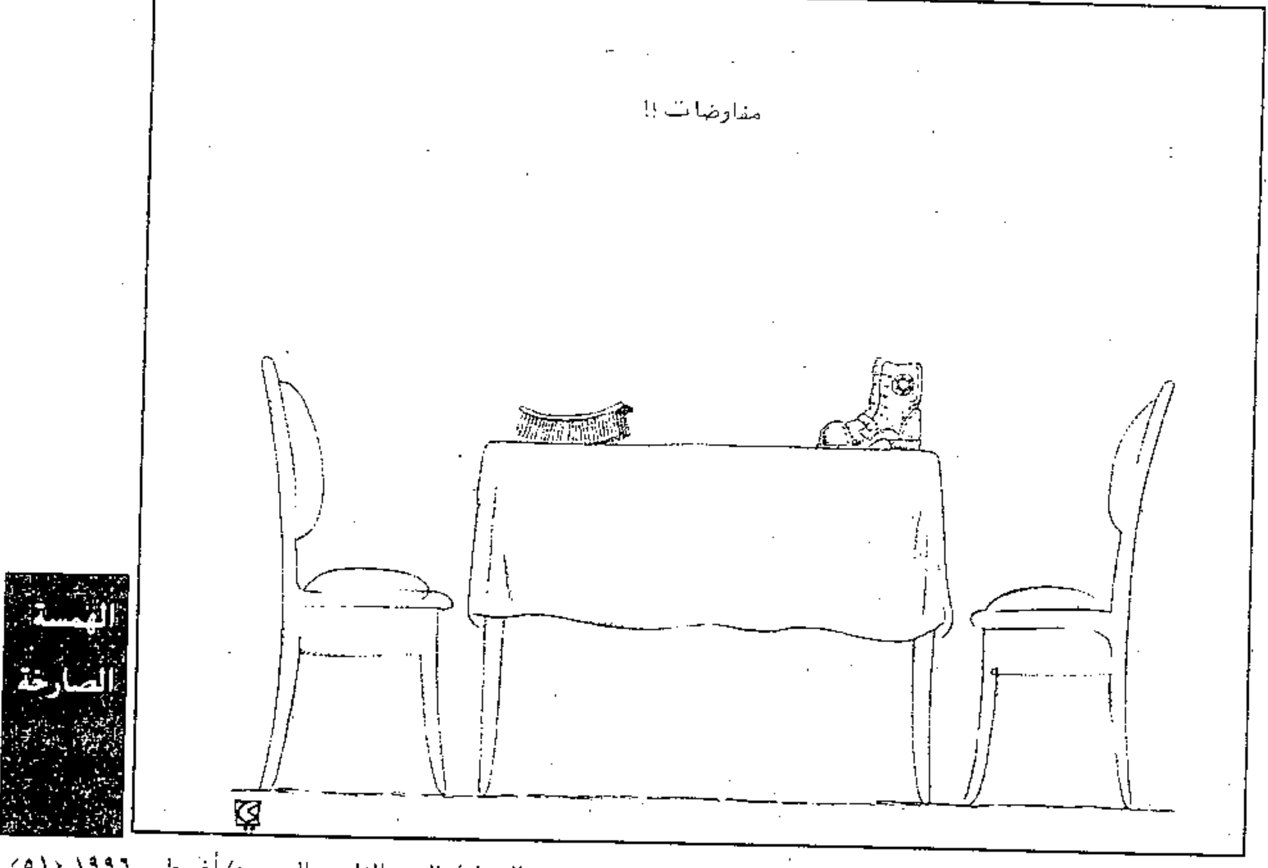


يوسف
عبدلكي









مفاوضات !!

الهمسة الصارخة

مـا هـو لغـز نتنيـاهو؟

رسالة حيفا

نظير مجلي

بنيامين نتنياهو بات لغزاً محيراً، ليس في العالم العربي فحسب، ليس في أوروبا والغرب فحسب، بل حتى في اسرائيل نفسها وبين صفوف وزرائه وأقرب المقربين منه.

كل هؤلاء ، أرادوا أن يفهموا : ما هو السر؟ وراء تغيير الموقف المصرى من نتنياهو ، وبهذه السرعة؟.

فقبل أن يصل رئيس الحكومة الاسرائيلي إلى القاهرة كان الموقف منه غاضباً ومعادياً لدرجة استعمال كلمات فظة قاسية مثل «**نتن ياهو**» وخرجت تصريحات مصرية شديدة ضد نتنياهو وسياسته المعادية للسلام، وخرجت الصحف المصرية ، كلها المعارضة وغير المعارضة، بمقالات افتتاحية تشرح «**نتنياهو**» وتعرّيه وتبهدله.

وفجأة ، بعد ساعتين من اللقاء المنفرد مع الرئيس مبارك، **تغير كل شئ بمئة وثمانين درجة، من النقيض إلى النقيض.**

حاول الصحفيون استخراج جواب من الرئيس مبارك أو ضيفه، خلال المؤتمر الصحفي الذى عقداه معا ، وكذلك فعل المراسلون السياسيون الاسرائيليون الذين افرد لهم الرئيس مبارك لقاء صحفيا خاصا، ولكن عبثا.

وفي الطائرة ، خلال العودة من القاهرة إلى تل أبيب حاول الصحفيون الاسرائيليون مرة أخرى حظهم. إلا أن نتنياهو اكتفى بالقول: «**أسمعني الرئيس مبارك بعض التقديرات والنصائح القيمة بخصوص دفع المسيرة السلمية، واستمتعت رأيى بصراحة من كل شئ وجدت أننا، هو وأنا، صريحان لا يعرفان اللف والدوران. وهذا زرع بيننا الثقة لذلك جاء التغيير**».

وفي جلسة الحكومة، التى عقدت في اليوم التالى من الزيارة ، جاء دور الوزراء ليسألوا ويستفسروا. فلا أحد يقتنع بأن التغيير في التوجه المصرى جاء فقط لمجرد الاعجاب بصراحة نتنياهو ، فلابد من وجود سبب وجيه أكثر.

الوزراء المتطرفون ، أمثال، **رفائيل ايتان ، وارئيل شارون تساءلوا:**

هل قدم نتنياهو تنازلات سرية للرئيس مبارك فيما يتعلق بالمفاوضات على المسار الفلسطيني أو السورى؟.

نتنياهو صرح قائلا : **لم أغير شيئا في مواقفي، بل قلتها جميعا بصراحة أمام مبارك. ولم أقدم أى تنازل عن أى شئ.**

المعلقون السياسيون في إسرائيل فسروا هذا التصريح بالقول: نتنياهو عاد فعلا على مواقفه . قال أنه يريد مواصلة المسيرة السلمية بكل إخلاص لكن من دون شروط مسبقة. على المسار السورى، قال مستعد لتجديد المفاوضات عندما يكون ذلك مريحا للسوريين. وعلى المسار الفلسطيني، أبلغ باجتماع **دافيد ليفى** وزير الخارجية، مع الرئيس **عرفات** بعد أيام، وأبلغه بسلسلة من الإجراءات الاسرائيلية من طرف واحد، لصالح الفلسطينيين، مثل:

-اطلاق سراح السجينات الفلسطينيات.

-التخفيف الجدى من الحصار.

- بدء المفاوضات حول الممر الفلسطيني الآمن من قطاع غزة إلى الضفة الغربية.

لكن العنصر الأساسي الذى جعل القيادة المصرية حسب أولئك المعلقين، ترى في هذه الاجراءات خطوة إيجابية جدا وتغير موقفها من نتنياهو، يتعلق بالمصالح المصرية المعينة. «**فالرئيس مبارك سيذهب إلى واشنطن وليس من الحكمة أن يسافر وهو في صدام مع نتنياهو. ففي العاصمة الأمريكية ينتظره بحث حول تقديم المساعدة السنوية الأمريكية لمصر بقيمة ٢ر١ مليار دولار، وهو لا يستغنى عنها بسهولة » (معريب ١٩/٧/١٩٩٦- بقلم حامى شيلو)** ويضيف «**ثم إن مصر معنية لتعزيز موقعها في العالم العربي، كقوة مبادرة وطليعية**».

وبالمناسبة ، فقد أكد على هذه النقطة الأخيرة سفير مصر في اسرائيل ، **محمد بسيوني** ، الذى قال لاذاعة إسرائيل بالعربية: «**هذه الزيارة أكدت أهمية القاهرة في المحور العربي، كقوة مركزية وطليعية**».

المشكلة الفلسطينية

ونعود إلى لغز نتنياهو بالنسبة للقضية الفلسطينية.

صحيح جدا أن نتنياهو في القاهرة، لم يكن نتنياهو نفسه «بتاع واشنطن» . فعندما توجه إلى البيت الأبيض ، كان «خالي الوفاض». لم يشعر بحاجة لتقديم أى دفع للعملية السلمية. تحدث فقط بالعموميات. وطلب من الرئيس كلينتون أن يعطيه الفرصة لتجريب سياسته مع

العرب وقد اختلف معه كلينتون وابلغه أن العملية السلمية يجب أن تستمر بنجاح، «من **الخطأ التاريخي أن يقف المرء في مواجهة تيار التاريخ**». لكن الرئيس الأمريكي قال لنتنياهو، في الوقت نفسه: «نحن **لن نقف عقبة في طريقك. جرب. وسنكون معك. ولن يضايقنا أن تنجح ، فنحن لا نقف ضد النجاح**».

وكان نتنياهو مدركا بأن **كلينتون** أصبح في خضم معركته الانتخابية للرئاسة. وهذا ليس الوقت الذي يختلف فيه مع إسرائيل. خصوصا وأن **٦٥٪ من مصاريف حملته الانتخابية (٢٧ مليون دولار) يمولها يهود امريكيون**(حسب تصريحات خليل جهشان، رئيس مجلس رؤساء الجمعيات العمومية العربية ، الأمريكية، لصحيفة «الاتحاد الحيفاوية-١٢-٧-١٩٩٦).

لذلك عاد **نتنياهو** من واشنطن ومعه حبل طويل، يلعب عليه خمسة أشهر (حتى انتهاء معركة الانتخابات الامريكية) من دون ضغوط أمريكية أو عراقيل.

لكن الوضع في القاهرة مختلف. فهنا لا توجد حسابات انتخابية ولا ضغوط من لوبي يهودي. بل توجد حكومة تتعامل مع نتنياهو من خلال تمثيل المصالح العربية ومصلحة مسيرة السلام. **ومع أن العرب ليسوا موحدين حول موقف حازم من اسرائيل بعد ، إلا أن بوادر الغضب العربي بادية بوضوح:**

-مؤتمر القمة العربي في القاهرة، بمجرد انعقاده وكذلك بتوجهاته العامة التي اتسمت بالتحذيرات المبطنة لنتنياهو إذا ما خرب العملية السلمية.

-**بوادر تجميد مظاهر التطبيع بين إسرائيل وعدد من الدول العربية**: * **الملك الحسن الثاني** رفض أن يكلم نتنياهو بالهاتف، بعد انتخابه، ورفض استقبال نتنياهو في أثناء عودته من واشنطن إلى إسرائيل* الرئيس التونسي **زين الدين بن علي** ، رفض كذلك أن يرد على مكالمة هاتفية من نتنياهو ، ولم يرسل المبعوث التونسي الدائم إلى إسرائيل * **قطر** ،لم ترسل مبعوثها في المكتب التجارية إلى اسرائيل ، مع أن إسرائيل أرسلت مبعوثها منذ شهر* **سلطنة عمان** استدعت مندوبها الدائم في اسرائيل إلى مسقط. ولم يعد حتى الآن* **وفود الدول العربية قاطعت المؤتمر الاقتصادي الذي عقد في عمان تحت رعاية الأمير حسن، باشتراك اسرائيل**، مع أنها كانت قد أعطت موافقتها لحضوره قبل شهرين *

المحادثات متعددة الاطراف، مجمدة تماما.

ازاء هذا الوضع، حذرت المعارضة الاسرائيلية من مغبة مواصلة السياسة المتشددة لنتنياهو وحصل انهيار في البورصة(هبطت قيمة الأسهم بنسبة ١٩٪ خلال شهر)، وأحد الأسباب الأساسية لذلك هو القلق على المسيرة السلمية. مما دفع رجال الأعمال وخبراء الاقتصاد لأن يتوجهوا إلى نتنياهو جهارا، بأن يعمل على بث الآمال حول العملية السلمية.

من هنا، جاء توجه نتنياهو في القاهرة أكثر ايجابية مما في واشنطن. فهو لم يكن يرغب في تجديد المفاوضات مع الفلسطينيين على مستوى عال، في هذه المرحلة على الأقل. إذ لا يزال ملتصقا بمواقفه في الماضي القريب **وهجومه على حزب العمل وشمعون بيريز «الذي يذهب يدا بيد مع عرفات»**، وهذا شكل عنصرا أساسيا في معركته الانتخابية.

وهو **لا يريد أن يدفع ثمن هذه المفاوضات ، خصوصا الانسحاب من الخليل واطلاق سراح الأسرى والاجتماع المباشر مع عرفات.**

لذلك أيضا جاء توجهه الايجابي في مواضع أخرى ، لا تبدو هي المواضع المركزية، رغم أهميتها البالغة ، مثل:

-**تخفيف الحصار**، بزيادة عدد العاملين الفلسطينيين في اسرائيل(من ٢٥ إلى **٣٥ ألفا**) وعدد الأطباء(٢٢٠ طبيبا إضافيا و١٠ سيارات اسعاف) والتجار (٣٥٠ تاجرا فلسطينيا سمح لهم بالمجيء إلى إسرائيل).

- اطلاق سراح الأسيرات الفلسطينيات. وهنا اكتشفت لعبة خداع . فعدد الاسيرات ٣٦ ، واحدة منهن سجينة جنائية، والباقيات سجينات امنيات. لكن اسرائيل تحدثت فقط عن ٢٨ اسيرة. **والاسيرات يرفضن الخروج من المعتقل ، إلا إذا خرجن معا ، دفعة واحدة**.لذلك ، فان هذه المشكلة لم تحل بعد. لكن إذا كانت نوايا نتنياهو مخلصة وأطلق سراح جميع الأسيرات . فمما لا شك فيه أن الأمر سيجدد آفاق الأمل والثقة. وستزال عقبة كبرى عن طريق مسيرة السلام.

- تعهد نتنياهو بتجديد المفاوضات سريعا حول الممر الفلسطيني الآمن من قطاع غزة إلى الضفة الغربية. وهو ممر بالغ الأهمية والحيوية بالنسبة للسلطة الوطنية، إذ يتيح المجال أمام تبادل الايدي العاملة وتسيير الأمور الادارية بشكل أفضل.

لكن هذه الأمور تبقى بسيطة أمام المطالب الفلسطينية الشرعية. فقد اتخذتها الحكومة الاسرائيلية من طرف واحد ، ومن دون أي تشاور أو تفاوض ومن خلال التجاهل التام للسلطة الوطنية. وهذا ليس مناسبا لشركاء في عملية السلام.

وثانيا ، جاءت هذه الخطوات جنبا إلى جنب مع **عدة مواقف وممارسات معادية للفلسطينيين ولعملية السلام، من طرف حكومة نتنياهو أو حلفائها المستوطنين .**

-**الخطة لتهويد القدس العربية**، بواسطة مشروع استيطان واسع يجعل عرب القدس الشرقية أقلية.

-**الهجوم على المؤسسات الفلسطينية في القدس** خصوصا بيت الشرق.

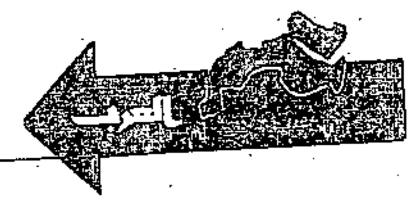
-**الاصرار على عدم الانسحاب من الخليل إلا إذا وافق الفلسطينيون على تعديل الاتفاق بشأنها.**

- **التعاطف مع خطة الاستيطان الواسعة في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان السوري المحتل** ،بهدف مضاعفة عدد المستوطنين اليهود.

-**الاعتداءات على الفلسطينيين في مختلف الأوقات والمجالات**، مثل الهجوم المشترك للمستوطنين ولرجال الجيش على المتظاهرين الفلسطينيين ضد مصادرة أراضيهم في قريتي «قريوت» و «ترمس عيا».

هذا كله يدل، على أن لغز نتنياهو لم يحل بعد. فهو حتى الآن يبدو ملتصقا بأفكاره التي تخرب على المسيرة السلمية، وعلى العلاقات الطبيعية ، المفروض أن تقام بين اسرائيل والدول العربية، في عصر السلام.

ولا يدرك نتنياهو ، حاليا، أن العرب قادرون على مواجهته. ولا يزال يبني على **أن العرب مختلفون وأنهم. لن يصمدوا أمام ضغط أمريكا وانهم لن يحظوا بضغط أمريكي على إسرائيل** . وما زال يعتقدان أن الوقت لصالحه ؛ وأنه كلما صمد الآن في مواقفه أكثر، يحقق مكاسب أكبر. وهو الذي كان قد أعلن قبل الانتخابات بأيام : «**أنا أعرف العرب تماما . إذ تنازلت لهم سيطلبون منك أكثر أما إذا صممت على رأيك ومواقفك وابديت التصلب الحازم ، فانهم سوف يتراجعون**».



خطوة عملية هامة أمام العرب على طريق متابعة قرارات القمة الأخيرة

رسالة القدس

حنا عميرة

لم تكن مجرد مصادفة أن يختار **بنيامين نتنياهو** فرصة زيارته للولايات المتحدة لشرح برنامج حكومته للسنوات الأربع القادمة. ولا شك أن ما أعلنه خلال هذه الزيارة، فيه من اللاءات والشروط ما يكفي للتخلص من الشعار المرفوع- **اعطوا نتنياهو فرصة-** لأن سياسته تجاه أسس عملية السلام كما أعلنها أمام الرئيس الأمريكي وأمام الكونجرس، تغلق جميع الفرص.

وعلى الرغم من ذلك، فان ما يفهم من ردود الفعل الأمريكية على هذه السياسة، وما أعلن من نتائج اجتماعات نتنياهو مع المسئولين الأمريكيين، يعطيه هامشا إضافيا للتحرك والمناورة وحيزا من الوقت لاختبار مواقفه وأفكاره المتصلبة وما قد تنطوي عليه وخاصة على الصعيدين الفلسطيني والسوري.

واستنادا منه إلى هذا الانحياز الأمريكي الرسمي، ولادراكه لهشاشة موقف الادارة الأمريكية في سنة الانتخابات، لم يكن رئيس الوزراء الاسرائيلي دبلوماسيا أو مجاملا في طرحه لمواقفه عندما تحدث عن سياسة حكومته تجاه أسس عملية السلام واشتراطاتها لاستئناف المفاوضات؛ كما أنه ضرب عرض الحائط جميع التحذيرات ومن بينها دعوة الادارة الأمريكية نفسها إلى العرب بالانتظار والتريث قبل اصدار الاحكام على سياسته أو اتخاذ أية مواقف عملية ازاءها.

ولم يكن موقف الادارة الأمريكية وحده هو الذي منح نتنياهو هامشا إضافيا للحركة، وإنما أيضا **نتائج سياسة حكومة بيرس وتجميدها لمفاوضات السلام وشقها للطرق الالتفافية وترسيخها لسياسة الاستيطان والمصادرات وسعيها لتسوية محدودة ومنقوصة إن كان ذلك في المناطق الفلسطينية المحتلة أم في الجولان وجنوب لبنان.**

ومن هنا، وهذا ما أشار إليه نتنياهو نفسه، فلا يجب أن نتوقع من حكومة الليكود أن تفعل في مجال المصادرات والاستيطان أقل من حكومة العمل، أو أن تفعل أكثر منها على صعيد المفاوضات.

إن هذا الواقع الناشئ في إسرائيل، يزيل الضباب الذي جلل به حزب العمل في السابق سياسته التفاوضية، كما أنه يضعنا على أعتاب مرحلة جديدة تتطلب إجراءات عملية لاغلاق الأبواب والفرص أمام حكومة نتنياهو للمناورة دون تغيير سياساتها وبالاساس نسف مبدأ الأرض مقابل السلام.

إن هذه الاجراءات، إذا أردنا أن تكون عملية، يجب أن تنطلق من متابعة تنفيذ قرارات القمة العربية التي عقدت مؤخرا في القاهرة، وخاصة ما يتعلق بالربط ما بين تقدم المفاوضات **من جهة وسياسة التطبيع مع العالم العربي من جهة ثانية، وعدم ترك عملية التطبيع شأنا خاصا لكل دولة عربية على حدة!.**

وهناك الكثير في هذا المجال مما تستطيع أن تفعله أو أن تقوم به الدول العربية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، **لماذا لا يربط العرب اشتراك إسرائيل في المؤتمر الاقتصادي الثالث للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الذي سيعقد في القاهرة في شهر تشرين ثاني (نوفمبر) القادم بمدى استعدادها للالتزام بمبدأ الأرض مقابل السلام وعودتها إلى طاولة المفاوضات على هذا الأساس وتنفيذ جميع الالتزامات والاستحقاقات المترتبة عليها في هذا المجال!!.**

لقد عقدت القمة الاقتصادية الأولى في الدار البيضاء عام ١٩٩٤، وعقدت القمة الثانية في عمان عام ١٩٩٥، والآن يستعد أكثر من ١٥٠٠ من رجال الأعمال في العالم، كما يستعد المئات من رجال الأعمال في إسرائيل والحكومة الاسرائيلية للمشاركة في مؤتمر القاهرة، بهدف الخروج بخطط ومشاريع اقتصادية ومالية مشتركة لتطبيع العلاقات مع العرب، ولا تزال هذه العملية تجري بمعزل كامل عن مدى استعداد اسرائيل للتقدم في المفاوضات أو الالتزام بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية.

لقد حان الوقت لاتخاذ خطوة عملية في هذا الاتجاه ووضع الآليات اللازمة لربط التطبيع بالانسحاب، وهنا تكمن الأهمية العملية من متابعة قرارات القمة والخروج من دائرة الأقوال إلى الأفعال.



ذاكرة الأمة



صورة تاريخية لمظاهرات أبناء القدس عام ١٩٢٨ ضد قوات الاحتلال البريطاني



وجهة نظر


جمال عبد الناصر بريشة الفنان جورج البهجوري

التفاؤل.. ومضمونه في المسألة العنصرية الاسرائيلية



في ذكرى ٥ يونيو سمعت مذيع راديو إسرائيل يقول عقب انتهاء نشرة الأخبار: هذا أسبوع القسم(!)- **القاهرة ،والعقبة، ودمشق**.. وقد تتبعها تمة موسعة للدول العربية ، بعد «الصدمة» التي أصابتها بوصول **نتنياهو** إلى رئاسة الوزارة..

وكان واضحا من نغمة «الإذاعة الإسرائيلية» في تلك الأيام -وقد تابعتها بالذات يوم الإنتخابات- أن مسئولي الإعلام الإسرائيلي يروجون لخط نتنياهو ويبشرون بفوزه. ولهم بذلك أن يذكروا ما أحدثه هذا الفوز من صدمة. ولكن لماذا الصدمة؟.

هل كان فوز بيريز يؤدي -على العكس-إلى الاطمئنان؟ أو التفاؤل؟.

في نفس اليوم -٥ يونيو- قرأت في جريدة الأهالي مقالة، أو يوميات، بعنوان **«مرارة الذكرى.. وحتمية التفاؤل..» يقول فيها الاستاذ الدكتور يحيى الرخاوي** إنه يعتبر اليأس نوعا من الرفاهية لم ينجح أبداً في أن يتمتع به. وهو في هذا السبيل يدعونا إلى التفاؤل رغم مرارة الذكرى- استبعاداً لتلك الرفاهية التي لا محل لها، ويبشرنا بالنصر مردداً عدداً من المؤشرات بانفراج الأزمة عالمية ومحلية.. وشخصية.

وقد مزج في مقاله الشيق مزجاً بناء بين الشعور الشخصي نحو ما حدث في حرب يونيو ١٩٦٧ وما توالى بعده حتى الغطرسة الاسرائيلية التي بلغت أوجها مع مزايدات انتخابات مايو الماضي، وبين موضوعات متعددة مما وقع خلال هذه الفترة، وما هو كائن في الأوضاع الحاضرة مما لا يدعو في مجمله إلى التفاؤل.

على أنه لفرط ما في المقال من روعة إحساس المواطن والعالم والطبيب النفساني والأديب، فان الانسان لا يملك إلا أن يتجاوب بدرجة أو أخرى مع هذه الدعوة إلى التفاؤل. وإني لكذلك إذ يستحث التفاؤل عندي «غشم» تصريحات نتنياهو العنصرية وردود فعلها بعد أن كنت قد أثرت انكماشا منذ حرب الخليج (وغشم صدام) وما شاب الاعلام ،وكثيرا من الأعلام ،من ضلال في تحليل ظروفها ،وفيما اتخذ خلالها من مواقف حتى أتت أمر ثمارها وأكثرها عطباً، وأوصلتنا إلى حال أصبحت معه عيوننا- كما يقول المثل العامي- «ماتشوف إلا النور» -بمعنى البصيص الذي يتلصص من خلال ظلام معمعة اختلط فيها الحابل بالنابل ،والنور هنا هو مجرد بصيص «التفاؤل» الذي يتحدث عنه الاستاذ الدكتور الرخاوي.

وأزعم أني أنتسب إلى موقف الدكتور يحيى في أن اليأس نوع من الرفاهية غير مستساغ في ظروفنا، كما أني أعتنق قول مصطفى كامل: **«لا معنى للحياة مع اليأس، ولا معنى لليأس مع الحياة». على أنه لكي لا يكون التفاؤل مثاليا كما يفعل** الاطفال-على حد تعبير الدكتور يحيى في مقاله، وحتى تكون مواجهة الخسارة والهزيمة واقعية-

وجهة نظر

فلابد من إدراك إن استيعاب الهزيمة فى عناد إيجابى أو قبولها لمدى أو آخر فى تماسك شريف ذلك يعتمد علىَ عمق الوعى بالمشكلة، وبطبيعة الصراع، فاذا وصل الصراع إلى مستوى «الحياة أو الموت» مثلا ، فان قبول الهزيمة قبولا إراديا لا محل له ولا يمكن أن يعتبر شرفا، والفريسة لا يمكن أن تطمع أو تفكر في هذا الشرف وهى تلفظ آخر أنفاسها بين براثن أعتى الوحوش.. بل هى تناضل حتى آخر خلجة فى كيانها..

ولهذا فان تمسك الجماهير بعبد الناصر يومى ٩ـ ١٠ يونيو ١٩٦٧ لم يكن فى نظرى تشبثا بشخصه بقدر ما أنه- بعد إعلانه الهزيمة دون مواربة أو خداع- كان تشبثا بالحياة واستمرار النضال حيث لا مجال للتسليم وفينا - عرق ينبض، ولا شرف فى هذه الحالة فى قبول الهزيمة مطلقة ونهائية، ولم نكن نستطيع أن نعيش دون ممارسة ما كان بعد ذلك من حرب الاستنزاف ثم الاستعداد للعبور المعجز وإثبات القدرة على الحياة.

هذا ولو أن بقاء عبد الناصر شخصيا كان أمراً اقتضته طبيعة النظام.. وياليت أنه كان يمكن -مع بقائه على رأس الاتحاد الاشتراكى- ترتيب انتقال السلطة فوراً إلى قيادة جديدة (ولو جماعية) ، تواجه فى إصرار وعناد يتمشيان مع الواقع، طبيعة الصراع وخلفياته وأبعاده، دون ما حدث من إهدار لنتائج حرب الاستنزاف والعبور، فى اتفاقات ومعاهدات صلح كان عمادها تنمية شعور خبيث بأننا قد مللنا النضال وأعجزنا الانفاق العسكرى، هذا بينما تضاعفت بعدها القروض العسكرية، ولم نحصل من السلام إلا على زيادة الأعباء وتفاقم الإعياء.

هذا عن مرارة الذكرى والهزيمة التى استوعبناها، ولو مرحلياً، فماذا بعد؟..

هى دائما: المشكلة الاسرائيلية- لا المشكلة الفلسطينية

الهزيمة إذن ليست سببا للحزن الاكتئابى ، ولا مناسبة لتجديده فى استعادة ذكراها سنة بعد أخرى، وإنما شرف استيعاب الهزيمة-بعد أن نتبصر أسبابها- أن نحافظ على وضوح جوهر الصراع حتى لا يتوه فى مقتضيات التكتيك السياسى، ولا يكون التنازل ، دون وضوح هذا الجوهر إلا عناداً غير ناضج أو مستنير.

فالصراع المتعلق بنشأة إسرائيل كان منذ بدايته يدور حول ما إذا كان مقبولا فى القرن العشرين قيام دولة على أساس دينى عنصرى، فى الوقت الذى إنحلت فيه الدولة العثمانية -بعد أن انحلت من قبلها دولة البابوات فى الفاتيكان ، وقسمت أراضى الدولة العثمانية إلى اجزاء منها فلسطين التى وضعت تحت الانتداب البريطانى بعد الحرب العالمية الأولى، وفى الوقت الذى عارض فيه كثير من المستنيرين تقسيم الهند بعد الحرب العالمية الثانية لإنشاء دولة مستقلة للمناطق التى يغلب فيها المسلمون، فى حين بقيت ملايين أخرى من المسلمين فى الدولة الهندية، الأم يختار من بينهم فى بعض الفترات رئيس للجمهورية. فى مقابل هذا لم تقبل الدولة المتحكمة فى هيئة الأمم المتحدة أن تقوم دولة موحدة فى فلسطين تضم عربها ويهودها فى حين كان إنشاء دولة موحدة تتساوى فيها الحقوق للجميع هو الوضع الطبيعى الإنسانى بل والعصرى (اليسارى)(*) المتقدم المتحرر، ولكنه كان يناقض أطماع الحركة الصهيونية التى تريد إعادة عقارب الساعة ألفى سنة إلى الوراء متجاهلة حقوق بنى البشر الذين استقروا بها وأقاموا حضارة نامية خلال تلك القرون العشرين ولم يكونوا هم الذين طردوا اليهود منها.



عرفات

وقد كان فى موقف الدول الكبرى تجاوب خبيث مع رغبة المتعصبين ضد اليهود فى أوروبا للتخلص منهم على حساب عرب فلسطين كما تشهد الدراسات العديدة فى هذا الميدان وآخرها ما كتبه روجيه جارودى فى كتابه عن «الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية».

لم تقبل الصهيونية العالمية هذا المشروع العنصرى **لدولة علمانية فى فلسطين الموحدة،** وانتهت مساعيها مع الدول الكبرى إلى مشروع تقسيم لفلسطين تقسيماً مروحياً بين اليهود والعرب، تقسيما مصطنعا لا استقرار له، ولا معنى له فى إطار صورة الحياة الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية

ولم تقبل الدول العربية ذلك الحل العنصرى.. وأعلنت الجامعة العربية رفضها له، ولكن التيار الجارف المؤيد للصهيونية فيما بين الدول الكبرى فى الأمم المتحدة أدى إلى صدور ذلك القرار بالتقسيم نكريسا لأعتى حركة عنصرية فى القرن العشرين. وإن كان تكتل دول العالم الثالث فيما بعد قد أدى إلى صدور قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم فى السبعينات باعتبار الصهيونية - صراحة- أحد أشكال العنصرية- .. مسجلا بذلك عدم أخلاقية فكرة التقسيم.

ليس هذا استرجاعا مجردا لوقائع التاريخ، وإنما هو للتأكيد على الأهمية العظمى لذلك القرار التاريخى باعتباره، كاشفاً لحقيقة الصفة العنصرية للحركة الصهيونية . وهى الحقيقة التى ستقضى عليها فى نهاية الأمر مع النفس الطويل إن عاجلاً أو آجلاً . وقد كاد فعلا أن يتشكل جهاز قومى لاستثمار ذلك القرار ووضعت الترتيبات الأولية لذلك فى مؤتمر اتحاد المحامين العرب فى دمشق سنة ١٩٨٩ .. ولكن حالت



روجيه جارودى





يحيى الرخاوي



نلسون مانديلا

ظروف في الاتحاد دون متابعتها إلى أن قامت حرب الخليج في السنة التالية وسارت الأمور في مجرى آخر..

ذلك أن هذا القرار قد اغتاله **«النظام العالمى الجديد»** في أعقاب حرب الخليج وماشابها من تضليل دعائي تركز على خطأ صدام دون غيره لتستفيد منه الولايات المتحدة بالذات في احتلال أراضي من دول الخليج، وتستفيد منه إسرائيل في تفكيك الصف العربي - هذا وفي ظل شلل سياسي أصاب دول العالم الثالث وتكويناتها الشعبية الكبرى، ألغت الجمعية العامة للأمم المتحدة ذلك القرار بعد أن وصفته الولايات المتحدة وقتها- وفي ظل تصورات «النظام العالمي الجديد»- بأنه (هو وليس التقسيم!) -كان أكثر قرارات الأمم المتحدة بعداً عن الأخلاقية.

ولكن ذلك القرار سيبقى قمة في بلورة حقيقة الصراع حول قيام دولة اسرائيل كبؤرة للعنصرية الصهيونية. فالصراع اذن هو حول قبول أو تصفية الصفة العنصرية في دولة مقحمة على أرض فلسطين لترعى مصالح من يزيدها من الدول الاستعمارية. وليست المشكلة في أصلها هي ما تطورت إليه وما تبدو فيه حاليا أنها مجرد مشكلة إقامة «دولة مستقلة لعرب فلسطين» في جزء أو آخر من الأراضي الفلسطينية.

الصفة العنصرية لدولة إسرائيل هي المشكلة -وهي التي تطمسها دائما الدعاية والاعلام العالمي والمتأثر بالصهيونية وتطمس معها الدموية التي يتصف بها الخط الصهيوني العنصري.. وإزاء ذلك فان مذبحة «قانا» جاءت- مع الامها- فرصة سانحة لتركيز وعي الأصل الجديدة في أوروبا وأمريكا وفي العالم أجمع على دموية الحركة الصهيونية بعد أن بهتت سيرة المذابح السابقة في دير ياسين وبحر البقر وغيرهما.

وبالنسبة لمصر و دول الجوار، فان المسألة ليست مجرد الدفاع عن الفلسطينيين أو النضال ضد العنصرية في فلسطين وحدها. لأن الصفة العنصرية للحركة الصهيونية تمتد بمخاطرها إلى كل شبر يدخل في نطاق أساطير **«أرض اسرائيل»**. كما أن الخطر ليس متعلقا بالأرض وحدها وإنما بنزعة السيطرة الارهابية الدموية التي تحملها تلك الحركة ضد الشعوب المجاورة، وتستثمرها في هذا الاتجاه الدول التي تؤيد إسرائيل.

وبهذا فان القول بأن مشكلة فلسطين هي لب الصراع بين العرب والاسرائيليين يجب ألا تتحول إلى مجرد المطالبة بدولة مستقلة للفلسطينيين أو تنحصر في هذا النطاق، وإنما هي مسألة إقامة دولة علمانية تتساوى فيها حقوق العرب واليهود دون تفرقة عنصرية.. على نحو ما قضى على العنصرية في جنوب أفريقيا.

وبهذا نصل إلى حدود الفكرة التي عرضها في مقاله د. الرخاوي - وإن وصفها بالجنون: «الحل الماندللي». ولكن..

إسرائيل وتحرر جنوب افريقيا

وأنا أعرف ما يحمله وصف «الجنون» عند د. يحيى الرخاوي من معان إنسانية، وهو الذي ألف كتابا عنوانه **«حكمة المجانين»**.. وأن الفكرة المجنونة عنده قد لا تكون غير عبقرية مبتسرة، أي لم تنضج الظروف لكي توصف بالواقعية. والاستاذ الرخاوي لا يلقي بتلك الفكرة مع ذلك إلا ومعها التحفظ الواقعي اللازم، فهو يتساءل: «هل لو كان أهل غزة والضفة تجنسوا بالجنسية الاسرائيلية- هل كان يمكن أن يقبل نتنياهو وصحبه أن يحكمهم واحد اسمه ياسر منديللا؟ وهو يجيب فضلا عن ذلك بمثال يرى فيه المشابهة بين وضع غزة والضفة مع اسرائيل، وبين وضع عزبة المسلمين بمصر الجديدة الذين كانوا يخدمون الأجانب ممن بدأوا باستيطان ضاحية هليوبوليس.. حيث كان هؤلاء يحرصون على بقاء تلك العزبة منعزلة وبأحوالها المتأخرة، كما أن الصهيونيين حرصوا على بقاء أجزاء.. من فلسطين لأهلها الذين يعتبرونهم من «نفايات البشر».

قرار تقسيم فلسطين ١٩٤٧ كان إذن أساسا ومنهاجا لعملية «فصل عنصري» متعمد مع نية في تدعيم هذا الفصل بالتدخل العسكري في الوقت المناسب لكي يبقى أهل البلاد الذين كانوا مستقرين فيها، يبقون في حالة من التخلف تتيح لأبناء من هجروها إلى الشتات منذ ألفي عام، أن يعودوا أسيادا يمارسون معهم أبشع ما تحملوه هم من شعوب الأرض نتيجة سلوكهم في الشتات، ودون أن يسمحوا لهم حتى بدولة مستقلة.

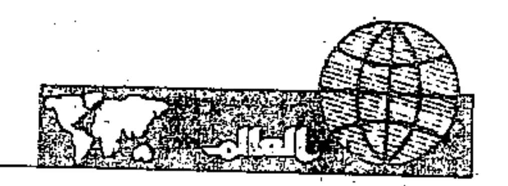
ولهذا كان تحالف اسرائيل المعروف مع نظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا -الذي أجمعت أمم العالم على إدانته، حتى إذا ما سقط أصبحت اسرائيل وحيدة في ميدان الفصل العنصري، وهو أقصى صور العنصرية.

فاذا كان نظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا قد تهاوى بعد عشرات السنين، وقام فيها نظام ديمقراطي يتمتع فيه السكان الأصليون بحقوق متساوية مع الوافدين، بدعم من شعوب العالم أجمع.. فهل يحق لنا أن نتخاذل وننسى أصل مشكلتنا.. أم يكون تفاؤلنا على أساس أنه لا يصح إلا الصحيح، تبقى على قبس النور المتلصص في معمعة الظلام الحالية: أنه مع كل التقلبات والانكماشات والانتفاضات والتقلصات التي تمر بها منطقتنا وشعوبنا وتاريخنا القريب ماضياً ومستقبلا، فان حقيقة كبرى ستأخذ طريقها إلى الانتصار.. بانتهاء العنصرية.. وعلينا أن نحفظ هذا القبس وننفخ فيه إلى ضرام.

وإلا.. فما أمل الفريسة بين براثن أعداء مفترسين.

وإذا كانت «عملية السلام» قد دخلت في أزمة حادة بعد الانتخابات الاسرائيلية واهتز ميزان التفاؤل «الرسمي» الذي ارتبط بسلام مع بيريز(!!).. وإزاء التعصب الأعمى لنتنياهو الذي ولد ١٩٤٩ تحت مظلة إرهاب دير ياسين وتفتحت مراهقته على جرائم العسكرية الاسرائيلية في حرب ١٩٦٧. فلن تكون الحرب والنضال والسلام وحدهما هما السبيل، ولكن الضمان هو حفظ جذوة المشكلة بفضح الصفة العنصرية للصهيونية، واضحة للعيان، متوهجة لا تنطفئ.. بل تنير طريقنا بالتفاؤل الايجابي، وتؤمن الطريق بتبصير الأجيال الجديدة والعالم من حولنا بحقيقتها.

* اليسار عند الكاتب هو الإنسانية والتقدم ضد قهر الانسان لأخيه الانسان والسعي للحرية مع الشرف حتى لا يكون الشرفاء مستضعفين في الأرض. واليسار معناه ايضا «الجدة» أي توافر متطلبات الحياة. وبين المعنيين تتلمس الاشتراكية والديمقراطية سبيلها.



الإعصار «نتنياهو» يجتاح العاصمة الأمريكية

تقدير الدمار الذى نتج عن الاعصار مؤجل إلى ما بعد انتخابات الرئاسة



سمير كرم

إنه موسم الأعاصير فى أمريكا.

ومع الأعاصير التى اجتاحت شرق الولايات المتحدة وخلفت دمارا ماديا واسع النطاق من الجنوب إلى الشمال وخلفت أعدادا من القتلى اختلفت من ولاية إلى أخرى حسب قربها من مركز الأعصار.. جاء الأعصار الذى يحمل اسم «بنيامين نتنياهو».

فى البداية ظهر من بعيد - فيما وراء البحار- بمجرد أن اجتاح الانتخابات الاسرائيلية.. وتنبأ كثيرون بأنه سيبقى عنيفا ومدمرا، بل ربما تزداد قدرته التدميرية مع الوقت وحتى وصوله إلى الشواطئ الأمريكية. وقال آخرون : لا .. ستخف حدته. فقد كان مركز الأعصار نتنياهو- فى رأى هؤلاء- فى العملية الانتخابية. وربما صب كل ما لديه من قوة تطرف ما شاء له، لأن الرياح كانت تهب معه داخل اسرائيل، لم تكن ضده كما تصور كثيرون. وعندما يصل إلى أمريكا سيكون قد خلف وراءه الجانب الأكبر من قدرته التدميرية. سيحتويه مناخ المنصب، وسيفرض الواقع عليه أن يضبط اتجاه رياحه وشدتها.

وعندما وصل الإعصار نتنياهو إلى العاصمة الأمريكية هبت عليها رياح التطرف الليكودى بدرجة فاقت ما جرى أثناء حملة الانتخابات الإسرائيلية.

لم تستطع الأبواب المغلقة المحكمة الاغلاق فى البيت الأبيض- حيث جرت جلسة المحادثات بينه وبين الرئيس الأمريكى **كلينتون**- أن تمنع هبوب رياح التطرف الآتية مع **نتنياهو** من اقتحام هذا الرمز التاريخى لقوة السلطة الأمريكية.. مع أن هذه الأبواب نفسها استطاعت أن تمنع تسرب الأخبار الحقيقية- أو معظمها- مما جرى بين رئيس الوزراء الاسرائيلى الذى صعد على موجة التطرف فى الانتخابات ليفوز برئاسة الحكومة لأول مرة، وبين رئيس الولايات المتحدة **بيل كلينتون** ، الذى يريد الصعود على أية موجة فى الانتخابات الرئاسية المقبلة من أجل أن يفوز بفترة رئاسة ثانية.

وهكذا عاد الحديث إلى القاعدة الذهبية لانتخابات الرئاسة الأمريكية.. **لا يستطيع رئيس أمريكى أن يختلف مع اسرائيل- معتدلة كانت أو متطرفة- وهو على أبواب معركة انتخابية** . أن الصوت اليهودى قادر على أن يصنع الفرق بين الفوز والخسارة أكثر مما يستطيع ذلك الصوت **الايرلندى أو الالمانى** أو **اللاتينى** أو **الأفروأمريكى (الأسود)** .. مع أن الصوت اليهودى أقلها عددا.

لماذا؟.

لأن الصوت اليهودى هو وحده الذى يشكل كتلة متجانسة تصوت بأغلبيتها الساحقة فى اتجاه واحد.. فضلا عن أن اليهود ناخبون.. «مواظبون» على أداء واجب التصويت ،وغيرهم لم يعرف عنهم ذلك.

وهكذا تحول النداء المسموع فى واشنطن من: انتظروا إلى أن يشكل **نتنياهو** حكومته، لا تحكموا عليه من شعاراته ووعوده الانتخابية.. انتظروا حتى يأتى إلى أمريكا لتسمعوا حديث رئيس الوزراء فى قلعة الحليف الأمين كيف سيكون.. ومرة أخرى إلى انتظروا فالوقت ليس وقت ضغط أمريكى على **نتنياهو**، أو أى سياسى إسرائيلى، وانتخابات الرئاسة الأمريكية على الأبواب.

على بعد كيلو مترين اثنين- هى المسافة التى تفصل بين **البيت الأبيض و**

هل أصبحت لأمريكا سياستان

تجاه عملية السلام في الشرق الأوسط

واحدة من البيت الأبيض

وأخرى من الكونجرس؟

رئيس الحكومة الاسرائيلية استقبل في الكونجرس بالتصفيق

«الكابيتول»، حيث الرمز الآخر لقوة السلطة الأمريكية ، وهو الكونجرس -اكتسب الانتصار نتنياهو قوة أكبر .. خرج **من الجلسة المشتركة لمجلسي الشيوخ والنواب الأمريكيين أقوى من زعماء السلطتين التنفيذية والتشريعية في أمريكا** .. ودوى التصفيق له إلى الحد الذي يكفي وأكثر لكي يسعد خصومه الذين لم يصوتوا له في الانتخابات الأخيرة التي أتت به رئيسا للحكومة والذين يشكلون نصف الناخبين) قبل مؤيديه. وليعرفوا أن زيارته لأمريكا لم تكن **لتقديم تنازلات من وعوده الانتخابية ، إنما للحصول على التأييد اللازم لتنفيذها.**

وإذا كان تقدير الخسائر بعد الانتصار مهمة محزنة إلا أنها مفهومة ومعتادة في أعراف الطقوس الأمريكية الهرجاء.

أما تقدير خسائر الانتصار السياسي نتنياهو فانه يبدو أصعب كثيرا .. فلا قتلى ولا جرحى ولا منازل مهدمة أو مرافق محطمة يمكن تقدير نفقات إعادة بنائها .. إن اجتماع **الأعصار ما استثمرته أمريكا من طاقاتها ومصالحها ونفوذها من أجل وضع «عملية السلام الأمريكية» في** الشرق الأوسط خلال السنوات الخمس **الماضية (إذا تغاضينا عن كل ما قبل** مؤتمر مدريد).

لكن أنصار التأجيل الدبلوماسي -أو دبلوماسية التأجيل- يفضلون الامتناع عن تقدير خسائر **الأعصار - نتنياهو** .. **على أساس** أن ما جرى أثناء زيارته يعكس ، من ناحية الاختلاف بين منظورين إلى سياسة اسرائيل بقيادته. منظور البيت الأبيض حيث الرئيس الديمقراطي الذي وقف بأقصى درجة كانت ممكنة له من الصراحة إلى جانب منافس **نتنياهو** في الانتخابات الاسرائيلية. واستحق كراهية الذين صوتوا للتطرف نكاية بكلينتون ، والذي تكبله الاعتبارات الانتخابية الخاصة.. هذه المرة.. ومنظور الكونجرس ذي الأغلبية الجمهورية اليمينية التي ترى خيرا في صعود نتنياهو، باعتباره واحدا منهم، جمهوريه يمينيا على شاكلة **نيوت** جنجريتش، رئيس مجلس النواب الأمريكي.. ويتمنى بالتالي أن يكون في تولية القيادة في اسرائيل عاملا أساسيا في تغيير نمط التصويت اليهودي في الانتخابات الأمريكية لأول مرة منذ نحو ... عام من تأييد الديمقراطيين إلى تأييد الجمهوريين، وهو أمل يداعب خيال الجمهوريين منذ بدايات الثمانينات، وهو أمل مبني على محاولة إقناع الناخبين اليهود بأنه ما دام الناخبون اليهود في إسرائيل قد اختاروا اليمين فان «الولاء» يقضي بأن يصوت اليهودي الأمريكي في الاتجاه نفسه في أمريكا. وهذا بدوره يتطلب أن يقتنع الناخب اليهودي الأمريكي بأن يضع مصلحة إسرائيل، كما يفهمها الناخب اليهودي الاسرائيلي ،في الاعتبار الأول عندما يتوجه إلى صناديق الاقتراع في ٥ نوفمبر القادم.

ولم يبد هذان المنظوران متفاوتين كما يبدوان الآن بعد زيارة نتنياهو ومحادثاته مع طرفي السلطة في واشنطن .. وذلك على الرغم من أن التفاوت في مواقف فرعي السلطة الأمريكية- التنفيذي من ناحية والتشريعي من ناحية أخرى- لا يكاد يكون محصورا في أمور السياسة الخارجية.. فهو **يكاد ينحصر في شئون السياسة الداخلية: الميزانية- الضرائب- الحقوق المدنية للأقليات**- دور القطاع العام (أو الحكومة) في البرامج الاجتماعية.. إلخ.

وليس خافيا أن الخلافات طفيفة للغاية بين البيت الأبيض الديمقراطي والكونجرس الجمهوري حول شئون خارجية مثل خنق كوبا **بالحصار الاقتصادي - تجويع الشعب العراقي بالعقوبات- التغاضي عن حقوق الانسان وعن الديمقراطية في بلاد مثل السعودية والكويت -** حفاظا على تدفق البترول وصفقات الأسلحة السخية والواردات التجارية الباهظة التي تلتهم إيرادات البترول فتعيدها إلى الخزانة الأمريكية وطبعا لا خلاف على تأييد اسرائيل اقتصاديا وعسكريا ودبلوماسيا.

مع ذلك فان زيارة نتنياهو أحدثت شقا لم يحن بعد وقت تقدير مدى اتساعه في السياسة الأمريكية بالنسبة لعملية السلام في الشرق

الأوسط بين الطريقة التي ينظر بها كلينتون- أو سينظر بها بعد انتخابات الرئاسة وفي حالة فوزه (وهو المرجح حتى الآن) - وتلك التي ينظر بها الكونجرس.

وعلى الرغم من المناخ الدعائي الذي رافق زيارة نتنياهو لأمريكا والذي ترك انطباعا بأنه قد استولى على عقول وقلوب الأمريكيين من القيادات إلى الشارع إلا أنه لم تكد تمضي أيام قليلة على مغادرة واشنطن (ثم مغادرته لنيويورك حيث كان وسط مؤيديه المتبقين باعدادهم الكبيرة في «المملكة اليهودية») حتى بدأت تظهر مؤشرات إلى أن الطريقة التي خاض بها رئيس الوزراء الجديد محادثاته مع الرئيس الأمريكي انطوت على قدر غير محتمل من الغطرسة ومحاولة إملاء الطلبات الاسرائيلية كما صورها البرنامج الانتخابي لحزب الليكود على الادارة الأمريكية لتصبح سياساتها الجديدة.. أو ليصبح هذا البرنامج هو المقياس لقدرة الدبلوماسية الأمريكية على «اعادة التكيف» مع الواقع السياسي الجديد الذي خلقه فوز نتنياهو بالحكم».

لقد ظهرت خلال الأيام التي تلت نهاية زيارة نتنياهو مؤشرات إلى أن إدارة كلينتون وإن كانت قد حرصت على أن لا تترك لظاهر الخلاف مع سياسة اسرائيل الجديدة أن تتفجر بصورة علنية وان تتخذ أبعاد الأزمة. إلا أنها ارادات في الوقت نفسه ان لا تساعد نتنياهو على نسف الجسور بين واشنطن والأطراف العربية التي تهمها.. خاصة وأن هذه الأطراف مارست جداً أقصى من ضبط النفس في القمة العربية التي عقدت في القاهرة في أعقاب فوز نتنياهو برئاسة الحكومة الاسرائيلية.

ويلاحظ أن ادارة كلينتون لم تجرفها عاصفة المطالب الاسرائيلية الجديدة ومنها «فرض عقوبات ضد سوريا باعتبارها الشريكة الرئيسية لايران في الأعمال الارهابية التي ترتكبها ضد إسرائيل وضد المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط» وبينما حاول نتنياهو استغلال فرصة الانفجار الذي وقع في قاعدة الظهران العسكرية قبل أسابيع باشاعة «معلومات» تزعم فيها المخابرات الاسرائيلية أن لديها أدلة على أن سوريا وراء هذا الانفجار .. أو أنها على الأقل على علم به، فان ادارة كلينتون لم تسهم في هذه المحاولة . وتركت لسفير المملكة العربية السعودية في واشنطن الأمير **بندر بن سلطان أن يعلن** من جانبه أنه ليس هناك أي دليل على أن لسوريا دورا في هذا الانفجار. وبينما توقعت الدوائر المعنية بالشرق الأوسط في واشنطن أن تتحول هذه الاتهامات الاسرائيلية التي رافقت مجيء نتنياهو إلى أمريكا إلى حملة منظمة ومستمرة . فانها لم تلبث أن انطفأت اعلاميا وسياسيا.

من ناحية أخرى فان المسألة التي بدا أنها تكتسب درجة أقوى من الالحاح من الجانب الأمريكي فكانت مسألة تنفيذ ما التزمت به اسرائيل بشأن الانسحاب من مدينة الخليل الفلسطينية. **ولم يستطع كلينتون أن يحصل من نتنياهو على اعلان صريح بنية الانسحاب من الخليل.** لكن المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية أعلن صراحة في اليوم التالي لاجتماع كلينتون - نتنياهو أن سحب القوات الاسرائيلية من الخليل التزام واجب التنفيذ وأن الحكومة الأمريكية تتوقع أن ينفذ . كما أكد الناطق الرسمي الأمريكي أن **موقف الادارة من مسألة المستوطنات لم «يتغير»** .. أي أن الموقف الأمريكي يبقى بعد أن أصبح **نتنياهو** رئيسا للحكومة الاسرائيلية -وعلى أساس برنامج يعد بالتوسع في اقامة المستوطنات- كما كان قبل ذلك ووقت توقيع اتفاقي أوسلو بين الحكومة الاسرائيلية والسلطة الوطنية الفلسطينية.

ولعل نقطة الخلاف الأكثر بروزا- وأهمية من الناحية العامة- كانت حول موقف حكومة اسرائيل الجديدة من مبدأ **الأرض مقابل السلام** . وعند هذه النقطة فان كل مظاهر الحفاوة بنتنياهو في واشنطن لم تستطع أن تخفي تباعد الموقفين. نتنياهو تمسك -في كل المرات التي تحدث فيها في واشنطن، في المؤتمر الصحفي المشترك مع كلينتون ،وفي خطابه أمام جلسة الكونجرس المشتركة ،وفي مؤتمره الصحفي اللاحق الذي ازدحم أكثر ما ازدحم بممثلي السفارات العربية والصحافة العربية)- برفض **مبدأ الأرض مقابل السلام** .. وذهب إلى حد القول بان إسرائيل لم توافق على هذا المبدأ في مدريد (وقتها كان الليكود أيضا في الحكم وكان نتنياهو الناطق الرسمي باسم الوفد الاسرائيلي).

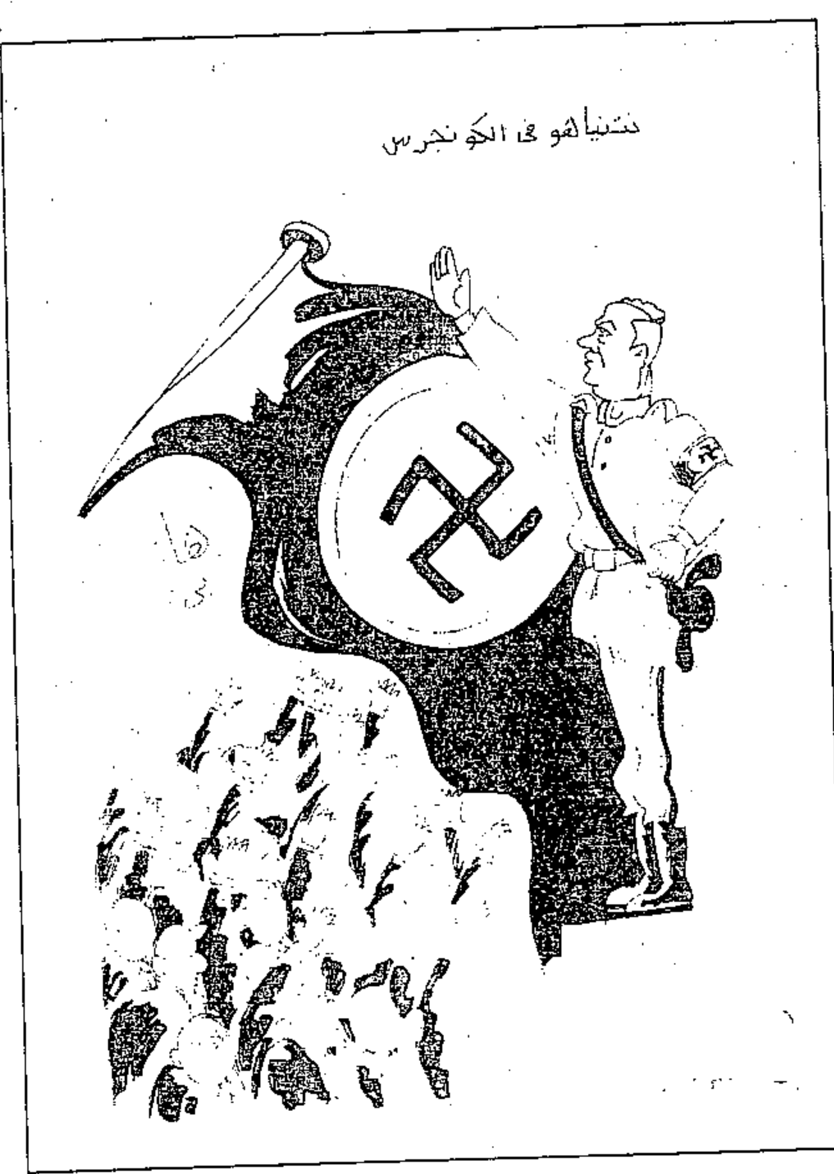
نتنياهو لوح بالاستغناء عن المساعدات الاقتصادية الامريكية.. والقصد فتح الباب للضغط لاجبار مصر على موقف مماثل

لكن الجانب الأمريكي بدا متمسكا على نفسه. **الكونجرس صفق بحماس لنتنياهو وهو يعلن رفضه هذا المبدأ..** أما وزارة الخارجية فأعلن الناطق بلسانها بعد ذلك بساعات أن **مبدأ الأرض مقابل السلام هو «مبدأ مركزي بالنسبة لمفاوضات السلام**، وكان القاعدة الصخرية التي قام عليها التفكير الأمريكي لزمن طويل ، ويستمر في كونه فرضية مركزية، وعاملا مركزيا في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط».

كذلك الحال بالنسبة **لمسألة القدس** .وقد اتسم موقف **نتنياهو** بالتصلب إلى أقصى حدوده عند هذه المسألة أكثر من غيرها. وكان واضحا أنه يثير زهو مؤيديه في إسرائيل من أشد العناصر تطرفا . إلا أن الادارة الأمريكية أعلنت أثناء وجوده في واشنطن أنه **فيما يتعلق بالقدس لا يزال الموقف الرسمي الأمريكي كما كان ، وهو أن القدس مسألة ينبغي أن تسوى عن طريق المفاوضات . وهذا موقف** على العكس تماما من تأكيد نتنياهو المتكرر بأن «القدس موضوع غير مطروح للتفاوض».

وقد يكون من السابق لأوانه تقدير -مدى تأثير زيارة نتنياهو على العلاقات الأمريكية- المصرية بشكل خاص. ليس فقط لأن هذا التأثير لن يبدأ في الاتضاح قبل **زيارة الرئيس حسني مبارك لواشنطن التي تبدأ يوم ٣٠ يوليو**.. إنما أيضا لأن موضوع العلاقات المصرية الأمريكية أعقد بكثير من أن يكون موضوع البعد الواحد الاسرائيلي. غير أن **محادثات نتنياهو مع كلينتون كانت فرصة لم يضعها رئيس الحكومة الاسرائيلية لتقديم قائمة اعتراضات اسرائيلية على سياسة القاهرة تجاه إسرائيل** .. بل وتوسيع هذه القائمة لتشمل اعتراضات على اقتراب القاهرة كثيرا إلى الموقف السوري. وتبقى شكوى إسرائيل الأساسية من السياسة الخارجية المصرية متعلقة بالطريقة التي يتعرض بها الدبلوماسيون المصريون لموضوع «القدرات النووية الإسرائيلية» وإصرارهم على اثارته في المحافل الاقليمية والدولية.

ويقال في دوائر الادارة الأمريكية أن كلينتون ترك الأمر فيما يتعلق بهذه الشكاوى الاسرائيلية من سياسة القاهرة معلقا .. على الرغم من أن هناك من يعتقد -خاصة في مكاتب زعماء الكونجرس - أن تلويح نتنياهو بأنه سيبدأ برنامجا اقتصاديا (أساسه الخصخصة) يساعد **اسرائيل على أن تستغنى تدريجيا عن المساعدات الاقتصادية السنوية التي تحصل عليها من الولايات المتحدة**



بقيمة ١٫٨ مليار دولار،ولا يقصد به فقط نيل تأييد قوى من الكونجرس ، الذى ينتهج سياسة قوامها خفض النفقات إلى أقصى درجة ممكنة، إنما يقصد به أيضا **التمهيد لممارسة ضغط لالزام مصر بالمثل لأن تنتهج سياسة مماثلة للاستغناء عن المساعدات الاقتصادية الأمريكية (٢٫١ مليار دولار سنويا) وذلك استنادا إلى أن برنامج المساعدات الخارجية الأمريكية قد ربط بين الاعتمادات التى تخصص لاسرائيل وتلك التى تخصص لمصر منذ توقيع اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية.**

على أى الأحوال يبقى حصر الأضرار التى نجمت عن الاعصار نتنياهو مؤجلا إلى ما بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية .. ولكن دون أن يأخذنا الوهم بعيدا نحو تصور أنه بامكان حدوث تصدع رئيسى فى بنية العلاقات الأمريكية الاسرائيلية ، فى أجنحتها الاستراتيجية أو السياسية أو الايديولوجية. ولابد من ملاحظة اعتبارات أساسية:

* أن الادارة الأمريكية -وليس الكونجرس- هى التى تمسك بخيوط السياسة الخارجية الأمريكية.. وهى بشكل خاص فى يد الرئيس الأمريكى.

* أن ادارة كلينتون تسير على خطة اعتمدتها فور سقوط رجلها شمعون بيريز الفجائى فى الانتخابات الاسرائيلية، وهى خطة مبنية على تقدير بأن المخرج الوحيد من الأزمة التى أدخلت اسرائيل نفسها فيها بانتخاب نتنياهو هى حكومة وحدة وطنية يكونها ائتلاف من الحزبين الكبيرين العمل والليكود. ان **الائتلاف الحالى بين الليكود والاحزاب الدينية المتطرفة الصغيرة غير قابل للحياة طويلا**.. انه مرشح للانهيار ربما من الآن إلى موعد انتخابات الرئاسة الأمريكية فى ٥ نوفمبر القادم.. وربما بعدها مباشرة (وربما نتيجة لها.. أى اذا فاز كلينتون بفترة رئاسة ثانية ويبدا بوضوح وقتها أن نتنياهو لا يستطيع أن يقيم معه علاقة عمل قوية ومأمونة).

* ان الادارة الأمريكية لا ترقب الموقف الاسرائيلى وحده.. إنما ترقب مواقف الأطراف العربية. ويزيد من تعقيد الأمور بالنسبة إليها أن بعض أقوى ركائز النفوذ الأمريكى العربية فى الشرق الأوسط تبدو الآن كمن يتطوح بفعل زلزال مستمر يهدد قواعدها (**السعودية والبحرين.. الخ**).ويعى المسئولون الأمريكيون تناقض الوضع الأمريكى: زيادة الحرص على دعم اسرائيل لها انعكاساتها العكسية على النظم العربية. والتراجع ولو قليلا عن الالتزام المطلق باسرائيل قد لا يفيد كثيرا فى انقاذ هذه النظم. بينما قد يشيع اضطرابا يزعزع استقرار اسرائيل).

* إن الادارة الأمريكية ترى أوروبا ترقب تطورات الشرق الأوسط وتأثيراتها على الدور الأمريكى عن كثب.. بعد ان كانت أوروبا ترقب هذا الدور من بعيد. من قبل كانت أوروبا تكتفى ربما بالحسد. لكنها ترقب الموقف الآن بعين المنافس ويبقى أن يتضح إذا كانت واشنطن ستدرك ان انحيازها الكامل لاسرائيل هو الذى أوصل الأوضاع إلى ما هى عليه الآن.. أم أنها ستحاول ان تعالج اهتزاز ركائزها فى الشرق الأوسط بزيد من جرعات الدواء الاسرائيلى نفسه.

واجمالا فان الوضع الراهن صعب للغاية على الجميع.

وإجمالا فان الاعتقاد بأنه ينتج فقط عن فوز التطرف ممثلا فى الليكود ونتنياهو بالحكم فى اسرائيل هو اعتقاد ينطوى على أكبر قدر من التبسيط المخل.

ولقد أثبتت واشنطن كثيرا أن لديها قدرة على التبسيط المخل تفوق كل التوقعات . وهى نفسها قدرتها على تكرار أخطائها.



ألمانيا : من نبيل يعقوب

موضوع مد منطقة حلف شمال الاطلنطى نحو الشرق، أى لتحتوى بولندا وتشيكيا وسلوفاكيا والمجر(وفى المستقبل أيضا رومانيا وبلغاريا كما يطالب البعض) مثار صراع سياسى شديد بين روسيا والقوى المهيمنة فى الغرب. وخطة التوسع التى ينتهجها الناتو تلقى ضوءا على الاستراتيجية التى تطبقها الولايات المتحدة وحلفاؤها ليس تجاه روسيا فحسب بل تجاه بقية العالم. وفى ألمانيا التى تسعى حكومتها للتعجيل بضم بلدان أوروبا الشرقية (التى كانت سابقا حليفة للاتحاد السوفيتى) إلى الناتو أصوات أخرى تحذر من تكريس نهج التكتلات العسكرية وإعادة أوروبا وبذلك العالم إلى نهج المواجهة وسباق التسلح.

كاتب المقال الذى نقدم ترجمته هنا هو الفيلسوف الالمانى وأستاذ تاريخ الفلسفة **ارنست فويت Ernst Woit**. وله أبحاث معروفة فى قضايا السلام والحرب،وفى الدفاع عن حقوق الانسان، وهو رئيس جمعية حقوق الانسان فى مقاطعة **ساكسونيا بالمانيا**.

خطط توسع حلف الأطلنطى نحو الشرق

تهديد للسلام

بروفيسور

إرنست فويت

منذ ثلاث سنوات على الأقل تنهال على الرأى العام الأوروبى يوميا تقريبا حجج تؤيد أو تعارض توسيع حلف الناتو نحو الشرق. ويتبين أن السياسيين المشتغلين بهذه المسألة قد أجمعوا على أن حسم هذه المسألة لا ينبغى أن يحدث إلا بعد انتهاء كل من انتخابات الرئاسة فى روسيا وفى أمريكا. وينعكس هذا على الأقل أن الأمر يتعلق بمشروع يثير الرأى العام سواء فى روسيا أو فى الولايات المتحدة فى اتجاه لا يريده ساسة الناتو، وإن كان قلق الرأى العام مبرراً من حيث سببه. فالأمر يتعلق بمجموعة من متغيرات حاسمة فى المسار والتى - حسب تعبير مستشار ألمانيا كول - ستطبع وجه القارة حتى مسافة بعيدة فى القرن القادم(١).

ولابد أن يثور القلق عندما يعرف المستشار كول «**سياسة الوحدة الأوروبية**» والتى يعد توسيع الناتو نحو الشرق جزءا منها،على أنها تمثل بالتحديد «مسألة الحرب والسلام فى القرن الواحد والعشرين»(٢) موضوعيا لا جدال فى هذا القول: إذ أن محاولة تنظيم أوروبا بشكل جديد من خلال توسيع الناتو نحو الشرق تعنى الرفض النهائى لنظام أمنى يشمل كافة دول أوروبا مثل النظام الذى نشأ عن مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبى فى شكل منظمة الأمن والتعاون الأوروبى. ولكن منظمة الأمن والتعاون الأوروبى بعد أن كرس ترقيع ميثاق باريس تأسيسها فى عام ١٩٩٠ حيث احتفلوا بها بوصفها المنظمة الوحيدة التى تشمل جميع الدول الأوروبية بلا استثناء (يا فيينا سويسرا!) تعيش الآن وجودا باهتا، وتعكس ميزانيتها السنوية التى لا تزيد على ٣٠ **مليون دولار** دورها الثانوى، والاتجاه لتوسيع الناتو نحو الشرق سوف يقضى بشكل نهائى على الأسس التى ترتكز عليها وسيؤدى من جديد إلى عسكرة السياسة الخارجية الأوروبية وسيقود إلى مواجهة عسكرية بين كتلتين، وهى مواجهة تهدد السلام فى أوروبا. بهذا المعنى

تواجه أوروبا اليوم خياراً مصيريا بين بنية أمن جماعية حقا بواسطة مواصلة بناء وتعزيز منظمة الأمن والتعاون الأوروبي من ناحية وما سينجم عن توسع الناتو نحو الشرق من ناحية أخرى وهو بناء أمني يراهن على القوة العسكرية، والتي لا تستطيع أن توفر أمنا حقيقياً من حيث الأساس.

صراع كوني جديد على المصالح

بانهيار الحلف الذي أنشأه وقاده الاتحاد السوفيتي أصبح في خبر كان كل من النظام العالمي ثنائي الأقطاب الذي نشأ نتيجة للحرب العالمية الثانية، وكذلك أيضا ما يرتبط به من نظام للضمانات التي تكفل الاستقرار والأمن العالمي والاقليمي في العلاقات بين الدول. أن التغير العميق في ميزان القوى على المستوى العالمي وعلى الأقل-أيضا- اقليميا بالنسبة لأوروبا وآسيا، يفتح الامكانية لقيام نظام عالمي جديد وبالتالي لإعادة توزيع مناطق النفوذ بين القوى الكبرى، ومع حرب الخليج الثانية اتضح أن الولايات المتحدة تسعى لتحقيق ادعائها المطلق لقيادة العالم وتقوم من أجل فرض هذا الادعاء بتفكيك الأمم المتحدة. وقد وصل **ريتشارد فون فايتسيكر** الرئيس السابق لجمهورية ألمانيا الاتحادية، بصفته الرئيس المشارك للجنة اصلاح الأمم المتحدة، إلى أن الولايات المتحدة تستخدم الأمم المتحدة كأداة لتحقيق أغراضها القومية(٣). وهي تفعل هذا منذ نهاية الكتلة الشرقية وذلك بتجاهلها المنهجي للمبادئ الأساسية لميثاق الأمم المتحدة. وبامتناعها عن تسديد التزاماتها كاملة. بل ووصلت لاستخدام مجلس الأمن الدولي كأداة مهمتها تبرير قرارات حكومة الولايات المتحدة وبالتالي لحلف الناتو. وحسب تعبير الباحث الالماني **راينهار موتس** فقد أصبحت الأمم المتحدة **«الختم الذي يوضع على القرارات التي تتخذ في مكان أخر»**.

في الصراع من أجل فرض مصالحها تفعل الولايات المتحدة كل ما بوسعها لاضعاف نفوذ روسيا في مجال السياسة العالمية- داخل وخارج الأمم المتحدة- ولتحويل مناطق النفوذ السوفيتية السابقة إلى مناطق نفوذ للولايات المتحدة أو لحلفائها . وعن طريق مد الناتو نحو الشرق يراد توسيع منطقة سيطرة هذا الحلف العسكري الذي أصبح الآن أقوى الاحلاف العسكرية ، وذلك بضم دول كانت سابقا حليفة للاتحاد السوفيتي ومنضمة لحلف وارسو. لانه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تحل استراتيجية التوسع **(eniargement)**



المستشار الألماني كول في قضية الحرب والسلام في القرن الواحد والعشرين

مكان استراتيجية الاحتواء **Contain-ment**(٤) - حسب رؤية استراتيجيي حلف الناتو.

وكما أكدت حرب الخليج الثانية فان الاستراتيجية التوسعية للولايات المتحدة الأمريكية وللناتو تجاه روسيا تهتم بمصادر الطاقة النفط والغاز الطبيعي وذلك بدرجة تفوق ما تبده إليه الرأي العام الإوروبي(٥) حتى الآن. وجدير بالذكر أن ما توصل إليه التنقيب عن النفط والغاز الطبيعي حتى الآن في الدول الواقعة على بحر قزوين وهي **اذربيجان وكازخستان وتركمانستان** يقارن بكميات النفط في منطقة الخليج . وكان هذا دافعا للولايات المتحدة لمد مجال مصالحها الحيوية حتى بحر قزوين والقوقاز. من هنا استنتج **زبجنيف برجيجينسكي Zbigniew Brzezinski** مؤخرا أن الصراع حول مستقبل آسيا الوسطى .. هو أحد أهم النتائج الجيوبولتكية لانهيار الاتحاد السوفيتي والتي رغم ذلك لم تلق سوى اهتماما قليلا (في مقال **A.Lake في** نشرة أمريكا الصادرة في بون ٦-١٠-٩٣).

وكان السؤال الذي يشغله بالأساس هو من سيسيطر على المدخل إلى المصادر الهائلة لاحتياطيات النفط والمعادن في آسيا الوسطى . **وبرجيجينسكي** مقتنع بأنه «عندما تقبل احتياطيات الطاقة لدى الدول التي تصدر النفط حاليا إلى الانتهاء توجد فرصة أن تتقدم آسيا الوسطى إن عاجلا أو آجلا لامداد الغرب بالنفط. ولكن هذا سيؤدي بالضرورة إلى نزاع مع روسيا التي تعتبر دول آسيا الوسطى التي كانت جزءا من الاتحاد السوفيتي بمثابة مجال مصالحها الحيوية. وينتهز برجيجينسكي الفرصة لتوجيه تهديد صريح فيقول: هنا سيكون انتصار تحققه روسيا في عزل آسيا الوسطى بمثابة **«انتصار بيروس»** (والذي يعني الانتصار على حساب تدمير القوى الذاتية).. إذ يمكن أن يؤدي هذا إلى تورط روسيا في صراع مع ٥٥ مليون من المسلمين السوفيت السابقين، والذين سيحصلون عندئذ على دعم من تركيا **وايران وافغانستان وباكستان**. ولعل الشيشان كانت في هذا الصدد بمثابة الانذار(٦).

طموحات ألمانيا

تراهن الولايات المتحدة في تنفيذها لخططها لتملك «قيادة العالم» على حلفاء لديهم من القوة ما يمكنهم من السيطرة على أقاليم بأسرها، وعليه فهم إلى جانب سعيهم الخاص لتحقيق سيطرة إقليمية، يمكنهم أن يشغلوا موقع النائب الاقليمي للقوة القيادية العالمية. في أوروبا تنظم الولايات المتحدة تقسيم العمل الخاضع لهيمنتها مع حلفائها الرئيسيين بالدرجة الأولى من خلال الناتو. وبهذا المعنى طالب **هنري كيسنجر** في مايو ١٩٩٢ باعادة تنظيم الناتو بحيث يمكن الحديث عن دور قيادي أمريكي في بعض المجالات وعن دور قيادي أوروبي في البعض الآخر(٧) . ومن حيث مضمون القضية يقصد **كيسينجر** بتعبير **«دور قيادي أوروبي»** بالاساس دور المانيا بعد انضمام **جمهورية المانيا الديمقراطية** ، والذي ازداد وتعزز فاصبحت قوة قيادية اقليمية للناتو وصاحبة المصلحة الرئيسية في توسعه نحو الشرق. ومثل هذا الدور الالماني لا يلبي فحسب توقعات الساسة النافذين في الولايات المتحدة ، بل ينسجم أيضا مع فهم الطبقة السائدة في المانيا ومطامحها التوسعية.

ويرتكز التبرير الايديولوجي لنزعة السيطرة الموجهة ضد الشرق بشكل متزايد على موقع المانيا **«المتوسط في أوروبا»**. ومن حيث المضمون يعد هذا إحياء لمفهوم **«أوروبا الوسطى الأمبريالي»** والذي روجه **فريدريش ناومان** في عام ١٩١٥ حيث كان لا زال مقتنعا بأن المانيا والدولة النمساوية المجرية ستكسبان الحرب العالمية . ويتطابق مفهوم **ناومان** عن **«أوروبا الوسطى»** إلى حد بعيد مع ما طوره **بسمارك** في زمنه. استند **تيو سومر** (أحد الكتاب السياسيين الألمان البارزين ورئيس تحرير الأسبوعية السياسية الليبرالية **(دي**

خطط الناتو التوسعية

تسايت - ن . ى) فى مقال له عن «الدور السياسى العالمى لالمانيا الموحدة فى نهاية القرن العشرين » نشره فى مطلع عام ١٩٩١ إلى منطلقات أخذها بالتحديد عن **بسمارك** . وكان **بسمارك** قد عارض أحد المعروفين بتأييدهم للاستيلاء على مستعمرات فى أفريقيا بقوله : ان خريطتكم التى رسمتموها لافريقيا جميلة للغاية ولكن خريطتى الافريقية تقع فى أوروبا. هنا تقع روسيا وهنا تقع فرنسا ونحن فى الوسط . هذه هى خريطتى عن افريقيا . ويكتب **تيو سومر** (فى سنة ١٩٩١): هذا بالضبط . يمكن تطبيقه على الوضع الراهن فى المانيا الاتحادية : شرقنا الادنى يقع بين نهر **الألب** (الحدود السابقة بين الالمانيين) ومدينة **ايزنهيتنشتادت**(الحدود مع بولندا) ، وشرقنا الأوسط يبدأ خلف البوج (اسم لنهرين فى غرب وجنوب الجزء الأوروبى من الاتحاد السوفيتى) . ولا يجوز أن نسمح لاحد بأن يشككنا فى هذا التحديد للاولويات. ويتحدث كاتب آخر بوضوح أكبر «عادت المانيا من جديد لتصبح مرة أخرى القوة المهيمنة فعليا على كل أوروبا الوسطى. وبالنسبة لتشيكوسلوفاكيا وللمجر وجزئيا لبولندا ايضا ستصبح القوة القائدة(٨).

ويبدو أن المستشار **كول** كان يستهدف بالتحديد هذه الصورة «لنظام أوروبا الجديد» عندما تحدث فى **ميونيخ** عام ١٩٩٤ أمام المؤتمر الحادى والثلاثين للسياسة الأمنية مذكرا بمعاهدة **لوكارنو** (١٩٢٥) ومصرحا أننا نحن الالمان ربطنا وحدة بلدنا التى كسبناها مؤخرا منذ البداية بوحدة أوروبا.. وهذا يعنى أيضا أن الحدود الالمانية البولندية لا يجوز أن تكون على الدوام حدود الناتو والاتحاد الاوروبى. ان من ينظر لهذا بشكل مخالف ينبغى أن يعرف أن معنى هذا هو التخطيط لاستقدام النزاعات.. ان **بولندا وكراكاو (مدينة بولندية)** يقعان فى وسط أوروبا ولن نقل تكرار هذا القول » (نشرة مكتب الصحافة والاعلام التابع للحكومة الاتحادية ١٦-٢- ٩٤).

وبينما لا زال كول والمثلون الرسميون الآخرون لالمانيا يجتهدون حتى لا ترتفع حدود الدولة الحالية مباشرة موضع سؤال يستمر حكم المحكمة الدستورية الالمانية الصادر فى ٣١- ٧- ١٩٧٣ ساريا. وطبقا لهذا الحكم فان الرايخ الالمانى لم ينته عام ١٩٤٥ بل يظل قائما فى اعتبار القانون الدولى وذلك فى صيغة جمهورية المانيا الاتحادية ولن يرضى الا باستعادة حدود عام ١٩٣٧. (انظر **ك. ناومان**: بداية جديدة بدون محرمات . فى أوراق السياسة الالمانية والدولية، بون ٤-١٩٩٤) وهذا الموقف ذو النزعة الثأرية عبر عنه وزير الخارجية **كلاوس كينكل** فى بداية هذا العام عندما صرح بان قرارات بوتسدام للتحالف المعادى للهتلرية «ليس لها أثر قانونى» بالنسبة للحكومة الألمانية الاتحادية (**سيدويتشه تسايتونج** ٨- ٢- ١٩٩٦) . وليس من المصادفة بالمرة أن تتكرر المطالبة بشكل متزايد بتغيير وضع مناطق شرق بروسيا السابقة والتى تشكل حاليا جزءا من روسيا لصالح «أوروبا» أى لصالح المانيا. من الطبيعى أن تبدو هذه المطالبة لروسيا أمرا ذا علاقة بمد الناتو نحو الشرق.

موقف روسيا

كافة السياسيين والعسكريين الحاليين فى روسيا يجمعون على رفض مد الناتو نحو الشرق ، وهم متفقون جميعا فى ربط هذا الرفض بمبررات عسكرية واعتقد ان هذا تبرره ثلاثة أسباب على الأقل.

أولا : لان (خطة مد الناتو نحو الشرق) ستحول دون نشوء نظام أمن أوروبى جماعى- يشمل روسيا-و بدلا من ذلك تمد مجال نفوذ الناتو ليشمل اراضى بولندا وتشيكيا وسلوفاكيا والمجر وهم من الاعضاء السابقين فى معاهدة وارسو. **وثانيا**: لأن الناتو حلف عسكرى لا زالت خطته الاستراتيجية تتضمن الاستعداد للمبادرة بتوجيه الضربة النووية الأولى. **وثالثا**: اعطى رئيسا بولنداوجمهورية تشيكيا موافقتهما الصريحة، والتى لم تصدر أية تكذيبات تنفيها، بموافقتهما على وضع أسلحة نووية على أراضى البلدين اللذين يمثلان أكثر المرشحين فرصة فى الانضمام للناتو.

فى تقرير نشرة المعهد الروسى للدراسات الدفاعية يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٩٥ ، وهو معهد قريب من وزارة الدفاع ومجلس الأمن الروسى التابع للرئيس، يقيم الغرض من مد الناتو نحو الشرق على أنه يستهدف «الازاحة النهائية» لروسيا خارج أوروبا. ويكتب التقرير ان «المبادر الرئيسى لمد الناتو نحو الشرق هى جمهورية المانيا الاتحادية بعودتها لتبنى التوسع الالمانى نحو الشرق وجنوب الشرق ».

ويقترح التقرير المذكور اجراءات مضادة تتمثل فى بناء كتلة عسكرية موجهة ضد الناتو من اتحاد الدول المستقلة والتسلح النووى المضاد على كل أراضى الاتحاد السوفيتى السابق وتسليم اسلحة نووية لدول أخرى أيضا .(**ف. داشيشيف** : فى صحيفة دى تسايت ١٥-١٢-١٩٩٥).

وحسب تقدير **ارنست ارتر شيمبيل** رئيس معهد السلام وأبحاث النزاعات فى مقاطعة **هيسين** فان روسيا "ليس امامها إلا أن تفسر خطة مد الحلف العسكرى نحو الشرق بوصفها تهديداً كامناً لأمنها وستجد نفسها مضطرة لدفع عمليات تسلح سيجد فيها الغرب تأكيدا لصحة إجراءات الخطة التى يطبقها.

وبهذا سيؤدى مد الناتو نحو الشرق بالضبط إلى ما يفترض أنه يسعى لمنعه : وهو عودة التهديد الروسى. ولذا يطالب **شيمبيل** باعادة النظر فى مد الناتو نحو الشرق . ويدافع شيمبيل عن مفهوم للأمن الأوروبى تكون بمقتضاه كل دولة فى مأمن من جيرانها . وهو يرى أن تعزيز منظمة الأمن والتعاون الأوروبى يقدم أفضل الشروط (**شيمبيل فى فرانكفورتر الجيماينه تسايتونج**، ١-١٢-١٩٩٥).

خطر على السلام

حتى الآن لم يلتفت الرأى العام الأوروبى والعالمى إلا بقدر قليل جدا إلى مدى الخطورة التى تمثلها على السلام خطة توسع الناتو نحو الشرق. وهذا هو سبب ضعف المقاومة المبذولة. إلا أن خبراتنا التى اكتسبناها من زمن الحرب الباردة أن خطر اندلاع حرب بين الناتو وحلف وارسو لم يضعف الا بعد أن تخلى الاثنان عن المواجهة وأبديا استعدادهما لممارسة الشراكة الامنية. أن الناتو بسعيه لتوسيع مجال سيطرته نحو الشرق يعود إلى نهج المواجهة مع روسيا ويتجاهل المصالح الأمنية الروسية على نحو متعجرف مما يؤدى من جديد إلى وضع من انعدام الأمن، بل وإلى نشوء خطر الحرب.

إرنست فويت

هوامش

(١) مكتب الصحافة والاعلام التابع للحكومة الاتحادية بون، عدد ١٠٣ ، ١١-١٢-٩٥.

(٢) نفس المصدر السابق ص١٠١٢.

(٣) صحيفة دى تسايت عدد ٢٧ بتاريخ ٣٠-٦-٩٥.

(٤) ر. موتس: مجرد ختم فى يد الاقوى ، صحيفة فرايتاج ، برلين ، ٢٦- ١-٩٦.

(٥) زبجنيف برجيجنسكى : انابيب النفط والديمقراطية ، فى صحيفة دى تسايت، ١٧-١٠-٩٥.

انظر أيضا: J.K. Cooly. Beyond Grozny, a Battle to Controle Oil Export Rootes. In: International Herald Tribune, N.Y.24-5-95

(٧) هنرى كيسنجر: صحيفة فيلت أم سونتاج ، برلين ٣-٥-٩٢.

(٨) ف. سيدلر : فى أ. بيرينج : المانيا وماذا بعد ؟ برلين ١٩٩١ ، ص ٨٣.

الطابق الحادى عشر بالفندق الذى صنع فوز بوريس يلتسين

رسالة موسكو

أحمد الخميسى

لم يكن قليلا ذلك الانتصار الذى حققه الشيوعيون الروس فى الانتخابات الرئاسية خاصة أنهم تجنبوا خوض المعارك الدعائية على جبهات الفساد وتدهو مستوى المعيشة والرشوة والإجرام وكل القضايا الدعائية ذات الطابع الساخن مثل الفساد داخل الجيش .. وبالرغم من ذلك فأنهم حصلوا على ثلاثين مليون صوت .

أما النجاح الذى حققه الرئيس يلتسين فقد ولد فى قميص من الشكوك والإبهام لم يخرج منه حتى الآن . الأكثر من ذلك أن شخصية مطلعة وذات صلات وثيقة بالسلطة صرحت - بشكل خاص - بأن **الرئيس يلتسين هزم شر هزيمة فى الجولة لأولى , ولم يفز بأكثر من حوالى عشرين بالمئة من الأصوات** ، وقال نفس المصدر أن السلطة قد عقدت العزم على تزوير الانتخابات فى الجولة الثانية بحيث يفوز يلتسين بفارق كبير . وكان تصريحه الخاص هذا قبل الجولة الثانية . وبعد أن انتهت الانتخابات نشرت **مجلة تايم** الأمريكية على غلافها صورة للرئيس الروسى تحت عنوان "**حقيقة الانتخابات الرئاسية** " وجاء فى ذلك التحقيق أن مجموعة من الخبراء الأمريكيين تمكنت على ادارة حملة يلتسين الانتخابية فى غرفتين بالطابق الحادى عشر من فندق "**الرئاسة** "(**سابقا فندق اللجنة المركزية للحزب**) الواقع فى لينسكى بروسكت ، وأن تلك المجموعة هى التى ضمنت ليلتسين الفوز الذى حققه . وكان ملحوظا فى الحملة الانتخابية ليلتسين ذلك الطابع الأمريكى الغريب عن التقاليد الروسية مثل ظهور يلتسين بقميص نص كم وسروال ضيق فى قاعات شبابية ، ثم قيامه بأداء بعض الرقصات الشبابية على منصات المسارح ، وغير ذلك مما يخرج من إطار التكوين والعادات الروسية . وفيما بعد نوه **ألبرت جور** نائب الرئيس الأمريكي خلال زيارته لموسكو قائلا ليلتسين : **إننى أعرف الكثير عنكم ، لكنى لم أكن لأتصور أنك قادر على الرقص بهذه البراعة** ! وكان التعليق ينطوى على ماهو أبعد من مجرد السخرية اللاذعة.

وإذا نظرنا إلى وضع الرئيس **يلتسين** بين الجولتين الأولى والثانية . سنجد أن وضعه قد تدهور ولم يتحسن بين الجولتين بحيث يفوز بما فاز به فى الجولة الثانية . **فقد أصابته نوبة مرض عرت مرة أخرى حقيقة وضعه الصحى** ، وعجزه عن قيادة البلاد أربع سنوات أخرى حتى أن **ميخائيل جورباتشوف صرح** فى حينه بأن " **هيئة الرئيس يلتسين تذكرنى فقط بشكل الزعيم ليونيد بريجينيف فى سنواته الأخيرة** ". كما أن كل الإجراءات التى أقدم عليها يلتسين بعد الجولة الأولى قد أضعفت مواقعه خاصة اقدامه على عزل **وزير الدفاع بافل جراتشوف ، ورئيس المخابرات ميخائيل بورساكوف ، ومدير أمن الرئاسة كورجاكوف** الذى لازم يلتسين منذ صعوده للحكم عام ١٩٩١ . فقد زعزعت تلك التعديلات وضع **يلتسين** داخل المؤسسات العسكرية وأضعفته .**ومن علامات التزوير الواضحة أن يفوز يلتسين بأصوات أكثر من سبعين بالمئة من المواطنين فى الشيشان حيث لايطيقه أحد هناك بل وفى القوقاز عموما**.وثمة علامات أخرى واضحة على التزوير إذا أخذنا نسبة الأصوات التى حصل عليها يلتسين فى المناطق الاسلامية التى صوتت فى الجولة الأولى لصالح **زوجانوف** ، وإذا بيلتسين يفوز فيها فى الجولة الثانية دون أن يفعل شيئا لتلك المناطق مابين الجولتين .لكن الأمر الذى يلف التزوير بالتصديق هو **صمت الشيوعيين عن التزوير** ،بل واعلانهم أن الانتخابات تمت بحمد الله بنزاهة وأمانة وأنها تعبير " عن إرادة الشعب " ولكن الشئ اللافت للنظر فى تلك التصريحات هو طريقة الادلاء بها خاصة عقب ظهور النتيجة مباشرة .**فقد تجنب قادة التحالف الشيوعى التصريح بشئ ، ولكن بابتسامات غريبة كأنما يقول بها أصحابها " لدينا أسبابنا لعدم الطعن فى النتيجة"** - وعندما اقتربت عدسة التلفزيونات من **نيقولاى ريجكوف** -رئيس الوزراء السوفيتى السابق وأحد قادة التحالف - وسئل عن رأيه فى النتيجة أجاب مبتسما "**لاأستطيع الآن أن أقول شيئا** " **لأنى مشغول**" ،وهى نفس الكلمات التى رددها الآخرون ، ومنهم **أناتولى لوكيانوف "لاأستطيع أن أقول شيئا . عندى اجتماع الآن** "! وكأن الاجتماعات التى ظهرت فجأة لدى كافة قادة الحزب الشيوعى كانت أهم من الاعلان عن موقفهم من نتائج الانتخابات ، والواضح فى تقديرى أن للشيوعيين حساباتهم الخاصة فى علاقتهم باحتمالات دخول الحكومة أو المشاركة فيها . كما أن لديهم حساباتهم الخاصة أيضا بالنسبة لطبيعة التزوير الذى تم ، والأرجح أن التزوير لم يتم بالنسبة للأصوات التى وقفت مع الشيوعيين - فما كان للشيوعيين ظل لهم

لكن التزوير تم بالنسبة لكل الأصوات التي لم تقف مع يلتسين أو الشيوعيين ، فقد احتسبت بالكامل لصالح يلتسين . وربما اعتبر **جينادي زيوجانوف** أن عدم المساس بأصواته في حد ذاته أمر يحسب للنظام وليس عليه . وأن ذلك " التزوير " لايمس بشئ حقيقة ماحصل عليه زوجانوف . أيضا **ربما تجنب زوجانوف تفجير التهديدات التي وجهت من قبل للشيوعيين بأن نورزدم قد يفضي لحرب أهلية في روسيا** .ومن ثم اكتفى الشيوعيون بما حصلوا عليه دون الطعن فيما حصل عليه يلتسين . لكن المؤكد أن تزويرا واسع النطاق قد حدث على مستوى روسيا بأكملها . وعلى سبيل المثال فقد قاطع المواطنون كافة في الشيشان التصويت .. بل وكشفت عن ذلك جولة الكاميرات التلفزيونية الروسية وخاصة قناة" **إن. تي . في**" التي رصدت بالعدسات فراغ المراكز الانتخابية ، بل وأنها مغلقة أصلا في كثير من المناطق ، بينما لم يسمع المواطنون الشيشان في بعض المناطق أصلا بأن يوم ٣ يولية هو موعد الجولة الانتخابية الثانية . من ناحية أخرى فأمر لايصدق أن الأصوات التي وقفت مع **الجنرال ليبيد** (أحد عشر مليون صوت) قد وقفت بالكامل مع يلتسين في الجولة الثانية - لأن الذين **صوتوا مع ليبيد كانوا يصوتون في الواقع ضد يلتسين** .والأرجح في الجولة الثانية أن يقفوا ضد يلتسين وزوجانوف . لكن أن ينتقلوا في غمضة عين من التصويت ضد يلتسين الى التصويت معه فأمر غير معقول . ويمكن قول نفس الشئ بالنسبة للأصوات التي وقفت مع يافلينسكي وجيرنوفسكي .وقد أدى لشيوع فكرة نزاهة الانتخابات - في ظل نظام غير نزيه - أن أحدا لم يطعن فيها .

والواضح أن آمال الشيوعيين - وغير معروف بعد حجم تلك الآمال- لم تتحقق بعد بالنسبة للمشاركة في الحكومة أو التلويح بضرورة انشاء حكومة ائتلافية . فقد طرح الشيوعيون فكرة " الحكومة الائتلافية " باعتبارها ائتلافا بين تيارات سياسية مختلفة . **لكن الحكومة ويلتسين ورئيس الوزراء تشير نوميردين أصروا جميعا على أن الحكومة ائتلاف بين " المحترفين من السياسيين القادرين على استنقاذ الاقتصاد**"ومن ثم فإن لها لونا واحدا فقط هو" لون العمل والاحتراف "! . على حين سارع يلتسين بإعادة أناتولي **تشوبايس** الوجه المكروه شعبيا لارتباطه بعملية التخصيص إلى السلطة بصفة " مدير لديوان الرئاسة" مما يفتح الباب **للعودة الواسعة للجناح " الأطلسي" القديم الموالي ليجور جايدار وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي** .ولكن ثمة تغيير واحد قد تم جدير بالملاحظة هو تعيين **الجنرال الكسندر ليبيد** سكرتيرا نائبا لمجلس الأمن القومي، ومساعدا للرئيس لشئون الأمن القومي . ولم يجمع أحد قبل ليبيد بين هذين المنصبين اللذين يوفران له معا وضعية نائب الرئيس الروسي التي لايتضمنها الدستور.

ويثير **الجنرال ليبيد** من حوله أسئلة كثيرة خاصة مع تزايد نفوذه ومايشاع عن أنه قد يكون الحاكم المقبل لروسيا . وقد جرى تصوير الجنرال - كما يجري عادة مع كل الظواهر المجهولة - بمختلف الألوان ، فهو **مشروع لاستثمار قومي للجنرال ديجول** لكن على الطريقة الروسية ، وهو **مشروع لنظام يجمع بين العدالة الاجتماعية واقتصاد السوق** .وهو**مشروع لصعود العسكريين الى الحكم** .حتى قيل إنه الجنرال الذي جمع الزمان والمكان عندما أصدر أوامره لجنوده بأن يحفروا خندقاً من عند هذا الخط حتى موعد الغداء "! وقد بدأت الأضواء تسلط على **الجنرال ليبيد** بسبب من دوره في دعم الرئيس يلتسين خلال انقلاب أغسطس ١٩٩١ عندما تولى قيادة كتيبة خاصة قامت بحراسة مبنى مجلس السوفيت لكي لايسيطر عليه الانقلابيون في أغسطس . وأدى نجاحه في تلك المهمة لترقيته لمنصب قائد عام الجيش الرابع عشر في **بريدنستروفيه بمولدوفا** وارساله اليها عندما اشتعلت الحرب هناك في يونية ١٩٩١. وكان دعم ليبيد للرئيس يلتسين ثم ترقيته الى منصب أكبر نقطة تحول في حياته ، فقدم في يونية ١٩٩٥ استقالته من الجيش ورشح نفسه لعضوية البرلمان نائبا لرئيس حركة الجماعات الروسية ، ثم تزعم حركة أسماها " **الشرف والوطن**" تضم كما يقال عشرين ألف شخص من العسكريين المتقاعدين ، ودخل الانتخابات البرلمانية لكنه حصل فقط على ٤٪ مما دفعه عام ١٩٩٦ الى الانضمام لحزب "**سلطة الشعب**"الذي يترأسه **نيقولاي ريجكوف**"، ثم ترك الحزب ، وأصبح في يناير ٩٦ عضوا باللجنة البرلمانية لشئون الدفاع .**وهكذا تنقل الجنرال من عضوية الحزب الشيوعي السوفيتي الى الحركة القومية الروسية إلى الحركة العسكرية ثم لحزب سلطة الشعب ، ثم قرر العمل بمفرده** .واعتمد ليبيد على برنامج بسيط للغاية جوهره الأساسي "**ضرورة فرض النظام والأمن**"في روسيا ، وهو برنامج على بساطته إلا أنه يعيد ترتيب الأولويات **فلم تعد قصة " اقامة السوق" في روسيا هي الموضوع الأول** الآن .

لقد تراجعت تلك المهمة لدور جديد "أهم هو" فرض النظام على ذلك السوق" فقد استقرت المجموعات الاجرامية.ومراكز نهب الثروات وراكم رجال الأعمال أموالهم وأصبحت الغالبية العظمى تنشد الآن " النظام" لتبديل قمصانها من اللون الملطخ بدماء الصراعات على الثروة الى اللون الشرعي القانوني .**لقد أصبح " النظام والأمن" مطلوبين بشدة لصالح السوق** .وعندما يسألون الجنرال عن هدفه الرئيسي فإنه يكرر" النظام والأمن" . وعندما يقولون له:" وماالذي ينبغي تغييره.في النظام الحالي؟ يقول " لاشئ فقط فرض النظام والأمن "! ويقول ليبيد في برنامجه الذي خاض الانتخابات على أساسه "**لقد رعت أغنام السوق ليس في مرعى سويسري جميل . لكن في غابة روسية كثيفة ، فالتهم أبناء آوى من المجرمين والموظفين الأغنام وتركوا لنا عظامها للذكرى ، والكارثة ليست في السوق ، الكارثة في الموظفين والعصابات ، إنني لاأدعو لأية أيديولوجية لاشيوعية ولاليبرالية.. إنني فقط أنطلق من التفكير السليم**"ونتيجة لفرض النظام سيحل وفقا لتصورات الجنرال :" سوق المنافسة الشريفة ويبدأ الناس في الشعور بالأمن والازدهار الاقتصادي" ، ولم تكن مصادفة أن يكون الفريق الذي احتشد وراء حملة الجنرال ليبيد الانتخابية هو **مجموعة من عمالقة الإصلاحيين** مثل **فيتالي نايشول** الذي يعرف بفيلسوف السوق ، **وسيرجي جلازييف** ،ثم **ألكسي جولتكوف** الذي أدار من قبل حملة الرئيس يلتسين الانتخابية عام ١٩٩١ ثم حملة تنظيم "**خيار روسيا الديمقراطي**" عام ١٩٩٢ ، ثم حملة حزب الحكومة "**روسيا بيتنا**"عام ١٩٩٥!.

ولهذا وبالرغم من الآفاق التي يبدو أنها تتسع أمام حركة الجنرال ليبيد فإن حركته لن تزيد عن حركة جندي بسيط على رقعة المصالح الواضحة المحددة المرسومة ، كما أن آفاق صعوده لأعلى أي الى قمة الكرملين آفاق مسدودة . **وقد بينت حوادث تفجير الباصات في موسكو سطوة الإجرام الذي أرسل بتحذيراته المتفجرة للجنرال بعد أن أصدر يلتسين مرسومه بمكافحة الجريمة وعهد بتنفيذه لليبيد** .وبينت تلك الحوادث أن الجنرال قد لاينجح في استئصال جذور الظاهرة الاجرامية وأنه يكتفي باجراء عملية تجميل من الخارج للظاهرة ، ذلك أن**الإجرام وثيق الصلة بالدولة واقلاع الدولة عنه قرار صعب يشبه قرار المدمن بالاقلاع عن التدخين** ، ولهذا فإن الكرملين الذي يعرف جيدا حدود الجنرال لن يسمح له بأكثر من تلك المتعة التي يحسها العسكريون من صك الأرض بأحذيتهم والمرور بين صفوف الجنود بخيلاء .**مع الاعتماد الكامل على الحنجرة: العضو الرئيسي المفكر والناطق لدى الجنرالات.**

حزب العمال البريطانى يتخلى عن الاشتراكية والعمال يشلون الحياة فى البلاد

وائل جمال

فى الرابع من يوليو الماضى أصدر حزب **العمال البريطانى** برنامجه للانتخابات البرلمانية المقبلة والتى ستحدد الحكومة البريطانية الجديدة تحت عنوان :"**العمال الجديد حياة جديدة لبريطانيا** ". وتشكل البنود المختلفة للبرنامج بلورة للتحولات التى يشهدها حزب العمال خلال السنوات الأخيرة والتى ازدادت سرعتها وعمقها تحت قيادة " **تونى بلير**"الزعيم المنتخب للحزب لتنقل الحزب إلى مواقع على أقصى يمين المكان الذى اعتاد الحزب الوقوف به فى الساحة السياسية فى بريطانيا.

وفاز البرنامج الجديد بموافقة اللجنة القومية التنفيذية للحزب فى الثانى من يوليو بأغلبية **٢٧ صوتاً** مقابل **صوتين فقط**ليعد بتغيير جذرى لبناء بريطانيا جديدة لاتشير إليه مضامين البرنامج الذى لايختلف كثيراً عما تطرحه بالفعل حكومة "**ميجور** "ولايزيد البرنامج إلا فى التفاصيل.

ويجيئ البرنامج ليؤكد التحولات التى شهدها الحزب **بالتخلى عن الملكية العامة وعن الإشارة للاشتراكية التى اعتبرها من مخلفات الماضى** ولينهى بذلك صفحة من تاريخ الاشتراكية الديمقراطية التى طالما اضعفت من قدرة اليسار الثورى وأضافت لفاعلية النظام الرأسمالى وقدرته على احتواء المعارضة الشعبية . ولتثبت زيف المعارضة التى يقدمها هذا النموذج الذى يمثله **حزب العمال البريطانى** ففى لحظة الأزمة التى يشهدها النظام برمته اقتصادياً و سياسياً لم يعد هناك مجال للاختلاف حيث صار التعارض الحقيقى بين العمال والمحافظين غير موجود . ففى مجلس العموم البيريطانى كان رد ميجور على سؤال طرحه **تونى بلير** عن سياسة الحكومة مجموعة من الأسئلة حول .ماإذا كانت حكومة العمال ستضغط على الأغنياء لصالح الفقراء وستعيد المدارس لسيطرة السلطات المحلية المنتخبة وستوقف الخصخصة وستوقف القوانين المضادة للنقابات ، وكان رد بلير الصمت التام.

والحقيقة أن انتهازية حزب العمال ويمينيته هذه ليست جديدة ويكفى الرجوع إلى عام ١٩٧٦ للإشارة إلى حكومة **جيمس كالاهان** التى دشنت السياسات التاتشرية قبل أن تأتى تاتشر بالاتفاق مع صندوق النقد . وهناك خطبة شهيرة **لكالاهان** فى مؤتمر للحزب تشير إلى المنطق الذى تعامل به الحزب مع النظام الرأسمالى طوال تاريخه قال فيها :" ماهو سبب البطالة؟ ببساطة إننا ندفع لأنفسنا أكثر مما ننتج وهذه حقيقة لايمكن أن تغيرها حكومة سواء من اليسار أو اليمين . ولقد اعتدنا أن نعتقد أن الطريق ضد الكساد هو زيادة العمالة والانفاق الحكومى إلا أن هذا الخيار أصبح غير موجود . لقد أصبح علينا أن نساوى تكلفة الانتاج لسلعنا بمثيلاتها المنافسة ". وكانت الوسيلة الوحيدة لعمل ذلك دون زيادة البطالة هى **تخفيض الأجور** .إلى جانب ذلك فان السياسات الكينزية التى كانت دائماً محور السياسة الاقتصادية للحزب والتى لم يعد لها مجال الآن تقوم على إصلاح النظام الرأسمالى وليس تغييره.

ويجيئ **تونى بلير** لرئاسة الحزب الذى ظل يمتلك أرضية عمالية قوية صنعت بنضالها تاريخه وقوته كشف الحزب عن وجهه ودوره الحقيقيين . وكان بلير مؤهلاً حقيقة للعب هذا الدور حيث لايمتلك أى تاريخ اشتراكى . فخلال سنوات شبابه كله لم تكن هناك أقل علامة على التزامه الأيديولوجى بالاشتراكية . وعلى العكس من كل زعماء العمال الآخرين لم يكن مقتنعاً فى حياته بمقولات النظام الاجتماعى الاشتراكى.

ولكن هذه الحقيقة لايجب أن تقودنا الى الاعتقاد بأن السبب وراء تحولات الحزب هو **تونى** بلير .**فقد جاءت هذه التحولات نتيجة للظروف الموضوعية للتحولات الاقتصادية والاجتماعية التى انعكست على الساحة السياسة لتعلن إفلاس الاشتراكية الديمقراطية** وأدت فى ظل تأزم أوضاع حزب المحافظين الذى يحكم منذ ١٧ عاماً إلى احتمال سقوط النظام السياسى البريطانى أشهر أمثلة نظام الحزبين السياسيين فى العالم.

وأدت الظروف الجديدة الى تحولات فى تركيب الحزب وفى عضويته . فمنذ **١٩٥٢ حين وصلت عضوية الحزب إلى أكثر من مليون شخص** وهى فى انحدار مستمر حتى وصلت الآن - طبقاً لتقديرات الحزب نفسه - إلى **٢٦٠ ألفاً**، دفع منهم فقط مائتا ألف الاشتراك المفروض . إلى جانب ذلك تغير تركيب الحزب حيث أصبح العضو التقليدى للحزب الآن هو عضو الطبقة الوسطى **وأصبح عدد الذين يقل سنهم عن ٢٦سنة حوالى ٥٪ فقط من الأعضاء** .إلى جانب ذلك فان الحزب الذى كان يتكون أساساً من العمال أصبح بعيداً عن أماكن العمل وعن أماكن السكن حيث الحياة الحقيقية للذين يصوتون عادة للحزب.**وأصبح أكثر من ٤٩٪ من أعضاء الحزب مقارنة بـ ١٤٪ من الذين يصوتون له ينتمون للفئات العليا من الطبقة الوسطى**.

وبالطبع فان ذلك يجئ نتيجة لفقدان الثقة المستمر من العمال فى الحزب الذى وقفت قيادته فى وجه إضراباتها المتصاعدة منذ الثمانينات والمظاهرات التى تكررت ضد الخصخصة والعنصرية.

ومن الواضح أن التفسيرات التى يقدمها الجناح اليسارى فى الحزب لم تنطل على العمال حيث يؤكد هؤلاء إن **التحول نحو اليمين هو مجرد تكتيك وقتى من أجل الانتخابات** والذى إن صدق يؤكد انتهازية الحزب وبالطبع فان الدعوى بأن وجود الاشتراكية فى برنامج الحزب سبب لتدهور

شعبيته هو أمر يتناقض مع التاريخ الذى أثبت أن شعبية حزب العمال كانت ترتفع أكثر كلما تحرك نحو اليسار.

ويبقى السؤال: هل يمثل حزب العمال بالفعل الإنقاذ للنظام البريطانى ؟

تشكك مجلة **الإيكونومست** البريطانية فى ذلك حيث تؤكد على ضرورة تحقيق إصلاحات جبارة فى الدستور البريطانى وفى النظام الانتخابى غير العادل وتحذر من أن التماثل بين برنامجى العمال والمحافظين يعنى أن شيئا لن يتغير وهذا خطير للغاية.

والحقيقة أن تحول حزب العمال **لتمثيل الطبقة الوسطى كما أعلن بلير لأول مرة أثناء زيارته للولايات المتحدة** فى أبريل الماضى حين أكد لرجال الأعمال الأمريكيين ضمانه لاستمرار برامج الخصخصة وتشجيع الاستثمارات - هذا التحول - ليس طوق النجاة . فالحقيقة أن **الفكرة التى تحاول الرأسمالية تسييدها بخصوص تحول العمال إلى طبقة وسطى وأن المجتمع كله أصبح طبقة وسطى كبيرة تثبت الأرقام زيفها.**

حيث إن الفجوة بين الأغنياء والفقراء فى بريطانيا الآن هى الأكبر منذ ثمانينات القرن الماضى، وهو أمر له علاقة واضحة بالكساد الذى يمر به الاقتصاد البريطانى منذ الثمانينات . وأدت سياسات الخصخصة وغيرها التى أغنت الأقلية على حساب الأغلبية الى إنتاج عدم استقرار مؤسسى فى النظام.

ولهذه الفجوة دلالات هامة للغاية بالنسبة للمجتمع البريطانى حيث تنهى الأفكار التى سادت حول الثقة فى القدرة على التحكم فى الرأسمالية وأنه يمكن تحقيق العمالة الكاملة ورفع مستويات المعيشة وإن الصراع الطبقى أصبح شيئا من الماضى.

وبعيداً عن كل هذه الأوهام التى انكشفت شهدت بريطانيا فى منتصف الشهر شللاً كاملاً فى مظاهر الحياة بسبب **إضرابات عمال مترو الأنفاق وهيئة البريد والمطافئ** للمطالبة بزيادة الأجور لتعلن الطبقة العاملة للجميع قدراتها الكامنة والتى تحررت من السلطة الأدبية لحزب العمال.

برامج حزب العمال البريطانى الانتخابية من ١٩٨٣ وحتى ١٩٩٦

الموضوع	برنامج انتخابات ١٩٨٣	برنامج انتخابات ١٩٩٢	١٩٩٦ : حياة جديدة لبريطانيا
الاقتصاد	- خلق تسم للتخطيط الاقتصادى والصناعى - ضبط التبادل والاستيراد ودعم الأسعار وتخفيضها	- تأسيس بنك للاستثمار القومى ووكالات للتنمية الاقليمية	- استقلال أعظم لبنك انجلترا ، قيود وحدود مشددة للاستدانة الحكومية ، معونات للعاطلين من وقت طويل.
الضرائب	- ازالة سقف التأمين القومى - تقليل الضرائب غير المباشرة - ضرائب جديدة على الثروة	- ٥٠٪ زيادة فى المعدل الأقصى للضرائب . - ازالة سقف التأمين القومى	- الادخار والاستثمار لا الضرائب والانفاق . تقليل الضرائب على العائلات العادية ، المعدل الأقصى للضرائب غير محدد، ضرائب على الاستخدام
الضمان الاجتماعى	- زيادات كبيرة فى المعاشات والانفاق على الطفولة	- زيادات كبيرة فى المعاشات والانفاق على الطفولة ، الابقاء على المعونات للأطفال الى ١٦و١٧ سنة على المدى الطويل.	- مراجعة معونات الأطفال ١٦-١٧ سنة. - الابقاء على المعاشات المقدمة من الدولة مع اعادة النظر فى قيمتها ، المشاركة الخاصة العامة فى المعاشات
الصحة	- زيادة الانفاق ٣٪ سنويا ، الغاء النشاط الخاص.	- زيادة الانفاق ١ بليون جنيه استرلينى كشوف مجانية لأمراض العيون	- تقليل قوائم الانتظار بتخفيض العمالة.
التعليم	الغاء الانفاق على المدارس الخاصة.	- زيادة فى الانفاق ٦٠٠ مليون استرلينى - اعادة المدارس لسيطرة المحليات - انهاء أماكن الاختيار الدراسى	- تعليم مرن فى المدارس العليا. - قروض للطلبة بدلاً من المنح التعليمية.

فكــر

بين العَوْلَمة والخصوصيات (١)

لطيف فرج

قام برتران بادي Bertrand Badie أستاذ علم السياسة بمعهد دراسات العلوم السياسية بباريس بوضع عدة مؤلفات هامة منذ منتصف السبعينات حتى اليوم، وقد صدر آخر كتاب له في نهاية عام ١٩٩٥ بعنوان **«نهاية الحدود»** الذي اشتمل على دراسة متعمقة للفوضى الدولية السائدة، والعَوْلَمة المتزايدة، ونمو التيارات الدافقة عبر حدود الدول سواء كانت مالية أو تجارية أو إعلامية أو دينية أو إيديولوجية أو تيارات هجرة وغيرها. وتتميز مؤلفات هذا الباحث بعمق التحليلات، وبالجدة والابتكار في مجالات علم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع التاريخي، لا سيما وأن الدراسات الاجتماعية الأمريكية المعاصرة في هذا المجال -بالرغم من ثرائها- تهمل الجانب التاريخي، في حين أن مؤلفات بادي تتميز براعاة هذا الجانب. ومن أهم مؤلفاته **«سوسيولوجيا الدولة»** الصادر عام ١٩٧٩ واشتمل على أسس نظرية اجتماعية جديدة، وكتابي **«الدولتان- السلطة والمجتمع في الغرب وفي بلاد الإسلام»** الصادر عام ١٩٨٧، و**«الدولة المستوردة- تغريب النظام السياسي»** الصادر عام ١٩٩٢ والمترجمين إلى اللغة العربية(٢). وقد ألقى بادي في الشهر الماضي محاضرة في فرنسا شهدها مثقفون ومتخصصون تناول فيها موضوع ما اتفق على تسميته بالعولمة. ويسعدني القيام فيما يلي بنقل معاني هذه المحاضرة إلى قراء مجلة «اليسار» وبخاصة أفكارها الأساسية الجديدة والجديرة بالتأمل والدراسة:

منذ انتهاء الحرب الباردة لم ينقطع الحديث عن **القومية**: إذ يرد ذكرها في كل مناسبة: سواء كانت مناسبة النزاع في يوغوسلافيا السابقة، أو الحرب في الشيشان، أو اتباع اليابان للسياسة الحمائية، أو نمو الاتجاهات المتطرفة في البلدان العربية، أو مناسبات المطالبات الانفصالية ...

ولكن هل يمكن حقاً استخدام نفس المقياس عند تحليل ما حدث من تشتت في يوغوسلافيا، وما حدث من ازدهار للقومية العربية أيضاً؟ وهل يمكننا حقيقة تشبيه قومية التجمع الديموقراطي الإفريقي التي برزت في الخمسينات بالقومية الفرنسية اليوم؟ أو حتى تشبيهها بما سمي بالوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية أو الوحدة التركية؟ إذا ما فعلنا ذلك فإننا نحدث خلطاً بين مستويات مختلفة من التحليل، ونعالج الظاهرات من وجهة نظر دولية في حين يجب إعادة وضع كل منها في منظورها التاريخي الخاص وفي إطارها القومي الخالص. لقد كان الاتجاه دائماً قوياً لمعالجة المسألة اليوغوسلافية بالرجوع إلى ... تاريخ فرنسا أو تاريخ إيران الحديث، أو بما نعرفه عن التاريخ الانجليزي. وكانت النتيجة: أن أصبح من الصعب فهم المنازعات الدائرة في يوغوسلافيا، كما صار حلها موضع خلاف. إنه بسبب رغبتنا العارمة **في نقل حلول خاصة بتاريخ المجتمعات الغربية، فإننا نجازف ببساطة في تفاقم الأزمات... وكذلك بسبب استخدام مفهوم «الأمة» بإفراط وبطريقة ملتبسة أصبحت الأمة بدورها تتطابق مع المعاناة والعنف والدماء.**

ومع ذلك فإن أصل تكَوّن الأمة قديم: فهو يعود إلى القرنين الثالث والرابع عشر، ولكن كان يجب انتظار ظهور الدولة بدءاً من عصر النهضة في فرنسا، ثم قيام الثورة الفرنسية لكي تفرض الأمة نفسها حقيقة باعتبارها الموضوع الرئيسي في العلاقات بين جماعات سياسية. وبالتوازي تم تدريجياً توصيف العلاقات بين الدول بأنها «دولية»(٣).

وحين نقوم باستخدام مفاهيم الأمة والقومية في جميع الحالات وبلا تمييز، فألا يؤدي ذلك بنا إلى فقدان الاتجاه وإهمال التحولات الاجتماعية والسياسية الجارية في المجتمعات التي نعزو إليها انحرافات قومية؟

وإذا ما كانت مفاهيم الأمة والقومية لا تتطابق مع جميع الحالات إلا أنه يوجد في المقابل مفهوم يمثل بلا جدال قاسماً مشتركاً للأزمات العرقية-القومية التي شهدتها السنوات الأخيرة: وهو مفهوم **«الهوية»**. إذ أنه من الصحيح أن الهوية - على العكس من الأمة- تنتمي إلى إشكالية كونية عامة وشاملة. ففي جميع العصور وفي جميع الأماكن أحس الأفراد وأحست المجموعات الإنسانية -ولا زالوا يحسون- بالحاجة لأن يصنعوا لأنفسهم هوية أو عدة هويات.

وليست هذه الهويات دائمة وليست محددة مسبقاً. إن الأفراد مثلهم في ذلك مثل المجموعات الإنسانية لا يرتبطون على الدوام بهوية منحها لهم التاريخ مسبقاً أو أصبغها عليهم هذا المراقب أو ذاك. فالهوية لا تتوقف عن أن تتشكل وعن أن يعاد تشكيلها من جديد.

ولنواصل الحديث عن هذه النقطة: إن البشر يقومون بتحديد هويتهم، ويبدلونها، بل يغيرونها: فالرجل الطاجيكي [المنتمي إلى طاجيكستان] مثلاً يمكن أن يحدد ذاته وفقاً للظروف وللأزمنة فقد يكون طاجيكياً بل وأيضاً مسلماً، أو إيرانياً، أو سنياً، وقد يحدد هويته بأنه ينتمي إلى ذلك الوادي أو تلك القرية أو ينتسب إلى العشيرة الفلانية أو العائلة العلانية.



والهوية الوطنية (أو القومية) هي طريقة خاصة يلجأ إليها الفرد لبناء هويته، ووسيلة يتصور بها الأفراد والمجموعات هويتهم من بين عدد كبير آخر من الهويات.

وفي حين أن الهوية مفهوم كوني وعام، نجد أن مفهوم الهوية القومية لا يتعلق إلا ببعض المسارات التاريخية القومية. وتؤدي هذه الحالة إلى تناقض مزدوج يوضح الأزمة التي تمر بها القومية:

– **التناقض الأول** هو التناقض القائم بين الهوية القومية التي هي وسيلة مستقرة لبناء الهوية، وبين حركات الهويات الخصوصية سواء كانت نزاعية أم لا. فالواقع أن هذه الهويات الأخيرة جامحة، ومتعصبة، وعابرة، ولا تجنح كثيراً نحو تنظيم نفسها كجماعة سياسية حية.

–ويقع **التناقض الثاني** بين تكاثر هذه الخصوصيات وبين العولمة التي تمثل حقيقة واقعة. الواقع أننا قد دخلنا فعلاً عصر **العولمة**: فمع نمو وسائل الاتصال اللاسلكية وشبكات الكابلات، والبث من الأقمار الصناعية.. يتسع نطاق الاتصال بين مختلف أنحاء العالم. ويتعارض هذا الاتجاه مع الخصوصيات بصورة مباشرة. ومع ذلك فأحداهما تفسر الأخرى إلى حد كبير : **إذ تؤدي العولمة الجامحة وشديدة السرعة والمحبطة إلى تنمية وتعزيز الهويات من كل نوع.**

ما هي الأمة؟

لقد اتسم القرن التاسع عشر ببروز الأمة السياسية، بمعنى جماعة سياسية تعاقدية تسمو فوق الخصوصيات. وتتميز الأمة بسمات أربع:

* **تستتبع الأمة ولاءً أولوياً صريحاً.** فالانتماء للأمة يسمو فوق جميع الانتماءات الأخرى التي قد ينتسب الفرد إليها. الأمة هي المرتبة العليا في تسلسل الانتماءات. إن تاريخ الانتماء للأمة هو تاريخ تسلسل واضح للانتماءات. ولكن الفترة الأخيرة شهدت عكس ذلك، إذ تكاثرت الانتماءات بطريقة فوضوية في بلدان أوروبا الوسطى والشرقية بل وفي الجنوب أيضاً. وهي انتماءات دينية، وقبلية، وعرقية، ولغوية، وأسرية، وعشيرية، [**بل وشللية!**]... وتتداخل جميع هذه الانتماءات معاً بل وتتنافس فيما بينها. إنها تمزق الفرد وتحيره. كما تدخل في تناقض مع مفهوم الانتماء الأولوي للأمة.

* **الأمة هي أيضاً سيادة.** **الأمة لا تخضع لأية سلطة خارجية.** وتنجم عن هذه السيادة الشرعية التي يمنحها الشعب-المواطن للقادة عند انتخابهم. وعلى هذا تستلزم سيادة الأمة وجود مساحة سياسية يفترض بأن المواطنين يشاركون فيها. إن **تطور الأمم الغربية لا ينفصم في الواقع** عن عملية إشاعة الديمقراطية في المجتمعات وعن التوسع في حق التصويت والانتخاب العام. ولكن ما الذي نشاهده اليوم مصاحباً لتكاثر الخصوصيات؟ إننا لا نشهد سيادة الأمة هذه، بل نرى العكس وهو إضعاف المجال السياسي. لم تعد توجد مساحة سياسية في المجتمعات الصغيرة التي تبرز في القوقاز أو في إفريقيا. لم يعد السياسي قائماً كحيز خاص، لكنه يندثر في مواجهة التكافلات الدينية والثقافية والعشيرية والشللية، الخ.

* **الأمة تفترض التوطن في أرض منتهية بحدود.** يندرج بناء جماعة وطنية أو قومية في أراض محددة بحدود. إن غالبية الفعاليات الاجتماعية الخصوصية متمردة على الأراضي المنتهية بحدود. فلا يمكننا مثلاً توطين مساحة للوحدة الإسلامية لأن الإسلام لا ينحصر في أراض. لا جدال بأنه أمكن تحديد أراض تتناظر مع المكونات العرقية الأساسية للبوسنة والهرسك (صرب وكروات وبوسنيون)، لكن تحقق ذلك مقابل حدوث تطهير عصبي...

وبناء عليه، وباستثناء يوغوسلافيا السابقة، فإن المطالب الماهرية طلتي

ظهرت في الثمانينات والتسعينات على مقدمة المسرح العالمي تدحض الأراضي المنتهية بحدود: وعلى هذا لا يعتبر التوطن في أراضي محددة دعامة للخصوصيات المتعددة المنتجة لجماعة سياسية وحيدة.

* **الجماعة السياسية القومية هي العمومي الذي يسمو فوق السمات الخصوصية.** ولهذا تُعرّف الأمة بأنها حل قابل لأن يكون كونياً شاملاً. لقد انتجت الأمم نظاماً أمياً [دولياً]، بمعنى أنه نظام يعرّف ذاته تحديداً بأنه تنظيم وتنسيق لأمم متوطنة في أراض منتهية بحدود. واليوم نشهد اختناق أنفاس هذا النظام القائم بين أمم. لم تعد غالبية مساحات العالم تتوافق مع منهج التوطن في أراض محددة، ومع عمومية هذا المبدأ: يكفينا ببساطة تأمل المساحة المفتوحة التي تحتلها الشركات الصناعية العالمية أو متعددة الجنسيات أو المساحات الثقافية والدينية. إن النظام «العالمي» لم يعد في جوهره نظاماً «دولياً» [أي بين دول].

الواقع أن الأمة لم تعد تتراءى لنا إلا باعتبارها هوية تم تجاوزها، كما أن القومية لم تعد سوى إيديولوجية غامضة وملتبسة. إن السؤال الذي يطرح نفسه هو فيما إذا كان تصدير النموذج القومي الغربي هو المسئول الرئيسي عن الأزمات التي نشهدها. ولنتأمل المآسي في يوغوسلافيا السابقة أو في رواندا، والصراعات على السلطة في أفغانستان، أو الحرب في الشيشان.

العولمة والخصوصيات

لا تنتشر الخصوصيات في أي مكان أو زمان كان، ولا في ظل أي ظروف أو سياق. إنها تظهر تحديداً في الوقت الذي تتم فيه العولمة. **ما هي العولمة؟** إنها في المقام الأول نشدان إخضاع الكوكب الأرضي بأكمله إلى نفس القواعد والمعايير وذات القيم. لقد انبثقت العولمة من تاريخ طويل، لكنها لم تبلغ مراميها حقيقة إلا بصحبة إنهاء الاستعمار. إذ تم حينذاك اللجوء إلى نفس القواعد والحقوق وذات الفلسفة والقيم من أجل تنظيم العالم من خلال الحوار بين الشمال والجنوب. إن العولمة لا تتكون من «أعلى» فقط: أي بوضع قانون دولي، وإنشاء المنظمات الدولية (الأمم المتحدة وصندوق النقد والبنك الدوليين...)؛ لكنها تنبثق أيضاً من توسع نطاق التيارات الدافقة عبر الأمم: مثل التيارات الاقتصادية والثقافية والدينية والإيديولوجية وتيارات الهجرة الخ. إن جميع هذه التدفقات تشارك في جعل أساليب الحياة متجانسة. وتقوم أيضاً بدمج الأفراد عبر الحدود أكثر فأكثر، دون أن تتمكن الدول من السيطرة عليها أو من إخضاعها.

ويؤدي اتساع نطاق التيارات الدافقة عبر الأمم إلى تعريض فكرة الأمة ذاتها للخطر. فالأمة لم تعد من بعد تتراءى ككيان صاحب سيادة قابل للحياة، وكوحدة أساسية ذات جدوى للإنسانية، وكفاعل حاسم في النظام الدولي. إن مجتمعاً آخر يبرز من وراء نطاق الأمة. وتتفرع تكافلات جديدة عن هذه التدفقات العابرة للأمم: وهي تكافلات دينية، وإيديولوجية، وثقافية، ولغوية... ويُستشف منها بزوغ حياة معاشة بأسلوب يتسم بكونه فيما وراء القومية أكثر مما هو قومي. وإذا ما كانت هذه التكافلات ترهق المناهج القومية وتؤذيها، إلا أنها تنافس أيضاً التكافلات الخصوصية أو تكشف عن عجزها. والواقع أن هذه التكافلات العابرة للأمم تتسبب في حدوث ردود أفعال خصوصية. ذلك لأنها حين تُعرّض الدولة-القومية للخطر فإنها تولّد مجالات ترسخ فيها أشكال مستجدة من الانتماء ومن التكافلات. وحين تقوم هذه التدفقات العابرة للقوميات بتجاهل مستوى الدولة-القومية فإنها تنشّط في نفس الوقت التكافلات الصغيرة تحت-القومية [قبلية، وعشيرية، وأسرية، وشللية] والتكافلات الكبيرة فوق-القومية [دينية، ولغوية، وثقافية، وإيديولوجية].

هل كان من الممكن أن يكون للوحدة التركية بصفة خاصة (ظاهرة تضامن بين-دول في آسيا الوسطى مرتبطة بالتركيفون) هذه القوة والأهمية اليوم لو لم تكن الجاليات التركيفونية تتمتع بوسائل اتصالات حديثة عابرة للأمم (التلفزيون والإذاعة بخاصة)؟ هذا بالاضافة إلى أن هذه العولمة وهذا العبور للأمم يحشدان ضد البناء القومي وطموحه نحو الكونية مجموع الانتقادات ، وجميع المنازعات والاحتجاجات التي قد تحدثها الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في البلدان النامية. الواقع أنه بالرغم من أن بعض المنازعات الاجتماعية في العديد من البلدان قد تكون هامشية في البداية إلا أنها تحصل على أهمية دولية. ولا تحدث اليوم أية مصائب صغيرة في أي مكان صغير من الكرة الأرضية إلا ويتعرض الغرب في مجمله للاتهام، وتتعرض العولمة للهجوم بشكل أو بآخر. إن الاحتجاجات تتجمع في أماكن عديدة لتتجه نحو اتهام الهيمنة الغربية المنتجة لمنهج العولمة.

هكذا تواجه الدولة-القومية اتهامات عديدة. فهل نحن نعيش عصر انبعاث الإمبراطوريات التي كانت تاريخياً وسائل لحكم تعدد الانتماءات والهويات السياسية والعشائرية والدينية؟ يوجد شيء مؤكد: وهو أن اتهام الدولة-القومية سوف يتحكم في مصير العلاقات الدولية بشكلها الراهن. ما قيمة النظام الدولي طالما أن الانتماءات الصغيرة تحت-القومية والانتماءات الكبيرة فوق-القومية تسمو على الانتماءات القومية؟ كيف سيكون حال منظمة الأمم المتحدة إذا ما أصبحت جميع أشكال الانتماءات ممثلة فيها؟ ما عدد آلاف المقاعد التي يجب وضعها داخل جمعيتها العامة؟ كيف سيكون شكل المسرح العالمي لو تم الاعتراف لجميع الهويات بحقها في القيام بدورها بفاعلية؟

هوامش

(١) الخصوصية : حالة جالية أو مجموعة من السكان ترغب في المحافظة على حرياتها الإقليمية أو استقلاليتها في داخل دولة أو اتحاد فيدرالي.

(٢) تمت بترجمة هذين الكتابين إلى العربية، وقد صدر الأول عن دار الفكر للدراسات عام ١٩٩٢، والثاني عن دار العالم الثالث عام ١٩٩٦ بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث. وانتهز هذه المناسبة لتقديم شكري العميق للمستعرب الفرنسي ريشار جاكمون رئيس قسم الترجمة السابق بالبعثة الذي كان أول من أرشدني إلى مؤلفات بادي [قد يكون أصل اسمه «بديع» ؟] وقدمني إليه أثناء إحدى زياراته للقاهرة.

(٣) ظهر نعت «أممي» و «دولي» [أي بين أمم أو بين دول] عند مطلع القرن التاسع عشر.

فكر

النظرية ليست عقيدة جامدة

الدوامة المفتعلة : هل الخلل فى النظرية أم فى التطبيق

سند ساحلية

تتكاثف وتختلف الجهود الآن من أجل الرد على الانهيار الكارثى الذى حل بالمنظومة الاشتراكية وإبداء النقد بشتى اشكاله فيما يتعلق بالازمة التى تعانى منها قوى اليسار فالبعض يرى بذلك انتصاراً للرأسمالية وان الانهيار الذي حصل اثبت «تفوق الرأسمالية على الاشتراكية» والبعض يرى بأن الاشتراكية قد «فشلت» تاريخيا وكشفت عن طابعها «كحلم طوباوى». واثبتت عقمها وعجزها عن حل مشاكل البشرية. وذهب البعض إلى حد اعلانه «نهاية التاريخ» وتعميمها لاقتصاد السوق والليبرالية الغربية كشكل نهائى للسلطة البشرية جمعاء. والبعض يدعو لاعادة النظر بالماركسية وقوانينها وآخر يدعو إلى تجديدها . وازاء الحيرة والذهول من التغيرات العميقة التى تعصف بعالمنا المعاصر والعجز عن تحليلها يذهب البعض إلى التسليم الذى يفتقر تماما للروح النقدية ببعض الادعاءات الليبرالية والأخذ بها على علاتها مما يؤدى، إلى حالة من التراجع والتدهور الايديولوجى تقود إلى تفشى معالم الردة الفكرية المعلنة أحيانا والمستترة أو المموهة أحيانا أخرى.

ان نقداً منهجياً صارماً لهذه التلاوين، نقداً يزيل التداخل فى الوان الطيف ويرسم بوضوح التخوم الفاصلة بين الردة والمراجعة الانتقائية من جهة وبين الاستيعاب الحقيقى لمتغيرات العصر من جهة أخرى هو ضرورة تقع فى صميم مهمة «تجديد الماركسية».

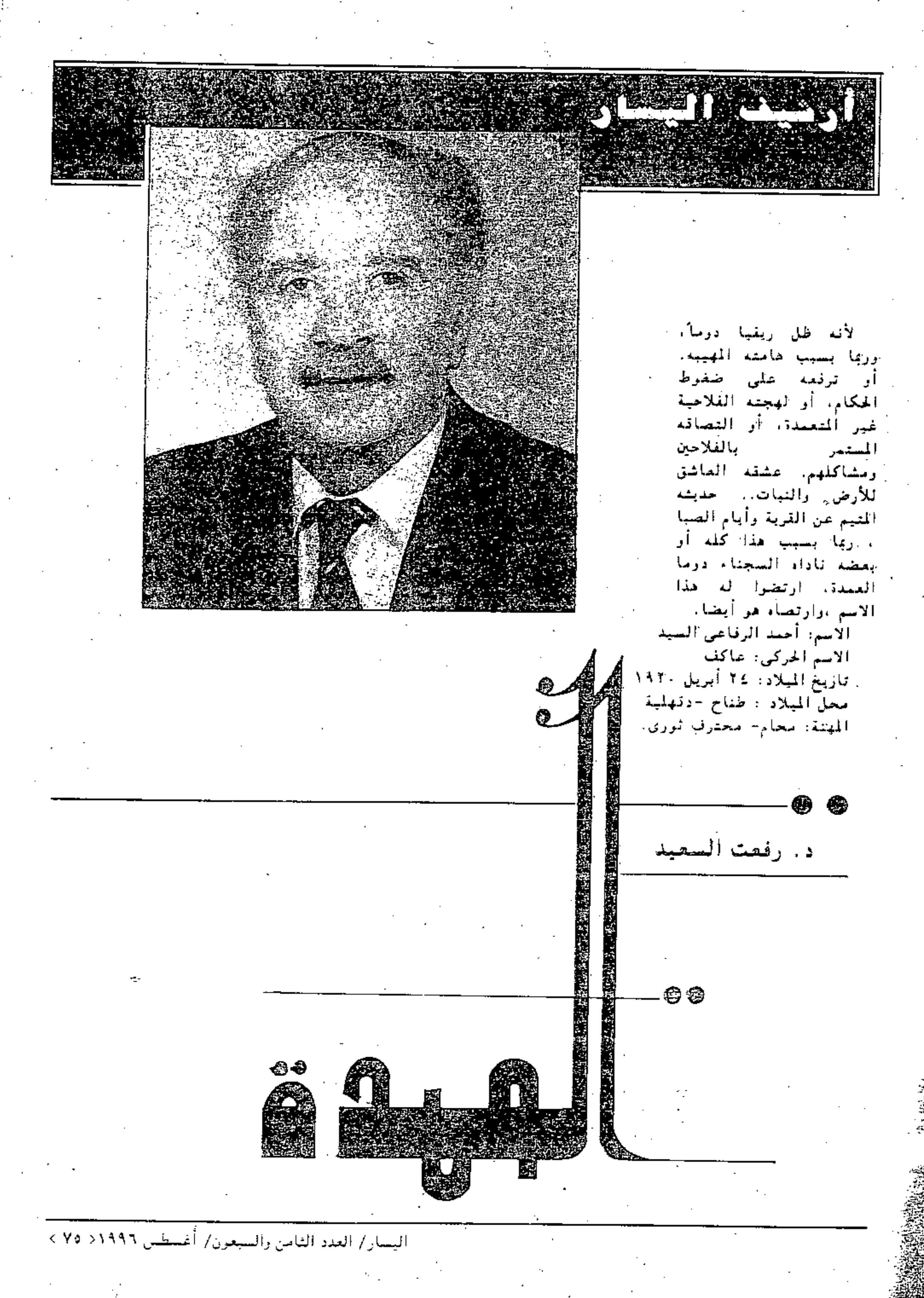
الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطينفى مؤتمرها الوطنى العام الثالث الذى انعقد فى الفترة ما بين ۲۹ أيلول وحتى الثالث من تشرين الأول ١٩٩٤ وضمن الوثيقة النظرية المقدمة حول «الازمة فى الحركة الثورية العالمية واتجاهات التغيير فى عالمنا المعاصر» ركز الرفاق على بنية النزعة الاصلاحية الحديثة الايديولوجية وطروحاتها والتى من شأنها أن تقود للانحراف عن المنهج الماركسى وترى أن منظرى النزعة الاصلاحية الحديثة يختارون مدخلا خاطئاً منهجيا لمعالجة الازمة. قوى اليسار العالمى والتى تعانى اليوم من أزمة عميقة تعصف بجميع مكونات الحركة الثورية العالمية وتنبثق هذه الأزمة من حاجة الحركة إلى ومن تخلفها عن ادارك التحولات العميقة التى تعصف بعالمنا المعاصر واشتقاق النتائج النظرية والعملية المترتبة عليها والتحولات الناجمة عن الانهيار الكارثى الذى آلت إليه العديد من النظم التى قدمت نفسها بصفتها «الاشتراكية المحققة» أو «الاشتراكية القائمة بالفعل» والتغيير العميق فى بنية الرأسمالية المعاصرة والذى يشكل منعطفا جديدا فى مسار تطورها التاريخى وتراجع وتفكك حركات التحرر الوطنى فى بلدان العالم الثالث بفعل تسارع التدهور اليمينى لبورجوازياتها القائدة التى تتعاظم وتتعمق

سماتها الكومبرادورية ويتجدد اندماجها من موقع التبعية في النظام الرأسمالي العالمي.

إن العجز عن ادراك مغزى هذه التحولات واستخلاص النتائج منها على الصعيد النظري وصعيد الممارسة العملية هو السبب في حالة الجمود والمراوحة في المكان والبلبلة الفكرية التي يعاني منها اليسار حتى قبل انهيار المعسكر الاشتراكي العالمي. ويختار منظرو النزعة الاصلاحية الحديثة لمعالجة ازمة اليسار مدخلا خاطئا منهجيا إذ الانطلاق من التساؤل «هل الخلل يكمن في النظرية أم في التطبيق؟» يفترض ضمناً أن النظرية الماركسية هي وصفه جاهزة وإن ما كان يجري في الاتحاد السوفيتي وبلدان شرق أوروبا هو تطبيق لهذه الوصفة وبالتالي فان فشل التطبيق يثير تساؤلات حول صلاحية الوصفة. يتشكل هذا الافتراض عن خلل منهجي آخر يتمثل في مغادرة المنهج المادي الجدلي والانتقال إلى المنهج المثالي في فهم وتفسير التاريخ. فالأخير هو الذي يفترض ان حقائق التاريخ تتبلور أولا في مجال الوعي على شكل افكار أو مبادئ أو نظريات ثم يجري تطبيقها على الواقع الاجتماعي لاعادة تشكيله، والحال إن هذا المفهوم يقع على النقيض من المنهج الماركسي الذي يعتبر أن النظرية ليست عقيدة جامدة بل هي منهج لتحليل وفهم الواقع الاجتماعي ودليل للعمل من أجل تغييره. ورغم أن منظري الاصلاحية الحديثة يكثرون من ترديد الاطروحة الأخيرة ولكنه ترديد لفظي وظيفته الوحيدة تبرير الدعوة إلى اعادة النظر بالماركسية وتنقيحها ولا يجد انعكاسا له في منهجيتهم المعتمدة فعلا في المعالجة النظرية. أن فهم الماركسية باعتبارها منهجاً ودليلاً للعمل يتنافى مع اعتبارها وصفة جاهزة يجري تطبيقها على الواقع الاجتماعي بهدف اعادة تشكيله. فالمنهج الماركسي هو اسلوب لتحليل الواقع الاجتماعي بهدف كشف القوانين الموضوعية لتطوره واستخلاص سبل الممارسة التي تنسجم مع هذه القوانين وتعجل بدفع مسار التطور قدماً وهو ليس مخططاً مفترضا سلفا يجري اسقاطه على الواقع الاجتماعي بهدف اعادة صوغه بصورة إرادية.

والماركسية بكونها نظرية تشكل دليلا للممارسة الهادفة إلى التغيير لا تحتمل من الزاوية المنهجية امكانية الفصل بين النظرية وبين التطبيق . فالخلل في التطبيق يعني ان النظرية لا تؤدي وظيفتها الرئيسية كمرشد للممارسة وهي بذلك تفقد قيمتها الفكرية وفقا لمعاييرها هي بالذات. ولا تجدي محاولة التهرب من هذا المأزق بالقول ان الخلل يكمن في الفهم الخاطئ للنظرية وما يؤدي إليه من أخطاء في التطبيق فهذه المناورة الهروبية التي تجري على مستوى المنطق الشكلي لا تفسر لماذا نشأ هذا الفهم الخاطئ للنظرية وكيف امكن له ان يسود ويفرض نفسه في التطبيق. ان منظري الردة ودعاة الليبرالية المعاصرة يمسكون بهذه الحلقة المفرغة ويعتبرونها دلالة على تناقض متأصل وازمة بنيوية كامنة في الماركسية ذاتها ويقدمونها بذلك تبريرا لادعائهم بسقوط الماركسية ودعوتهم لنبذها . ولا شك أن المنطق المثالي لمنظري الاصلاحية الحديثة يعزز حجتهم . ولكن هذه الحلقة المفرغة ليست سوى دوامة مفتعلة وهمية تنشأ وتتطور على مستوى الفكر المجرد، على مستوى المنطق الشكلي وتجد مصدرها في تهافت وخلل المنهج المثالي لا في ازمة الماركسية نفسها. وكل ما يثبته نشوء هذه الدوامة هو ان الانحراف في الحزازير اللاهوتية حول مصدر الخطيئة الاصلية «هل يكمن في النظرية أم في التطبيق» هو ليس المدخل المنهجي السليم لفهم ازمة الماركسية واستخلاص سبل معالجتها. فهو مدخل يثير من التساؤلات أكثر مما يعطي من الاجوبة لكونه ينطوي على خلل منهجي، يقوم على تبني منظور مثالي غير علمي وغير جدلي في رؤية الازمة. اذا كان المنهج المادي الجدلي هو جوهر الماركسية فانه هو المنهج الذي ينبغي استخدامه في رؤية وتحليل أزمة الماركسية نفسها واستخلاص سبل معالجتها . فالمنهج المادي الجدلي هو الذي يحدد دور النظرية وموقعها ووظيفتها في المسار الواقعي لحركة الطبقة الثورية الطبقة العاملة. واية محاولة لرؤيتها من مدخل كونها نتائج تطور فكري قائم بذاته بمعزل عن المسار الواقعي للحركة وبمعزل عن الشروط التاريخية لتطورها هي محاولة تتنافى مع المنهج المادي الجدلي ولا تقود سوى إلى نتائج مضللة : ان الواقع المتغير هو الذي ينتج الوعي. والاسباب والعوامل التي تحكم مسار تغير الواقع لا ينبغي البحث عنها في التغييرات التي تقع في مجال الوعي بل العكس: ان التطورات التي تقع في مجال الوعي (سواء كانت باتجاه «صحيح» أو «خاطئ» ينبغي البحث عن اسبابها في مسار تغير الواقع لا خارجه. ان تجاهل هذا العنصر الجوهري في منهج الجدل المادي هو الخلل المنهجي الذي يقع فيه اولئك الذين يبحثون عن سبب الازمة في عوامل تنتمي حصراً إلى عالم الوعي (النظرية ، أم الفهم الخاطئ للنظرية ، ام اخطاء التطبيق الخ..).

والحلقة المفرغة التي يقعون فيها تنشأ من كونهم يتجاهلون العنصر الرئيسي الذي ينبغي البحث عن أسباب الازمة فيه: الشروط التاريخية لنشوء وتطور الظاهرة بصفتها ظاهرة اجتماعية مادية. وتلعب النظرية (سواء كانت صحيحة أو خاطئة) دوراً هاماً مؤثرا بلا شك في مسار هذا التطور ولكنها لا تقرره لا تصنعه ولا تشكل فيه العامل الرئيسي المحدد في التحليل الأخير. فالنظرية الصحيحة تكشف عن الضرورات الموضوعية لمسار التطور وقوانينه وترشد بالتالي إلى المهام التي تمكن من دفعه قدماً اما «النظرية الخاطئة» أو «الفهم الخاطئ للنظرية» فهي ليست سوى تعبير عن التناقضات الكامنة في مسار تطور الظاهرة. هي وعي ايديولوجي زائف لهذه التناقضات ينبثق من مصالح شريحة اجتماعية محددة ويقدمها بصفتها هي مصلحة المجتمع كله. ولكي تكون «النظرية الصحيحة» قادرة على أداء وظيفتها في كشف طريق التقدم فان عليها ان تكشف عن الجذر الاجتماعي لهذا الوعي الزائف وان توضح عن مصالح اية قوى اجتماعية تعبر وان تحلل كيف ولماذا نشأت هذه القوى الاجتماعية في سياق الشروط التاريخية الملموسة لمسار تطور الظاهرة بما ينطوي عليه من تناقضات . فقط عبر هذا التحليل يمكن فهم ازمة الحركة العمالية العالمية كما ازمة النظام السوفيتي وسائر نظم «المنظومة الاشتراكية» . وفقط عبر بلورة فهم علمي للأزمة يمكن شحذ وعي الطبقة العاملة لواقعها واستنهاض قواها لتجديد حركتها الثورية واستخلاص سبل الممارسة الهادفة إلى معالجة الازمة.



العمدة

د. رفعت السعيد

لأنه ظل ريفيا دوماً، وربما بسبب هامته المهيبة، أو ترفعه على ضغوط الحكام، أو لهجته الفلاحية غير المتعمدة، أو التصاقه المستمر بالفلاحين ومشاكلهم. عشقه العاشق للأرض، والنبات.. حديثه المتيم عن القرية وأيام الصبا ، .ربما بسبب هذا كله أو بعضه ناداه السجناء دوما العمدة، ارتضوا له هذا الاسم ،وارتضاه هو أيضا.

الاسم: أحمد الرفاعي السيد
الاسم الحركي: عاكف
تاريخ الميلاد: ٢٤ أبريل ١٩٢٠
محل الميلاد : طناح -دقهلية
المهنة: محام- محترف ثوري.

ولأن الحياة خصبة، ويصعب تناولها هكذا دفعة واحدة في بضع صفحات سنكتفي ببضع مساحات .. قد لا تفي.. لكنها تستطيع أن تقدم لنا تصوراً عن أي نوع من الرجال نتحدث.

الفتى ابن فلاح ميسور الحال.. العمودية تراوح مكانها في الاسرة، قد تنتقل من بيت لآخر لكنها تبقى قريبة بين الاقارب.

الأب وفدي . والابن الطفل كان وفديا ليس فقط مثل أبيه وانما مثل القرية كلها التي رآها عام ١٩٣٠ وهي تخرج منتفضة تهتف «**يسقط صدقي**» «**يحيا الدستور**» «**النحاس خليفة سعد**» «**هل هلالك يا نحاس**».

ويتفتح الوجدان الفتى على معارك القرية الصغيرة ضد صدقي باشا ودفاعا عن الدستور أراد صدقي أن يحكم قبضته فأطاح بعمد كثيرين وأتى بعمد ينتمون اليه. كذلك كان الحال في طناح.. لكن العمودية وان ذهبت بعيدا في السياسة فانها تظل قريبة في محيط الاسرة.. العمدة الجديد هو أيضا عمه. كان الوحيد الذي يدافع عن الطاغية صدقي. أتى إلى العمودية ومعه كرباج موجع اسمه «الازعر» ، لكن كرباجه وجموع الغفر لم يستطيعوا اسكات هتافات الفلاحين«هل هلالك يا نحاس»، فاتى العمدة بالهجانة الذين أعلنوا حظر التجول من بعد الغروب وحتى الفجر. الفلاحون وجدوا حيلة لفض حظر التجول . نار تشتعل في ركن من اركان القرية. هنا يتوسل العمدة والهجانة للفلاحين ان يخرجوا من بيوتهم كي يسهموا في إطفاء الحريق.

وتكرر المشهد حتى تلقن العمدة الدرس. ويتلقن هو أيضا دروساً في مقاومة الطغاة، دروس ربما تختلف عما هو مكتوب في الكتب.

العمدة تصله كل يوم حزمة من نسخ جريدة«**الشعب**» لكن الفلاحين يرفضون قراءتها وتظل متراكمة مهملة في الدوار .. جريدة اخرى وفدية كانت تتسلل سراً إلى القرية هي «**الجهاد**» **يتجمع الفلاحون في حلقات حول مأذون القرية الشيخ محمد شمس الدين** ليستمعوا إلى كل حرف فيها. هو ولم يزل في الثامنة من عمره يندس بينهم . ينصت . يتبقى ذلك البيت من الشعر الذي كان يتوج جريدة الجهاد والذي كان عم الشيخ **محمد شمس الدين** يصمم على تلاوته قبل كل قراءة.

قف دون رأيك
في الحياة مجاهداً
ان الحياة عقيدة وجهاد

ويتبقى من ذكريات القرية ذلك الحدث الجلل.. يوم القبض على أبيه. صمم صدقي على إجراء انتخابات مزورة من الألف إلى الياء . أعيان الناحية تحت زعامة أبيه أخذوا صناديق الاصوات المزورة وألقوا بها في الترعة.

** ننتقل سريعا مع الفتى . حتى نصل به إلى مدرسة المنصورة الثانوية حيث تسيد جمعية الخطابة .. وخاض زعامة المدرسة في معاركها ومظاهراتها الوطنية. ومنها إلى كلية الحقوق جامعة فؤاد الأول(القاهرة).. هناك ترتفع درجة الغليان خلال معارك الحرب العالمية الثانية.. كلام كثير عن **هتلر وستالين**، ومعارك **ليننجراد** وصمود **ستالينجراد** وزحف الجيش السوفيتي ليطيح بأحلام النازي.. وعلى طلقات مدافع **ستالينجراد** تتفتح أعين هذا الجيل من الشباب الذي كان وفدياً بالأساس على رؤى جديدة ، وعالم جديد.

كان جرح ٤ فبراير ١٩٤٢ يدمي وفديتهم. رجاءتهم انتصارات السوفيت المهيبة بالبديل.. **تحولت أحلام جيل كامل نحو الماركسية.**

وفي الجامعة التقى بفتى يحمل ذات الطموح هو **مصطفى هيكل** .. وينضم إلى **تنظيم القلعة** . ويصبح شيوعيا ، لكنه يظل وثيق الصلة بالشباب الوفدي الذي اندفع يساراً بفعل ذات المؤثرات وأسس الطليعة الوفدية ،ويظل أحمد الرفاعي معهم.

اشتعل الفتى حماسا مع وهج الفكر الجديد . وعندما عاد إلى **طناح** في الاجازة الصيفية انغمس في أحضان فلاحيها حاملا رايات الفكر الجديد.. **وأصبحت طناح -وربما للمرة الأولى في تاريخ مصر الحديث- قرية حمراء**. تتردد في حواريها وأجرانها همسات الماركسية وتنعقد حلقات الفلاحين هذه المرة لتقرأ جريدة «**الجماهير**» التي كانت تصدر عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني.

وفي عام ١٩٤٩ عندما تشهد المنصورة أول وأكبر حملة قبض على الشيوعيين يكون نصيب طناح مضاعفا ، فقد قبض على العديد من أبنائها وطبعا كان اسم أحمد الرفاعي في المقدمة. لكنه أفلت. عندما قبض عليه استقبله مأمور سجن الأجانب ساخطا«**ما دام حكاية الشيوعية دي وصلت للفلاح ابو رجلين مشققة ، يبقى ما عدش فيه فايدة**».

لقد علقوا في عنقه مسئولية التجاسر بنقل هذا القبس من الضوء إلى ريف مصر.

يفرج عنه مع وصول الوفد إلى الحكم ١٩٥٠. ولا تمضي سوى أيام قليلة حتى يأتيه خبر مفزع . مات الرفيق السوداني **صلاح بشرى** في السجن.

عاش أياما جميلة مع **صلاح بشرى** الذي كان يعاني وهو في السجن من مرض السل، رفضوا تقديم علاج حقيقي له، ورفضوا الإفراج عنه. واستشهد الفتى الغض.وارتبكت الحكومة التي كانت لم تزل تحلم بعلاقات حسنة مع الشعب السوداني .وارتبك القصر الملكي الذي كان ولم يزل يحلم بلقب «**فاروق ملك مصروالسودان**».

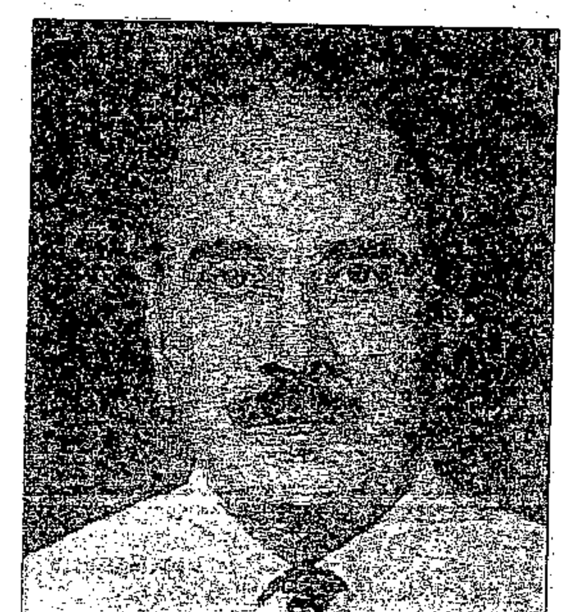
كانت جنازة **صلاح بشرى** مظاهرة صاخبة تدين الحكم وإرهابه. واندفعت الجماهير الغاضبة من الشيوعيين والسودانيين إلى قلب المطار حاملة جثمان الشهيد الذي قرر القصر الملكي ان ينقله إلى عطبره بالسودان بطائرة خاصة. تدافعت الجموع وفرضت إرادتها . وفرضت معها أن يسافر مندوب عن المحتشدين مع الجثمان. والمندوب كان هو..

في الطائرة وجد نفسه مع ارستقراطي أحمر الوجه ضخم الجثة قالوا انه الممثل الشخصي لجلالة الملك أوفده ليحمل التعازي

لأسرة الفقيد. في الطائرة تناول الباشا وسأل الولد: هل تعرف الخطابه . فأجاب الفلاح الماكر «لا» . أتى الباشا بورقة وقلم وأملاه «ان جلالة الفاروق أعز الله ملكه، وحمى عرشه . يعزى شعبه في السودان في وفاة إبنه صلاح».

أعرب الفلاح الماكر عن موافقته. وإذ تهبط الطائرة إلى مطار عطبرة، يفتح بابها ليروا جموعا محتشدة. يدفعه الباشا إلى سلم الطائرة طالبا منه أن يلقي الكلمة التي أعدها له.

تقدم **أحمد الرفاعي** وهتف «**يسقط فاروق قاتل صلاح**» «**يسقط فاروق عدو الشعب**» (إنها المرة الأولى التي يصعد فيها هذا الهتاف علنا». الجماهير السمراء رددت الهتاف بحماس.. وظلت طوال مسيرتها تردده.


أحمد الرفاعي في شبابه

عادت الطائرة في اليوم التالي. الباشا ازداد وجهه احمراراً. وازداد ترفعه ترفعا. أمر ضابط اللاسلكي أن يبلغ مطار القاهرة بضرورة استدعاء البوليس السياسي للقبض على هذا المجرم الذي سب الذات الملكية السامية. ضابط اللاسلكي الذي هزت مشاعره قصة صلاح واستشهاده، وهزت وجدانه المظاهرة السمراء التي نظمها شيوعيو عطبرة.. وهتافات أحمد الرفاعي المدوية، أبلغ الباشا أن جهاز الاتصال اللاسلكي معطل.

عندما وصلت الطائرة. أسرع أحمد ليتصل تلفونيا بالمنزل. قالوا إن رجال البوليس السياسي ينتظرونه ..وهرب من جديد.

***

تأتي ثورة يوليو . يؤيدها بحماس الفلاح الذي يعرف قيمة أن تنتزع الأرض من المالك الكبير لتعطى للفلاح الفقير. لكنه وكل كوادر **حدتو** كانوا يعيشون مأساة فكرية حقة. فهم إزاء حكم يرفض الاستعمار ويعاديه، ويطيح بسلطة القصر الملكي، ويقيم الجمهورية، ويوجه ضرباته للاقطاع ويوزع الارض على الفلاحين . لكنه في ذات الوقت يعادي الديمقراطية، يقتل **خميس والبقرى** بطلي إضراب عمال كفر الدوار، يحل الاحزاب، يفرض حكماً ديكتاتورياً على البلاد.

ويكون الصدام . وتكون المعتقلات من جديد. لكنها هذه المرة معتقلات متوحشة. تعذيب يفوق الخيال، وإرهاب لا يتوقعه أحد من حكومة وطنية..

وذات يوم ينادون اسمه.. لينتقل من سجن بني سويف إلى حيث لا يدري. الحراسة مشددة، طوال الطريق من السجن إلى القطار مشحون بالجند.. الامر إذن خطير .في عربة القطار حيث الحراس يحيطون به في عصبية ظاهرة. أتى شخص لا يعرفه. لكن ضابط الحراسة حياه بحماس . كانا زميلين في كلية الشرطة. جلس الوافد الجديد إلى جواره. انتهز فرصة انشغال ضابط الحراسة وناداه هامساً «**يا رفيق عاكف. انت رايح السجن الحربي**» حاول ان يحتج : مين عاكف، أنا معرفش حد بالاسم ده.. لكن الضابط المدرب واصل: في السجن الحربي رفاق كثيرون **زكي مراد- محمد شطا- يوسف حلمي- أبو بكر حمدي سيف النصر- محمد خليل قاسم- البير أربيه- حليم طوسون- مصطفى كمال صدقي..** تململ الفلاح الماكر قال : لا أعرف أحداً من هؤلاء . صمم الضابط أن يلقنه ما تبقى من معلومات بعض المقبوض عليهم إعترف عليك.. إستعد ، الوضع في السجن الحربي وحش».

في المحطة القادمة استأذن الضيف ونزل.

بعد فترة التقيا معا في السجن.. ليس مسجونا وسجانا وانما مسجونين.

كان الضابط شيوعيا هو **الرفيق يوسف صبري** وكان في ذلك الحين مأمور مركز بوش محافظة بني سويف. فيما بعد عمل صحفيا في روزاليوسف.

الزنزانة فى السجن الحربى مظلمة. لا ترى الجدار ولا الباب الا عندما يفتح . يقذفون رغيفنا وحصوات من الملح صائحين «العشاء» ويغلقون. على يدك ان تتحسس الارض حتى تعثر على الرغيف..

فى الصباح افترش الغرفة بعض ضوء. على باب الزنزانة قرأ «**محمود صبرى . الشهير بصبرى كينج» إرفع يدك إلى السماء وأقرألى الفاتحة**».كان قد قبض عليه وحوكم كجاسوس للانجليز واعدم.

أحمد الرفاعى يعرفه. تواجها معا فى معارك القنال ١٩٥١. أحمد كان يقود كتائب «**الانصار**» التى كونتها حدتو لتخوض بها حرب القناة(١٩٥١) .. **وصبرى كينج** كعميل للانجليز.

قرأ الفاتحة . لكن أفكارا شتى تصارعت فى صدر السجين. كيف يسجن فى ذات الزنزانة التى سجن فيها الجاسوس؟ ولعله سيقدم لذات المحكمة. وينال ذات الحكم.

التعذيب فى السجن الحربى مستمر ومضاعف .. ان تبقى طوال الوقت مكبل اليدين والقدمين، تنام ,وتأكل وتعيش هكذا، اما الضرب فهذا شئ آخر. لكن أشد أنواع التعذيب قسوة كان الارهاب النفسى ذات صباح فتح باب الزنزانة بعنف. أطل ضابط يحمل ورقة. صاح وكأنه لا يخاطب أحداً.

المسجون أحمد الرفاعى السيد . اعدامشنم صاح: علم

وأجاب المسجون: علم

فرد الضابط غاضبا: قل نعم يا أفندم. ثم ناوله ورقة كى يكتب وصيته. رفض. شتمه الضابط لأنه بليد الحس..

استدعوه للتحقيق التهمة' انه أسهم مع غيره من كوادر حدتو فى تأسيس **جبهة وطنية ديمقراطية تضم حدتو- حزب الوفد- الحزب الاشتراكى- بعض ضباط الجيش (مجموعة مصطفى كمال صدقى**»كان البرنامج مطروحا فى منشور قرأه المحقق:

اطلاق الحريات.. حق تكوين الاحزاب الوطنية- الكفاح المسلح لطرد الاستعمار- اسقاط المشاريع الامريكية للمنطقة- إعادة محاكمة خميس والبقرى-تأميم قناة السويس.

فى السجن الحربى كان هناك الاخوان .**الشيخ فرغل** مفتى الإخوان أفتى بأن الشيوعيين رجس وأنه لا يجوز محادثتهم ولا ملامستهم. لكن البعض بدأ الحوار . كانت مشكلة الاخوان: هل أنتم مع **جمال** أم مع **نجيب** . وإذ يجيب الشيوعيون: نحن مع حكم ديمقراطى: تبدو اللغة غير متسقة ويستحيل التفاهم.

***

ثأره مع الحكم قديم.

فعندما بدأت معركة الديمقراطية.. كان الأعلى صوتاً دفاعا عنها. ويعنى هذا أن يكون الأكثر عداءً من وجهة نظر بعض الضباط. وعندما تلاعبت حركة الضباط بالاحزاب السياسية وطالبت بتقديم طلبات تأسيس جديدة، كان ضمن المجموعة التى قدمت طلب تأسيس «**حزب التحرر الوطنى**» الذى دعمت حدتو فكرة تأسيسه وكان من الموقعين على طلب التأسيس **كامل البندارى باشا، يوسف حلمى، حنفى الشريف، زكى مراد ،أحمد الرفاعى.**

قدم الطلب . واتضح القصد. حدتو تريد متنفساً علنيا. صدر قانون حل الاحزاب. وصدر أمر باعتقال الموقعين أفلت أغلبهم . ومنهم أحمد الرفاعى.

الهارب يواصل معركته كمسئول لمنطقة القاهرة. وأحد مسئولى تأسيس الجبهة الوطنية الديمقراطية. الجبهة .. ذلك الحلم القديم المتجدد يوشك أن يتحقق ممثلون للوفد: **أبو بكر حمدى سيف النصر . حنفى الشريف. ابراهيم حسين**. ممثلون للحزب الاشتراكى : **ابراهيم يونس** . ممثل لضباط الجيش.. الخ.

وفى غمار هذه المعركة يتعمق الثأر . يرتب مع الرفاق المعتقلين فى سجن روض الفرج اكبر عملية هروب حدثت فى تاريخ السجون السياسية. الضربه موجهة لعبد الناصر. والثأر ينصب على من التصقت به. وهكذا نال فى السجن الحربى عذابا مضاعفا.

وبعد استبعاده من القضية. ظل معتقلا

لكنه وكل كوادر (حدتو) كانوا يعيشون مأساة فكرية فهم إزاء حكم يرفض الاستعمار ويطيح بالقصر الملكى ويقيم الجمهورية ويوجه ضرباته للاقطاع فى ذات الوقت يعادى الديمقراطية ويقتل خميس والبقرى

حتى عام ١٩٥٦.

** ١٩٥٦ . الميلاد من جديد . أو الميلاد الحقيقي. اللجنة المركزية للحزب كلفته مسئولية قيادة العمل الحزبي لمقاومة الاحتلال في بورسعيد . كانت المبادرة الأولى للمواجهة الشعبية للاحتلال.

وتلمع في الذاكرة الاسماء التي سطعت في سماء نضال بورسعيد ضد الاحتلال **الشيخ عبد السلام الخشان- الضابط منير موافي- ابراهيم داجوج- سعد رحمي -عبد المنعم شتله- فتحي مجاهد- عبد المنعم القصاص- محسن لطفي السيد-وغيرهم..** ثم ضباط من رجال عبد الناصر **عبد الفتاح ابو الفضل- صلاح زعزوع- سمير فريدي..**

واسم أكثر سطوعا من هؤلاء **خالتي أم الضرى** التي انترشت بجسدها الكهل مساحة على حافة البحيرة خدعت الانجليز ومخابراتهم وكانت في عشتها الصغيرة التي يحيط بها عشرات من البط مرصداً ومحطاً للدخول والخروج من بورسعيد.

الحديث عن معركة بورسعيد. المقاومة المسلحة . الحركة الجماهيرية. اصداء «الانتصار» المظاهرات الصاخبة ضد الاحتلال-**العمل المشترك والحميم بين الشيوعيين ورجال عبد الناصر تحت وطأة الاحتلال**. . مثل هذا الحديث يحتاج إلى مجلدات.. ويحتاج من أصحابه إلى مزيد من الكتابة. إنه مجد الشيوعيين المصريين، ومجد مصر كلها. انه الحلم اذ يتجسد نضالا مسلحا وعملا شعبيا صاخبا ضد الاحتلال .. وتحت قيادة الشيوعيين.

فقط واقعة واحدة تبقى لتلح في أن تسجل.. كان **أحمد الرفاعي** ينام في مخبأ سري في بورسعيد. ذات ليلة أتاه ضابط مخابرات مصري ومعه حقيبة مليئة بالاموال. سأل : لماذا ؟ الاجابة : لتصرف منها.

قال لسنا بحاجة إلى أموال من القاهرة فالناس هنا في بورسعيد تعطينا من خبزها ما نريد.

الاجابة كانت كلمة أسف على هذا المجنون الذي يرفض حقيبة متخمة بالمال. بل أسف على مصيره اذا أصر على مواقف كهذه.. رجلا من هذا الصنف لا مكان له. هكذا كانت الاجابة.

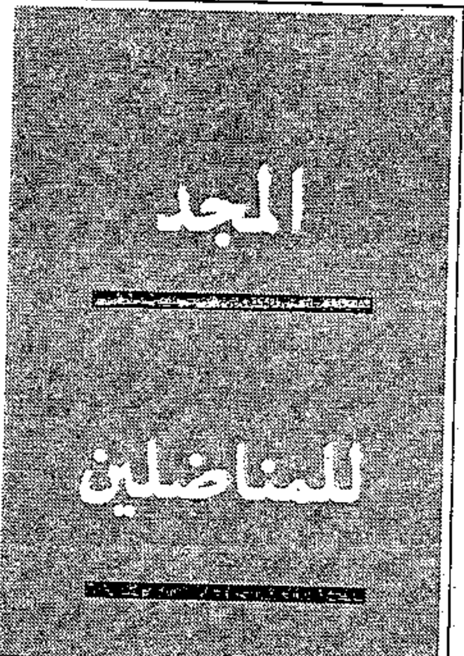
***

والمصير لا يتواتى كثيرا. فما ان يخرج الانجليز. ويسلم الشيوعيون سلاحهم. وتمضى أشهر من المصالحة والخصام.. يكون السجن. ويكون التعذيب . وتكون السجون النازية-**المحاكمة العسكرية والسجن ثماني سنوات.**

وتمضى سنوات السجن.

.. وتمضى سنوات أخرى.. يقضى بعضا منها في عدن ليصبح هناك أيضا- وياللدهشة- عمدة يرمقه الجميع باحترام. ويشده الحنين إلى الأرض.. النبات.

ويعود من جديد فلاحاً يستصلح لمصر بعضا من ترابها لينبت فيه ما يفيد الناس. الناس الذين وهبوه القدرة على التمسك بمحبتهم.. وحبهم هو كل شئ.



تحت شعار «المجد للمناضلين من أجل الوطن والشعب والاشتراكية» تشكلت -مؤخرا- لجنة ديمقراطية لإحياء ذكرى شهداء ومناضلي اليسار المصري. أعلنت اللجنة -من خلال الاحتفالية التي أقامتها يوم ٢٩٩٦/٦/٢٠ لتمجيد ذكرى عدد من المناضلين الذين رحلوا في الشهور الأخيرة وهم صامدون على أرض النضال الوطني والديمقراطي والاشتراكي- عن مستهدفاتها:

١- توثيق أسماء وسير مناضلي اليسار المصري منذ العشرينيات.

٢- إقامة احتفالية سنوية-في موعد دوري -لتمجيد ذكرى هؤلاء المناضلين.

٣- تنظيم الحركة- بكافة الوسائل الاعلامية المتاحة-لاحياء ذكرى المناضلين. (ندوات -كتيبات- أفلام تسجيلية- معارض.. إلخ).

يتولى الزميل عريان نصيف مسئولية أمانة هذه اللجنة ويقوم بمهام سكرتيرتها الاستاذ/ محمد سعيد ، وتضم كلاً من الاساتذة:

خالد حمزة- رمسيس لبيب- زينات العسكري- سيد اسحق- صلاح سليمان- شاهندة مقلد-عادل الضرى- د. فخري لبيب- فرنسيس لبيب- ماهر زكي-مدحت الزاهد- محمد حمام- محمود مدحت- نجاتي عبد المجيد.

و«اليسار» -إذ يسعدها قيام هذه اللجنة واستمراريتها من أجل انجاز مهامها. فنضال اليسار المصري هو محور رئيسي في تاريخ مصر الحديث وفي نضال شعبنا من أجل التحرر الوطني والديمقراطية السياسية والعدالة الاجتماعية- فانها تفتح صفحاتها وتضع كل إمكاناتها أمام اللجنة بما يمكنها من إنجاز مستهدفاتها.

على هاتين الصفحتين نعرف القارئ بأحدث ما تصدره المطابع العربية من عناوين.. لنختار منها ما يضيف إلي مكتبته، أو يحاول قراءتها في الكتبخانة العمومية.. ونلفت نظر الناشرين العرب الذين يرسلون إلينا باصداراتهم إلى أهمية ذكر أثمان بيع الكتب، ليكون القارئ على نور قبل الشراء.

صلاح عيسى

□ الكتاب: عواصف الحرب.. وعواصف السلام.

□ الناشر: دار الشروق - القاهرة

□ ٥٢٨ صفحة / قطع كبير / ٣٠ جنيها مصريا.

بعد الجزء الأول من ثلاثية «المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل» الذي تناول فيه «محمد حسنين هيكل» ما جرى من مفاوضات سرية، قبل إعلان دولة إسرائيل، يتناول «هيكل» في هذا الجزء الثاني، المرحلة بين حرب ١٩٤٨ وتوقيع معاهدة السلام المصرية / الاسرائيلية في مارس ١٩٧٩.

فيجيب عن سؤالين محوريين هما : لماذا لم يفاوض عبد الناصر؟.. وكيف فاوض السادات؟.. ويخصص معظم صفحات الكتاب لتحليل العوامل الشخصية والسياسية التي دفعت السادات للخروج على المحرمات العربية، والقيام بزيارة إسرائيل، كما يحلل اسلوبه في التفاوض، الذي كان لابد وأن ينتهي إلى ما انتهى إليه، بسبب خلل الفكرة التي انطلق منها، بأن اساس الصراع سيكلوجي وانفراده بتقرير كل ما يتعلق بالمفاوضات، وشهوة التنازلات التي جعلته يفرط في أوراق الضغط التي يملكها واحدة بعد الأخرى.

□ الكتاب: الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية.

□ المؤلف : رجاء جارودي.

□ الناشر: دار الغد العربي القاهرة.

□ ٢٢٨ صفحة/ قطع صغير/ ٤ جنيهات.

ترجمة - لم يذكر صاحبها اسمه عليها - لكتاب المفكر الفرنسي «رجاء جارودي» الذي يستكمل به ثلاثية خصصها لمقاومة الأفكار المتزمتة لدى أتباع الاديان السماوية الثلاثة، التي تتخذ من الدين أداة للسياسة وبعد كتابه «عظمة الاسلام وانحطاطه» .. الذي أعلن فيه أن «التطرف الديني هو مرض الاسلام» وبعد كتابه «نحو حرب بين الاديان» الذي أعلن فيه أن «مسيح بولس ليس هو المسيح عيسى»، يأتي هذا الكتاب الذي يخصصه لفضح الأساطير اللاهوتية التي استندت إليها الحركة الصهيونية منذ نشأتها، لكي تضفي على هدف استعمار فلسطين، مشروعية دينية، وتجعله تحقيقا لوعد الرب، كما يفضح الأساطير التاريخية والسياسية، التي روجتها الحركة الصهيونية بعد ذلك، حول عدائها للنازية والأكاذيب التي أذاعتها حول حرق ستة ملايين يهودي في أفران الغاز النازية، لتواصل تنفيذ خطتها لاحتلال فلسطين، بعد الحرب الثانية، بينما الرأي العام العالمي يعاني مشاعر الاحساس بالذنب، بسبب أسطورة أفران الغاز.

□ الكتاب: العمال والحركة السياسية في مصر (الوطنية الشيوعية- الاسلامية) الجزء الثاني.

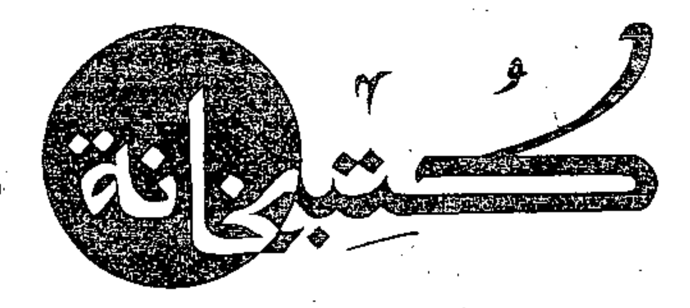
□ المؤلفان: جويل بنين وزكاي لوكمان. ترجمة : إيمان حمدي وعصمت صلاح الدين. تقديم : أحمد صادق سعد.

□ الناشر: مركز البحوث العربية ودار الخدمات النقابية والعمالية- القاهرة.

□ ٣٠٤ صفحة / قطع كبير.

ألف هذا الكتاب باحثان أمريكيان شابان، حرصا على أن يؤكدا في المقدمة التي كتباها للترجمة العربية، أنهما يختلفان عن غيرهما من الباحثين الأمريكيين الذين تدفقوا على مصر منذ كامب ديفيد لجمع معلومات استخدم بعضها في أغراض غير علمية.. وهو ما أكده المفكر الراحل أحمد صادق سعد، الذي أعتبر كتابهما اضافة هامة لدراسات تاريخ الطبقة العاملة المصرية، تتميز بالترتيب الجيد من حيث المعلومات . وبالنزاهة والرصانة من حيث منهج المعالجة، فاختاره لترجمته بنفسه، ونشر الجزء الأول منه عام ١٩٩٢، ثم رحل قبل أن يقوم بترجمة الجزء الثاني. فاستكمله تلاميذه..

ويتضمن هذا الجزء تاريخ الطبقة العاملة المصرية بين عامي ١٩٤٢ - وهو تاريخ الاعتراف القانوني بالنقابات- و١٩٥٤ التي دعمت فيها نقابة عمال النقل المشترك بقاء الضباط الاحرار بقيادة عبد الناصر في السلطة. ويستعرض علاقتها بالحركات السياسية البازغة آنذاك، وهي الشيوعيون والاخوان المسلمون والوطنيون.. وقد أضاف إليها الناشر، فصلاً كان أحد المؤلفين قد كتبه يمتد بالمرحلة التي يعالجها الكتاب إلى عام ١٩٦١.



□ الكتاب: النوافذ المفتوحة / الجزء الثاني.
□ المؤلف : د. شريف حتاتة.
□ الناشر: دار الثقافة الجديدة- القاهرة.
□ ٤٣٢ صفحة/ قطع كبير/ ٢٠ جنيها.

بأسلوب أدبي رفيع ، كما يليق بروائي ، يواصل الدكتور شريف حتاتة رواية سيرته الذاتية، التي تناول الجزء الأول منها (صدر عن مكتبة مدبولي ١٩٩٣)- ذكريات السنوات التي كان فيها واحدا من أبرز قيادات الحركة الشيوعية المصرية في طورها الثاني ، الذي بدأ في الأربعينيات، فيطل من خلالها على التركيبة السياسية والاجتماعية لمصر بين الاربعينيات ونهاية الستينيات، وعلى النماذج البشرية النادرة، التي افرزتها تلك السنوات الغريبة، من خلال أسلوب ، يأخذ من الأدب اهتمامه بالتفاصيل ،ومن علم النفس اعتماده لتيار الوعي، ومن علم التاريخ وعلم السياسة غرامهما بالتجريد، ويطل على الماضي من خلال خبرة الحاضر، فيضيف إلى الأدب وإلى التاريخ ، كتاباً بالغ الأهمية ، سوف يحفر اسمه بين عناوين كتب السيرة الذاتية ، النادرة في أدبنا العربي.

□ الكتاب: مذكرات سعد زغلول.
□ تحقيق: د. عبد العظيم رمضان.
□ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.
□ ٣٠٠ صفحة/ قطع كبير/ ٦٧٥ قرشا.

تعتبر «مذكرات سعد زغلول» واحدة من أهم مصادر التاريخ للفترة بين ١٩٠٧ و ١٩٢٦ ليس فقط لأن صاحبها قد شغل خلال هذه الفترة ، مراكز سياسية بالغة الأهمية ، وزيرا ووكيلا للجمعية التشريعية وزعيما لثورة ١٩١٩، ورئيسا للوزراء ، ولكن كذلك لأنه كان يكتبها بشكل يومي، فنجت من الاثار السلبية ، التي تلحق بالمذكرات، حين تكتب بعد مرور سنوات طويلة على الوقائع التي تضمها، فيلحقها النسيان، أو تدركها الرغبة البشرية الطبيعية في تبرير الأخطاء ، أو الحط من شأن الأخوة الذين أصبحوا اعداء.

ولأن سعد كان يكتب يومياته لنفسه، ولا يفكر أثناء كتابتها في نشرها، فقد حفلت بدرجة عالية من الصدق في رواية الأحداث، وفي تسجيل الأفكار، والاعتراف بالأخطاء، بل والخطايا.

ويتضمن هذا الجزء يوميات سعد عن السنة الحاسمة- أكتوبر- ١٩١٧ / نوفمبر ١٩١٨- في حياته السياسية، التي انتهت بالتفكير في تشكيل الوفد، ثم باختياره رئيسا له، ومهدت الطريق نحو زعامته للحركة الوطنية.

□ الكتاب : الارهابيون قادمون(١٩٢٨- ١٩٩٤).
□ المؤلف: هشام مبارك.
□ الناشر: مركز المحروسة للنشر- كتاب المحروسة/ القاهرة.
□ ٤٦٥ صفحة/ قطع كبير/ ٢٥ جنيها.

يختار هذا الكتاب ، محوراً له، المقارنة بين موقف الاخوان المسلمين ، من مشروعية استخدام العنف، لاقامة الدولة الاسلامية، وموقف اثنتين من الجماعات الجهادية، هما الجماعة الاسلامية وتنظيم الجهاد الاسلامي، ويخصص الجزء الأعظم منه للقسم الذي لم يحظ بالاهتمام الواجب في تاريخ حركة الاسلام السياسي، وهو التطورات التي لحقت بها منذ بداية السبعينيات حتى الآن من حيث الرؤية، وخاصة الموقف من ممارسة العنف،ومن حيث التنظيم والحركة ولعله أول دراسة تستند إلى عدد كبير من الوثائق الفكرية والسياسية التي يتداولها أعضاء الجماعات الأصولية، أو يصدرونها تعبيرا عن مواقفهم السياسية والاجتماعية ، فضلا عن لقاءات خاصة اجراها صاحبها مع بعض عناصرهم القيادية وجولات ميدانية في مناطق نفوذهم الجماهيرية وهي أدوات من البحث لا تستخدم إلا نادرا في مثل هذا النوع من الدراسات.

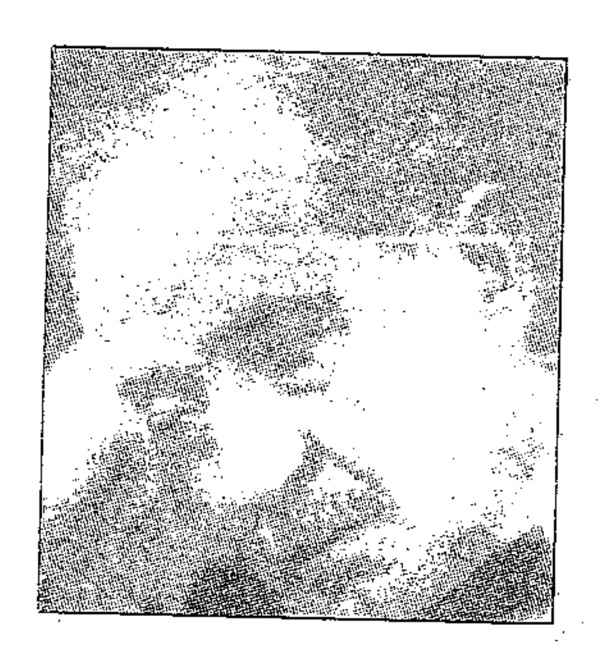


أمريكا تقطع يده قائلا:

أنت تنتهك حقوق الانسان
بتقديمك المساعدة لكوبا



(الست هدى) عايدة عبد العزيز ومنى قطان



مسرح

لا مؤاخذة يا جناب الأمير

عبلة الرويني

لابد وأن تصيبك البهجة والدهشة معاً، وأنت تشاهد مسرحية أمير الشعراء **أحمد شوقي (الست هدى)** على المسرح القومي برؤية فنية مجنونة للمخرج سمير العصفوري!.

بهجة تحققها عناصر الفرجة الممتعة، ودهشة تصنعها القدرة على الابتكار وكسر التوقعات الجمالية بخيال جامح يحمل توقيع وخصوصية صاحبه سمير العصفوري!!.

وبرغم أن هذه هي المرة الخامسة التي يقدم فيها المسرح القومي (الست هدى)- قدمها المخرج **زكي طليمات** عام ١٩٤٠، وعام ١٩٤٨، وقدمها **فتوح نشاطي** عام ١٩٥٠ **ثم كمال حسين** عام ١٩٦٢- فإن رؤية العصفوري الجديدة والمعاصرة تضعنا أمام درس جمالي عميق في التعامل مع كلاسيكيات المسرح وريبرتواره.

يبدأ العصفوري بافتتاحية غنائية **لمدحت صالح** (تقوم بها حالياً **سهير طه حسين** بعد اعتذار مدحت صالح) هي مدخل إلى الرؤية المسرحية الجديدة، حيث يعارض الشاعر **جمال بخيت** أغنية شوقي الشهيرة **(في الليل لما خلي)** مؤكدا انه**(لامؤاخذة ياجناب الاميرـ.** عمر ما كان الليل خلي).. هي الرؤية المضادة والقراءة المختلفة التي تسمح باعادة اكتشاف رموز وشخصيات النص المسرحي.

يعيد العصفوري ترتيب مشاهد النص حيث يبدأ من مشهد قصير يقع في أربع صفحات بالفصل الثالث والأخير الذي كتبه أحمد شوقي وهو جنازة الست هدى وانتظار زوجها العاشر للميراث ثم اكتشافه لضياع الثروة التي قامت الست هدى بتوزيعها على الجيران والمؤسسات الخيرية.

بداية تسمح بالاكتشاف والتأمل، ففي مساحات للفرجة والارتجال يتم تقديم شخصيات المسرحية وتأمل مصيرها ومغزى الحكاية **.فالست هدى الثرية تتزوج من تسعة رجال كل منهم يطمع في ثروتها وكل منهم مات قبل حصوله عليها،** بينما تصرّ هي في كل حكاية عن زواجها، أنها تزوجت وكان عمرها عشرين عاما.. أنه الربيع الذي لم يدرك جماله أحد.

حكاية بسيطة تدور في الاجواء التاريخية لعام ١٨٩٠ (القرن التاسع عشر) أراد خلالها شوقي بصورة هزلية تأمل الاحوال الاجتماعية التي أسلم خرابها إلى يومنا هذا.

وهي بداية تقبل أن تسمح بالفرجة والاستمتاع بتلك الكوميديا الموسيقية تسمح بتأمل دلالات تلك الانماط الاجتماعية.. **الموظف البهلوان ،رجل الدين المزيف والمدعي، خواء المعكسر، وانكسار المعارك والهزائم المتتالية.**

وفي القراءة الواعية لدلالة الشخصية ورموزها.وفي هامش الارتجال المتروك بحرية مبدعة للممثل وفي الاشكال التعبيرية المتنوعة للفرجة يقدم العصفوري رؤيته المسرحية التي لا يفسرها سوى طموحه لان يكون العمل راهنا أي فعالاً ، يفتح نوافذ تأثير جديدة على جمهور الحاضرين الان.

هو الدرس الجمالي العميق الذي يقدمه العصفوري للتعامل مع التراث المسرحي.. وهو في كل أعماله المسرحية كان حريصا على تأكيد هذا الدرس وحسم الصراع لحسابه كمؤلف للعرض المسرحي.. إنه يرفض أن يسقط رأسه مقنعاً عن التفكير من أجل تقديم النص في صورته الأولى وفي كل تمامه وإبداعه الاول.. يرفض أن يكون عرضه


احمد عقل


احمد حلاوة


رضا الجمال


رضا ادريس



رشدى الشامى



على سعد

المسرحى مكاناً لحنث ويعث التراث مؤكدا فيه العميق والحقيقى للمسرح كرؤية مبتكرة تجاوز عصرها وتضيف إلى ما قبلها جماليات جديدة .تشرط المسرح الرؤية، والرؤية الراهنة، وشرط المسرح ايضا البحث والاجتهاد ودرسه الجمالى الهام. فى (الست هدى) يحدد العصفورى دوره بوضوح:

«ستظل علاقة صناع العرض المسرحى- اعنى اسطوات الحرفه المسرحية- بامراء الابداع الادبى- أعنى الكتاب والنقاد فى حالة توتر وتحفز..

فالمبدعون الكتبة يأخذون على الاسطوات عبورهم لحدود الترجمة والنقل إلى أبواب الابداع، والخلق والتفسير وكأن «الاسطوات» ليسوا الا مجرد صناع يدويون فى مملكة الابداع وليسوا مبدعين لهم عالم ورؤية وهم ومعرفة وثقافة وجنون واحلام وعلاقة لا شك فيها بفن المسرح ولقد تحركت كوكبة المخرجين لتؤكد ازدواجية **الرؤية الابداعية بين ما هو نص مكتوب وعرض حى ملموس وبقدر الثنائية المخلصة لوجه الفن والناس ، يأتى هذا الازدواج** والزواج بين الادب والصناعة ، بين **الكلمة والنغمة واللوحة والرقصة .. أنه الجسد الذى تلبسه روح الشاعر وتظل روح الشاعر تحتاج** لجسد لكى تعود إلى الحياة.. ولعل شوقى يشكرنى، ولعله يلعننى لكنه جدى العظيم».

ومعارضة موسيقية

والست هدى هى سادس مسرحيات **أحمد شوقى** الشعرية التى بدأها عام ١٩٢٧ بمسرحية (**مصرع كليوباترا**) واعتبر بها مؤسس المسرح الشعرى العربى. وهى أول مسرحية كوميدية شعبية تقع أحداثها فى حوارى حى **السيدة زينب** الشعبى بينما كانت مسرحيات شوقى الشعرية السابقة (**مجنون ليلى، على بك الكبير، قمبير، عنترة، أميرة الاندلس، مصرع كليوباترا**) مآسى تراجيدية من التاريخ الاسطورى والواقعى.

وفى **الست هدى** يحافظ العصفورى على تلك الصورة الكاريكاتيرية داخل النص مواصلا جملته الجملية الساخرة، متحديا كل الاشكال التقليدية والجمالية المتوقعة.. هكذا يقدم موت الازواج التسعة واحداً بعد الاخر بطرق مختلفة واساليب مبتكرة ودالة.. فالزوج الموظف يقوم بالتوقيع على دفتر أحوال (سركى) لاعتماد موته فى اشارة إلى بيروقراطية تلاحقنا حتى الموت.. والزوج الضابط يؤدى له الموتى التحية العسكرية بطريقة ساخرة ،والزوج السكير يستقبلونه بزجاجات الخمر وحالة من السكر والغياب.

ويؤكد التصور الموسيقى للمبدع **على سعد** تلك الرؤية الساخرة فى دعوة إلى التفكير والابتكار بحرية بعيداً عن كل متحفية موسيقية تقليدية وبعيدا عن تلك القوالب السيمترية المحكومة والمنظمة فيقدم بصورة ساخرة معارضة كاريكاتيرية للاوبرا التقليدية وكافة الالوان الموسيقية الزخرفية والمبالغة فى فخامتها، ويبدو ذكاء الملحن فى قدرته على توظيف أصوات الممثلين على المسرح بما يتناسب ومساحات صوت كل منهم فى أداء فنى صحيح وجميل تألقت خلاله اصوات **رضا الجمال ، ايهاب صبحى، أحمد حلاوة، رضا ادريس**.

ومع العصفورى يعرف الممثل الكوميدى كيف يفجر امكانياته وطاقاته المبدعة، فالارتجال كصيغة جمالية فى جملة العصفورى الاخراجية وكمساحة مفتوحة لابداع الممثل على الشخصية تمنح الممثل الموهوب فرصة لاطلاق حرية خياله المبدع.. هكذا تتأكد إمكانيات **أحمد حلاوة** الحركية الرشيقة والكوميدية المبدعة.. ويتألق **أحمد عقل** بتلقائية وعفوية وحضور لافت.. أما **الست هدى (عايدة عبد العزيز) فهى سيدة الحضور المسرحى دقة فى اللغة الفصحى وسلاسة فى ادائها. حس كوميدى وقدرة تعبيرية تحتل المسرح باكمله.**

بطة وسكينة ونوال..

فن

فيلم يا دنيا يا غرامي لمجدى أحمد على إعادة اكتشاف الواقع والواقعية



حالة من النشوة والفرح، تلك التي سيطرت على القطاع الأكبر من شاهدوا فيلم «يا دنيا يا غرامي» مع بداية عروضه الخاصة الأولى. وبقدر ما يحتاج الفيلم ويستحق جهداً كبيراً من التأمل ، للكشف عن منابع الجمال العديدة فيه، وإن كان لا يخلو في القليل من لحظاته من بعض الوهن، فإن ما يستدعي قدراً أكبر من التأمل والتحليل هو رد فعل المثقفين تجاهه، لأن ذلك سوف يكشف عن جانب مهم من واقعنا الراهن في الصناعة السينمائية أو الحياة على السواء ، فقد وضع فيلم «يا دنيا يا غرامي» يده الرقيقة مواسياً وآسياً على بعض جروحنا ، لكنه ظل يدعونا بقوة إلى خوض غمار الحياة، رغم كل الجروح والآلام.

كان ذلك المزيج الفريد من التشاؤم والتفاؤل، والألم والبهجة، هو ما يميز فيلم «**يا دنيا يا غرامى**»، فهو لا يتخلى لحظة واحدة عن الجرأة فى فضح الزيف الذى يضفى على الواقع جمالاً مصنوعاً أو مصطنعاً، لكنه لا يكتفى بعرض الجانب القبيح وإنما يكشف أيضاً عن الجمال الحقيقى الذى لا تخلو منه حياتنا، كما أنه قد يجعلك تشعر بالقلق والتوتر من أن الواقع ليس مستقراً ساكناً كما يبدو للوهلة الأولى على السطح، وإنما تمور أعماقه بعوامل الاضطراب أو حتى التدمير، لكن الفيلم لا يتركك أيضاً إلا بعد أن يشير إلى أن قوة الحياة لدينا أقوى دائماً من قوى الموت، أو هكذا ينبغى أن تكون.

أجمل ما فى فيلم «**يا دنيا يا غرامى**» إذن هو التشاؤم الحميم للواقعية بأبسط وأصدق معانيها، بينما جاء ميلاده خلال فترة تسود فيها الأفلام التى تهرب من الواقع، أو الأفلام التى تزعم مواجهته وإن كان ما تفعله هو أن تتلاعب به وتستغله استغلالاً، لذلك فإن ترحيب أغلب المثقفين بالفيلم يعيدنا إلى تلك الحقيقة التى ننساها أو نتناساها، وهى أننا نحتاج حقاً فى ظل ظروفنا الراهنة إلى إعادة اكتشاف «**الواقعية**» فى الفن، لأنها هى التى تلمس بصدق أوتاراً عميقة فى وجداننا، وتهز مشاعرنا، وتثير أفكارنا، بعيداً عن كل «**البهلوانيات**» الفنية والسينمائية التى تصبح ترفاً يمارسه بعض صناع الأفلام عندنا بحثاً عن إثبات الذات النرجسية، أو تحقيق الربح التجارى، وربما أيضاً اللعب على كل الحبال فى السعى إلى تحقيق هذين الهدفين المتناقضين معاً.

يقدم فيلم «يا دنيا يا **غرامى**» إجابته البسيطة الخاصة عن السؤال المحير الذى يقض مضاجعنا، حول **علاقة المثقف بالواقع المعقد المتشابك**: هل يعطى له ظهره ويولى الأدبار ويرفع شعار الاستسلام لتغيراته التى باتت عصية على الفهم، إلا بعد بذل جهد فائق لا يملكه أو يطيقه كثيرون؟ أم يغمض المثقف عينه عن هذا الواقع ويترك لخياله الفنان فى أن يرى الواقع من خلال مفاهيم مسبقة، قاطعة مانعة؟ أم يكتفى بتأمله من وراء زجاج ملون سميك، فيرى من الواقع بعض ظلاله وأشباحه لكنه لا يشعر أبداً بحرارته؟ أم يعلن حرباً شعواء على «**الواقعية**» تحت اسم التمرد الفنى، لأنه فى الحقيقة يشعر بالعجز عن التفاعل مع «الواقع»؟!

ليست تلك مجرد مشكلة جمالية خالصة، تتعلق باختيار موقف وأسلوب [illegible] من المادة التى يسعى الفنان للتعامل معها، وإنما هى- بالمعنى الأرحب للكلمة- مشكلة «سياسية»، **إذ أنها تتعلق بنوع «العلاقة» بين الفنان والعالم الذى يعيش فيه**، سواء كان هذا العالم هو الواقع الذى يستمد منه موضوعاته، أو كان هو الجمهور الذى سوف يتوجه إليه فى النهاية بعمله الفنى. وإذا كنا نعلن انحيازاً- لا نتبرأ أو نخجل منه- للواقعية، التى يقول لك البعض إن الزمن قد عفى عليها، وأصبحت أثراً من آثار الماضى، فإننا نؤكد من جانب آخر أن الواقعية التى نقصدها ليست «شكلاً» فنياً أو قالباً جاهزاً، وليست حتى «أسلوباً» يمكنك أن تلخص ملامحه فى بعض «**الوصفات**» حتى تستطيع أن تحقق فناً واقعياً، وإنما الواقعية التى نعنيها هى العلاقة الحميمة (على المستوى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى، بل الوجودى أيضاً) بين الفنان والواقع، حتى أننا نؤكد على أن كل المدارس الفنية هى واقعية بمعنى من

الواقعية ليست مشكلة جمالية بل مشكلة سياسية تتعلق بنوع الصلة بين الفنان والعالم الذى يعيش فيه

المعاني. وأن أكثر الفنون تجريداً وابتعاداً في مادتها عن الواقع المادي لا تنكر أو تنفي وجود العلاقة الحميمة بين الفنان وواقعه. وإنك لا تستطيع أن تتذوق موسيقى **بيتهوفن** إلا إذا أدركت أن اهتمامه القوي بالايقاع ورغبته في بث مشاعره الوجدانية الخاصة داخل الموسيقى البحتة (التي كانت من قبله تميل إلى نوع من الحياد والجمال المتأنق)، وضرورة تمرده على المسار الموسيقي الصارم السابق عليه، كان ذلك **جميعه نتاجاً لعلاقة حميمة بين الفنان وعصره، وإيمانه بمبادئ الثورة الفرنسية، وخيبة أمله في تحقيق حرية الانسان وذاتيته في ظل رأسمالية بلا قلب أو مشاعر**. كما أنك لن تستطيع اقترابا متأملاً من أفلام إيزنشتين ببنائها الصارم المعقد، وإعادتها لتشكيل الواقع من جديد، إلا إذا وضعت في الاعتبار أنه كان يؤمن إيمانا حقيقيا وعميقاً بالمادية الجدلية، وقدرتها على تفجير كل الطاقات الكامنة في الابداع الفردي والجماعي، ومساهمتها ليس فقط في تصوير الواقع، وإنما أيضا في بناء واقع جديد. وربما عندئذ سوف تفهم لماذا توقف هذا الفنان عن الإبداع في الفترة الستالينية.

الواقعية والحياة

كان **بيتهوفن وأيزنشتين** - في مجاله الفني وعصره التاريخي- واقعياً بالمعنى الأعمق للواقعية، بل هكذا كان **شكسبير** منذ أربعة قرون كما كان **بريخت** منذ أربعة عقود، وكانت عبقرية هؤلاء -وغيرهم- واقعية لنهم تنبع من علاقتهم الحميمة بالواقع- كل الأعمال الفنية إذن هي واقعية في جوهرها، وإن اختلفت وتباينت درجات ونوعيات «واقعياتها» (فليس هناك في الحقيقة «واقعية» واحدة). ويمكنك أن تتلمس فيها جميعها إذا ما كانت علاقة الفنان بالواقع هي علاقة جدلية، حية بالتأثر والتأثير، أم أنها علاقة مبتورة، تسير دائما في اتجاه واحد، إما أن يصبح الفنان فيها عبداً ذليلاً لسطح الواقع فيكتفي بتسجيل ملامحه على نحو «فوتوغرافي»، أو أنه يقع أسيراً في وهم مفاهيمه الذاتية الخاصة عن الواقع.

لسنا إذن بأي حال من الأحوال داعين لأي شكل واقعي نموذجي، إن كان مثل هذا الشكل وجود، وإنما نحن ندعو إلى أن يتمتع الفنان بقدر عميق من الرؤية الجمالية والسياسية الصحيحة لواقعه، وإذا كنا نقول أن تلك الرؤية هي التي تتبنى منهجا جدليا، فليس هذا أبدا دعوة لمذهب سياسي بعينه (فلم يكن بلزاك ماركسيا، كما أن كثيراً من الأعمال الفنية الرديئة كانت تحتمي خلف دعاوى زائفة بالماركسية) وإنما نؤكد على الرغبة في اقامة علاقة «صحية» وحية بين الفنان والعالم، أو بين الذات والموضوع، فمثل تلك العلاقة هي الضمان لأن يبقى الفنان وأعماله الفنية متمتعين بالقوة الدافعة للحياة، تلك الحياة التي تستمد معنى وجودها من الشهيق والزفير، والأخذ والعطاء، والتأثر والتأثير، حين تملئ رئتاك ووجدانك بالحياة، ثم تعيد إلى الحياة زفراتك وأفكارك، فالتوقف عند أي منهما لن يؤدي إلا إلى الموت.

أقول: إن فيلم **«يا دنيا يا غرامي»** جاء مثالا مجسداً على واحد من المواقف الصحيحة والصحية من الواقع والواقعية، وهو بالتأكيد لا يقف وحده في هذا المجال داخل صناعة السينما المصرية، لكنه يقف إلى جوار تجارب سينمائية ناضجة، تأخذ كل منها مسارا وأسلوباً مختلفين، بين واقعية محمد خان التي تحتضن الطبقة المتوسطة وكل العناصر البصرية والسمعية التي تنتمي إليها (الشوارع والبيوت، والأغنيات والذكريات)، وواقعية **داود عبد السيد** «الأوبرالية» - باستخدام مصطلح **فيسكونتي** عن السينما الواقعية التي قدمها، وسار فيها على دربه الأخوان تافياني- في ذلك الانصهار -الرائق والراقي بين تناول العالم الواقعي بكل تفاصيله الدقيقة، وعناصر البناء الدرامي والتكوين البصري والموسيقى، وواقعية **عاطف الطيب** التي تبحث عن الميلودراما في قلب الحياة وعن الحياة في قلب الميلودراما، وواقعية **رضوان الكاشف** الباحثة دوماً عن السر الكامن في جمال وسحر الشخصية المصرية، التي يقع البعض منا تحت دعوى النقد الذاتي في نفي جمالها والبحث عن سلبياتها، وأخيراً يأتي المخرج **مجدي أحمد علي** وكاتب السيناريو **محمد حلمي هلال**، ليضعا لبنة جديدة في صرح الواقعية السينمائية المصرية، أو كأنهما يضيفان قطعة جديدة إلى الفسيفساء الحائطية الهائلة، التي تؤكد لك موقف الفنانين الجاد تجاه الواقع ورغبتهم في المساهمة في صنع واقع أكثر جمالاً وعدلاً.

النهايات بدايات جديدة

قد يبدو للوهلة الأولى غريباً أن يهتم هؤلاء السينمائيون على نحو خاص بما أسماه البعض **«طبقة الهامشيين»**، وهو مصطلح خاطئ شائع على بعض الألسنة والأقلام -مثله في ذلك مثل **«الفانتازيا»** -في محاولة لإضفاء الجدية والعمق على الكتابات الانطباعية الخفيفة تارة وتارة أخرى بسبب الميل الفطري لدى البعض لاستعارة المصطلحات المنقولة من الكتابات الأجنبية، وإن كانت الحقيقة أن هذا المصطلح أو ذاك لا يجعلنا أكثر اقترابا من تذوق وفهم تيارات السينما المصرية المعاصرة، التي هي بحق أكثر عمقا بكثير من أن نضعها تحت أسماء وعناوين مستعارة قد لا تعني بالنسبة لواقعنا أو تجاربنا السينمائية عنصرا جوهرياً أصيلاً. فإذا كانت السينما في بعض بلاد الغرب تتحدث أحياناً عن فئات الهامشيين- مثل الغجر- بقدر كبير من الفولكلورية التي تبحث في الواقع عما هو غريب عجيب، فكأنها تقف على حافة تنفصل وتتصل بين الواقع والخيال، وإذا مالت السينما الغربية في أحيان أخرى إلى السريالية، تحت عنوان فضفاض يحمل اسم **«الفانتازيا»**، فإن السينما المصرية المعاصرة- وحتى بعض أفلامنا القديمة- لا تحتاج إلى أن تسير في ركاب مثل هذه السينما أو تلك، فتراثنا الفني والأدبي كله يعتمد على نوع من الخيال أقدر على الوصول إلى كبد الحقيقة والواقع، بل إن واقعنا نفسه قد يصبح أحيانا تجسيداً من لحم ودم لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الخيال من شطط أو جموح، كما أن «الهامشيين» الذين تراهم في بعض أفلامنا ليسوا إلا قلب هذا المجتمع، بل جسده النابض كله.

أنظر إلى أفلام **داود عبد السيد** أو **رضوان الكاشف** - وبعض أفلام **محمد خان** -وسوف تجد أنك وجهاً لوجه أمام شخصيات تتصور أنك تراها للمرة الأولى، لكنك سرعان ما تكتشف أنهم يجسدون تلك الوجوه التي تراها بالملايين من حولك، تعبر أمامك فلا تعيرها التفاتا، أو أنك تختزلها

أحيانا في وجه واحد. لكن هذه الأفلام الجادة تدعوك إلى أن تتأملهم، فإذا بهم بشر حقيقيون، لهم نفس رغباتك وأحلامك وطموحك. ويعانون مثلك من الإحباطات والآلام. لكنهم يغيبون في أغلب الأحوال عن حساباتنا، لأنهم مثل الكتلة الهائلة الغارقة من جبل الجليد العائم. وإن كانت هذه الكتلة هي التي سوف تصنع المستقبل، إذا ما سارت بنا نحو الارتطام الكبير. ولعل من أهم إنجازات السينما المصرية المعاصرة هو أنها تضيء لنا الضوء الأحمر، في ضرورة أن نعي تماما من الذي يحرك هذه الكتلة نحو هدف غامض، ومن يريدها ساكنة غارقة في ظلماتها. ومن الذي ينبغي عليه أن يتحمل مسئوليته التاريخية في ضرورة الإسهام في صياغة وعي هؤلاء الفقراء المطحونين، بدلاً من أن نترك وجدانهم يرتع في ظلام دامس، لا تعيش فيه إلا الأفكار الأشد إظلاماً.

إن كان لمصطلح «الهامشيين» أي معنى، فمعناه الوحيد هو أننا وضعنا المجتمع كله على هامش الحياة، ولم نترك له إلا مكانا متطرفا، فلماذا نبدي دهشة إن نبتت في هذا الواقع بعض الأفكار المتطرفة التي تعادي الحياة؟! غير أن جوهر الشعر في هذه الأفلام يكمن في أنها لا تقف أبدا عند سطح الواقع، بل إنها تصنع من هؤلاء البشر العاديين الذين لا يصلحون -بمقاييس السينما التقليدية- أن يكونوا «**أبطالاً**» لأعمال فنية، تصنع منهم تجسيداً لوجود انساني له جذوره في الواقع، لكنه يتسامى عليه أيضا، بحيث يصبحون رمزاً للانسان في رحلته اليومية، يخلق الفرح من قلب الألم. بل لعلنا لا نغالي أبداً إن رأينا أنفسنا في هؤلاء البسطاء، فنستمد منهم القدرة على مواصلة الحياة رغم كل الظروف الصعبة والمحبطة.

لذلك فإن تأمل مشهدي البداية والنهاية في فيلم «يا دنيا يا غرامي» يعطينا مؤشرا فنياً مرحياً على فكرته العميقة عن الواقع، وإحساسه الرقيق بالحياة، وتلك الفكرة وذلك الاحساس هما اللذان جعلا المتفرجين- المثقفين والبسطاء معاً- يشعرون باقترابهم من عالم الفيلم على نحو حميم.

يبدأ فيلم «**يا دنيا يا غرامي**» ببطلاته الثلاث: **بطة (ليلى علوى) وسكينة (إلهام شاهين) ونوال (هالة صدقي)**. لكن بعد ظهورهن قبل نزول العناوين كأطفال جيران يعيشون في منزل مشترك في حارة واحدة، يلعبون مع أقرانهم في لهو برئ. وهن ما تزلن حتى اليوم- وبعد أن أصبحن فتيات يافعات- يعشن الحياة بنفس القدر من البراءة والصفاء، إذ يحاولن اختلاس لحظات من عملهن اليومي المرهق، ليسرن في شوارع القاهرة، يمارسن بعض المتع الصغيرة البريئة، ويبدين قبولاً متوجساً لمغامرة ركوب سيارة مع فتيان أثرياء عابثين، لتنتهي المغامرة بمحاولة اغتصاب في ظلام المقابر القابعة على أطراف المدينة، وتحاول الفتيات الدفاع عن أنفسهن، لتصاب بطة بجرح عميق- في مشهد النهاية أيضا سوف تصاب بطة بجرح مماثل لكنه أكثر عمقا وخطرا، هذه المرة على أيدي المتطرفين الذين حولوا زفاف الصديقة سكينة إلى مشهد دموي مأساوي. لكنك سوف تفاجأ أن **بطة**- وصديقتيها -بعد الحادثين سوف يعدن إلى مواصلة الحياة، محاولات أن يتناسين الآلام والجروح والندوب، على نحو ما ترى في اللقطة الأخيرة، التي ترفض فيها **بطة** أن تظل حبيسة سريرها في المستشفى، لتخرج مستندة على الصديقتين وقد بدا الضوء الساطع في عمق الصورة. وأن تسمع غناءهن

إن كان لمصطلح الهامشيين أي معنى فمعناه الوحيد هو أننا وضعنا المجتمع كله على هامش الحياة، ولم نترك له إلا مكانا متطرفاً.. فلماذا نبدى دهشة إن نبتت في هذا الواقع بعض الافكار المتطرفة

الذى يختلط فيه الألم المرير بالرغبة العارمة فى الاستمرار على قيد الحياة ، لأن الحياة -رغم كل شئ- جديرة بأن يعيشها الانسان.

تنويعات على القهر

لعلك لا تخطئ ذلك الرمز المستتر فى أن الجرح الذى أصيبت به **بطة** جاء مرة بسبب لهو الأثرياء، وأخرى بسبب تطرف الفقراء، وهذان هما الوجهان المتناقضان لنفس العملة الرديئة التى تعلن احتقارها للحياة أو رفضها لها(والتى قدم الراحل **عاطف الطيب** صورة لها فى فيلمه«**ليلة ساخنة**»)،وهى العملة التى ترفضها الكتلة الأكبر من مجتمعنا ،والتى ورثت ميراثا هائلاً من اللاوعى الجمعى الذى يعلى دائماً من شأن الحياة، وهو ما سوف يؤكده فيلم «**يا دنيا يا غرامى**» فى كل التفاصيل عن حياة الصديقات الثلاث، اللاتى تتوازى أو تتقاطع حياتهن ، وتلتقى دائما عند نقطة واحدة ، هى أن الأحلام لا تتحقق إلا بعد أن يحولها الواقع المحبط إلى كوابيس ثقيلة مزعجة ، لكن «عبقرية» هؤلاء البسطاء- وهو الأمر الذى سوف نتوقف عنده لاحقا- هو أنهم يراوحون دائماً بين الحلم والواقع، ويتكيفون مع ما تتيحه لهم الحياة ، حتى لو كان ظلاً شاحباً باهتاًمن الحلم.

وفى الحقيقة أن فيلم «**يا دنيا يا غرامى**» لا يحتوى على أى «قصص» بالمعنى التقليدى للكلمة ، وإن كان محتشدا أيضا بعشرات الحكايات ، التى تبدو مثل المنمنمات الصغيرة، تتجمع معاً لكى تصنع اللوحة الكاملة، تماماً مثل ذلك المكان الذى تدور فيه «الأحداث» ، لا تدرى إن كانت تلك التى تراها بيوتاً عديدة أم أنها بيت واحد، أو إذا ما كان قاطنوها أسراً مختلفة أم أسرة واحدة، فذلك هو حقاً جوهر الطبيعة الأصيلة فى المكان والانسان، فى مجتمعنا الذى عرف طوال تاريخه كيف يجعل من تناقضاته التى تهدد وجوده حبلاً مجدولاً قوياً يجعله أكثر تمسكاً بالحياة على أرضه.

من بين الحكايات التى يغزل الفيلم منها خيوطه ، ترى **بطة** التى تربطها قصة حب مع جارها يوسف (**هشام سليم**) ، الذى لا يرضى بحياته ورزقه الضئيل كميكانيكى أجير فى أحد الورش . كما يشعر بالعجز عن تدبير نفقات زواجه من حبيبته، لذلك يضطر إلى التحايل والنصب على الآخرين، حتى أنه يستدرج «الحشاشين» ويقوم على خدمتهم ليسرقهم بعد أن يغيبوا عن الوعى، لكنه يقابل **زهيرة (ماجدة الخطيب)** ، المرأة الكهلة سليلة الارستقراطية القديمة، التى تبدو نغمة نشازاً عن السياق، وإن كان الفيلم قد حاول أن يجعلها ركناً هاماً من الصورة التى يرسمها عن الواقع. فأنت لن تعرف على وجه التحديد إن كانت أزمتها الحقيقية هى الوحدة والشعور بالاغتراب، بسبب أن الحياة المعاصرة قد ابتعدت كثيرا عن ذلك العالم العتيق الذى تنتمى إليه، وهى إذ تحاول أن تقيم بينها وبين الواقع الراهن جسوراً ، فإن يوسف يلتقطها، ليكتشف أنها تعيش بحلم واحد وحيد، هو أن يتم دفنها بعد موتها فى مقبرة العائلة الملكية البائدة، حتى أنها تعطيه ضرسها الذهبى- كل ما تبقى من ثروتها- للانفاق على تكاليف حلم جنازتها المهيبة، لكنه يستخدم ضرسها فى تدبير نفقات زواجه، (أليس الحى أبقى من الميت؟!) ، وإن انتهى مصيره إلى السجن عندما يسرق سيارة ليزف بها إلى عروسه ، التى يظل حلم استكمال زواجهما وهماً مستحيلاً.

تحيا **نوال** بدورها نفس الوهم، إذ يربطها حب خفى غامض مع **حسن (مجدى فكرى)** ، شقيق صديقتها وجارتها نوال . لكن الفيلم يحاول أن يجعل من حسن رمزاً للمثقف العاجز عن مد جذوره فى الواقع على الرغم من انتمائه إليه، فهو يعيش فى عالمه المصنوع من تهاويمه وأحلامه ، التى تصور له أنه ليس إلا مؤلفا عبقريا مجهولا ، أو نبيا لا يعترف به قومه ، مما يجعله يبدى نحو **نوال** شعوراً مختلطاً من العشق والرعب فى آن واحد. إذ يبدو لها دائماً جهاز التسجيل الذى تنطلق منه أغنيه «**يا دنيا يا غرامى**» . لكنه يرتعد كلما اقتربت منه، حتى أنه يتهمها بمحاولة اغوائه واغرائه، واثنائه عن استكمال مسيرته نحو اثبات عبقريته المزعومة. مما يدفع بنوال فى النهاية إلى الاستسلام للعرض الخبيث الذى يطاردها به الثرى الصعلوك (**حسين الامام**) ، فترضى بالزواج العرفى منه، الذى يبدو بدوره رمزاً لتلك

يا دنيا يا غرامى.. ينبئ بميلاد مخرج وكاتب يتمتعان بقدر كبير من الوعى الجمالى والسياسى

الحلول الوسط، أو بالأحرى التنازلات ، التى يدفعها البسطاء للاستمرار فى الحياة.

لكن سكينة تصبح هي الواقع والرمز على نحو أكثر وضوحاً من صديقتها . فسأماتها أنها قد عشقت عبده (أحمد سلامة)، شقيق بطة الذى يواجه الحياة بتجهم يعكس فشله عن التفاعل معها، وها هو يتحول- فى الواقع أننا لا نرى فى الفيلم هذا التحول- إلى متطرف ينظر إلى عشقه القديم على أنه خطيئة، ويرى استسلام سكينة له فى لحظة حب صادقة ذنباً لا يغفره إلا أن تهجر الحياة وتهاجر معه إلى عالم الأفكار المظلمة-عندئذ يبدو الاختيار أمام سكينة صعباً: إما أن ترضى - وهى الفاقدة لعذريتها . وبالتالى لبراءتها طبقاً لأعراف المجتمع- بأن تعتزل الحياة. أو أن تواجه مصيرها وحدها. ليهرب منها الخطيب المتردد عادل (حسن العدل) بعد أن يعرف حكايتها، فتتعلم أن هذا المجتمع لا يريد الاعتراف بأخطائه ، ويخفى رأسه فى الرمال ، ويفضل أن يتعامى عن الحقائق ، ويدارى الصدوع العميقة خلف واجهات براقة، تماماً مثلما يجب عليها أن تفعل ، فتوافق بعد رحلة عذاب نفسية مضنية بأن تجرى عملية تستعيد بها عذرية زائفة.

العنقاء حقيقة واقعة!

هناك سحر خاص يدفعك إلى أن تشعر على نحو عميق بكل هذه الحكايات، التى تبدو مثل بعض تفاصيل الحياة اليومية التى تحتشد بها حياتنا ، يختلط فيها الميلاد والموت، والبهجة والحزن، والحلم والكابوس ، كما أنها تمتد فى خطوط متجاورة متقاطعة بعيداً عن «بعض» قوانين الدراما التقليدية ، بين البداية والذروة والنهاية. فالقصص سوف تتكرر دائما، وهو ما تبدى فى تلك اللقطة الذكية التى رأينا فيها ألعاب الأطفال مرة أخرى فى وسط الفيلم ، لنتذكر على الفور اللقطة المشابهة التى رأيناها قبل نزول العناوين.

لكن هل يعنى ذلك أن الحياة والدراما يمكن لهما التخلى عن بعض قوانينهما الأخرى ، التى لا يمكن بدونها أن تكون هناك حياة أو دراما؟ ذلك هو الجانب الشاحب من فيلم «يا دنيا يا غرامى» . إذ لا يمكنك أن تلحظ أن الحياة أو الدراما قد أحدثت تغيراً فى تكوين الشخصيات ورؤيتها للعالم، فجميعها ينتهى إلى نفس النقطة التى بدأ منها، أو لعله لم يغادر تلك النقطة أبداً- وربما يكون الدافع إلى ذلك هو رغبة صناع الفيلم فى اضفاء المزيد من روح التفاؤل على الجو العام للدراما ، تحقيقاً للابتعاد عن الصورة الشائعة للواقعية على أنها التأكيد على الجوانب المظلمة أو المتشائمة . وربما يكون الدافع أيضا هو إيمان صناع الفيلم بما أسميناه «عبقرية» البسطاء فى صنع الحياة رغم كل المعاناة. لكن الاسراف فى اضفاء النزعة الرومانتيكية على تلك القدرة الفطرية يمكن أن يؤدى إلى نوع من التفاؤل المصطنع ، فأنت لا تستطيع بأى حال أن تنكر أن الدراما الأكثر واقعية وتأثيراً هى تلك التى نرى فيها التغيرات الرقيقة للمنطقة الرمادية من النفس الانسانية، كما لا تستطيع أن تنكر أيضا أن الحياة القاسية لا يمكن إلا أن تترك ندوباً عميقة على روح ووجدان هؤلاء البسطاء (وربما تشوههم أيضاً) ، أيا كانت عبقريتهم فى صنع الحياة . وتلك الندوب المشوهة للجمال هى التى تدفع بالمتفرج إلى أن يخرج وهو يشعر أن الحياة ، يمكن أن تكون أكثر جمالا بدلا من أن يشعر -حتى من خلال اللاوعى- بأن كل شئ يمكن أن يستمر على حاله، ما دام هؤلاء البسطاء يتمتعون بهذا القدر الوافر من العذوبة والصفاء ويعرفون الطريق إلى الاستمرار فى الحياة.(لا يستطيع المرء أن يقاوم الرغبة فى المقارنة بين تلك الرؤية المثالية فى تعاطفها مع البسطاء، والرؤية المناقضة تماماً لهم فى فيلم «عفاريت الأسفلت» **لأسامة فوزى** ، فهم اما ملائكة ، أو وحوش. وعلى الرغم من أن رؤية فيلم «**يا دنيا يا غرامى**» هى الأقرب للنزعة الواقعية الناضجة ، إلا أن **الفيلمين يفتقدان نضج الدراما**، التى يجب أن تهتم بالدوافع الانسانية للشخصيات بقدر اهتمامها بالشخصيات ذاتها. فعندئذ فقط يمكنك أن تصدق نبع العذوبة الكامنة فى البسطاء ، كما تتفهم من أين تتفجر أيضا عدوانيتهم. إنهم لا يصبحون مجرد حالات، بل بشراً حقيقيين فى أعماق فنية ناضجة، كما تظهر فى أفلام الفنان **داود عبد السيد**).

من جانب آخر، فقد كان هناك رغبة عميقة- ومشروعة- لدى صناع الفيلم من أجل تحقيق الكوميديا واستخلاصها من المأساة . فى نوع من التأكيد على الجانب البسيط المتمع من الحياة. لكنك تراها أحيانا وقد مالت إلى المبالغة ، فأنت لن تعرف أبداً لماذا يصر الفيلم على تصوير «المثقف» على هذا النحو شديد النمطية والكاريكاتورية المثيرة للسخرية . كما سوف تعجز عن ادراك سبب «**المرح**» وانتزاع ضحكات الجمهور فى أن يضطر **يوسف** إلى السرقة ، فتلك الكوميديا المصنوعة تنزع عن الشخصية الفنية والواقعية دوافعها ومبرراتها. تماما كما أن المأساة المصطنعة أغفلت مجرد الاشارة إلى السياق الذى صنع من عبده متطرفاً يسير فى الطريق الخاطئ، ليقف مع الموت ضد الحياة.

وإذا كنت لا تنكر أبداً أن الفيلم قد أحب شخصياته إلى درجة العشق، فانك سوف تشعر على نحو غامض بأن غياب التأمل الرقيق للدوافع الدرامية للشخصيات قد صنع تقابلا زائفا بين المرأة والرجل(من الخطأ أن يكون تقابلا مقصوداً ، لكن الخطأ الأكبر هو أن يكون متعمداً)، حتى أن كل «الرجال» فى الفيلم أصبحوا يمثلون الجانب السلبى من الحياة(وهو ما استغله منتج الفيلم الفنان **رأفت الميهى** فى الدعاية على أنه «**فيلم للبنات فقط**)!! ، لكن ذلك لا ينفى أيضا أن فيلما مثل «**يا دنيا يا غرامى**» يؤكد لنا أن السينما المصرية- مثل هذا الشعب تماما- سوف تظل ولوداً . وربما بدا الفيلم بمقاييس النقد الصارمة مشوباً ببعض قصور التجربة الأولى لكاتب السيناريو والمخرج، لكنه يشى أيضا بأنك **أمام فنانين يتمتعان بقدر كبير من الوعى الجمالى والسياسى**، ربما كان الدليل الناصع عليه هو اختيارهما لأسلوب شديد البساطة ، بعيداً عن مراهقة استعراض «**العضلات**» الفنية والتقنية كما يحدث فى العادة للأفلام الأولى لصانعيها . لأن محمد **حلمى هلال** كاتب السيناريو ، ومجدى **أحمد على** المخرج، اختارا أن يجعلا العالم الذى يريدان تصويره، بطلا حقيقيا توارى إلى جانبه رغبتهما فى التأكيد على براعتهما الفنية، وهى **براعة تتجلى و تتكشف على نحو شديد البساطة والبلاغة فى أسلوبهما الرقيق، كما تتجلى أيضا فى ايمانهما بأن هذا الشعب ليس مثل العنقاء كائناً أسطورياً، على الرغم من قدرته على أن يخرج فى كل مرة مفعماً بالحيوية والحياة حتى من بين الرماد.**

هل من الممكن أن نشعر بقيمة مهرجان للسينما وسط أزمتها الخانقة؟..

وهل من الممكن أن نناقش الافلام المتقدمة للحصول على تقدير المهرجان وجوائزه ..ونناقش مدى أحقية دخولها جميعا.. ونطالب بتصفيتها ، رغم عددها القليل أصلا (١٧ فيلما فقط) ونحن نخشى ألا يكون هناك أفلام فى السنوات القادمة يمكننا رؤيتها.. وليس تصفيتها؟.

وهل من الممكن أن تحتمل دائما مساحات التدهور فى أمور أستقرت طويلا ،وكان من المفروض أنها أصبحت كالماء والهواء، قبل أن تتابع أفلام المهرجان فى دار عرض جيدة المقاعد، واضحة الصوت، كافية الاضاءة وليس العكس من هذا كله.. وأن نرى انتاج المؤسسات والهيئات المهتمة بالفيلم التسجيلى والقصير ، وأن نحتضن أفلام الاجيال الجديدة الواعدة من طلبة وخريجى معهد السينما وغير معهد السينما؟.

مهرجان ما تبقى من السينما

إن الاجابة عن كل هذه الاسئلة هى أنه من الممكن أن يحدث كل هذا (وأيضا أن نشكو فى أثناء كل هذا) لأنه لا بديل عنه إلا الصمت والقهر والارتداد إلى الفراغ التام.

فى المهرجان القومى الثانى للسينما المصرية كانت هناك نقاط مضيئة متعددة، كان هناك إعادة اكتشاف أعمال جيل الرواد من السينمائيين الأوائل،وترميم هذه الأعمال وعرضها حتى ندرك المسافة بين ما نحن فيه الآن والثلاثينات زمن انتاج فيلم **(ليلى البدوية)** لمنتجه وبطلته وصانعة ديكوراته ومبدعة موسيقاه واكسسواراته **بهيجة حافظ** .. كانت بهيجة قد انتجت الفيلم عام ١٩٣٥ باسم **(ليلى بنت الصحراء)** لكن زواج شاه ايران **محمد رضا بهلوى** وقتها **بفوزية** شقيقة الملك فاروق جار على الفيلم.. إذ وجدت الرقابة (من يومها وهى شرسة) أنه سيسيئ للعلاقات الملكية والزفاف السعيد لأنه يقدم **كسرى** ملك الفرس زمان على أنه همجى اختطف ليلى من قبيلتها وأغتصبها واكرهها على الحياة معه.. منعت الرقابة عرض الفيلم وفى ٧ سنوات كاملة جلست **بهيجة حافظ** تلملمه ،وتعدله، وتحذف أشياء لتضيف غيرها ليصبح الفيلم بعيدا عن العيب فى الذات الملكية، وهكذا سمحوا بعرضه عام ١٩٤٢ بعد أن أصبح **(ليلى البدوية)** ، وليكشف الفيلم عن نسق انتاجى متمكن وسخى بمقياس زمنه -وحتى زماننا- بفضل تصويره فى ستوديو مصر بامكانياته الجبارة وقتها، كما يكشف عن روعة الملابس والاكسسوارت التى تعبر عن الفهم التام للزمن والعصر والفروق ما بين العرب والفرس ويكشف عن استخدام اسلوب سينمائى متقدم هو المونتاج المتوازى.. فهل يكشف تلك المرأة المبدعة التى خسرت فلوسها فى السينما فافتتحت صالوناً ثقافياً موسيقياً أدبياً شهيراً دفع الكثيرين إلى ساحة الفن والثقافة.

من ناحية أخرى فلقد استطاع هذا المهرجان أن يقدم لجمهور حفل الافتتاح أول أفلام رسوم متحركة صنعت فى مصر فى الثلاثينات أيضا ، وأن يكشف الستار عن قصة فنانيها**(اخوان فرانكل)** اليهود الذين حضروا من روسيا واستقروا بمصر وبدأت شرارة الابداع لديهم بعد سطوع شمس **والت ديزنى**



ونجومه سيكى واخواته.. ولم ينس مدير صندوق التنمية الذى يتيم المهرجان **سمير غريب** أن يحيل الفضل فى هذا الاكتشاف لصاحبته **ماجدة واصف** مسئولة السينما فى معهد العالم العربى بباريس، والتى سعى إليها آخر حفيد للأخوة فرانكل ليقدم لها أفلام جده ووالده وأعمامه. وفى دراسته القيمة عن هؤلاء، قال الاستاذ: **ألفريد ميخائيل** عقب مقابلته لهم أنهم خرجوا من مصر جبرا .ولأن هذا ليس موضوعنا فإن ما نطرحه هنا هو هذا الاكتشاف المصرى مائة فى المائة: اكتشاف صناعة أفلام رسوم متحركة، رائعة ومتطورة منذ بداية الثلاثينات.

حكاية
«الارض فى مصر»

من جهة ثالثة: فقد كان حصاد السينما القصيرة مع جماله بالغ الضآلة عددا . ولنا أن نتذكر أن المهرجان القومى للأفلام التسجيلية والقصيرة، والذى كان يقام سنويا بانتظام حتى منتصف الثمانينات ، كان يعانى من كثرة الافلام المتقدمة ،وكثرة الجهات التى تنتج الفيلم القصير، أما للتسجيل أو الدعاية أو حتى إثبات الوجود وأيضا للفن ولأهداف قومية اليوم أصبحت **كل أفلام هذه المسابقة بأنواعها الثلاثة لا تزيد عن ٢٩ فيلما ، منها ٨ أفلام تحريك واحد منها فقط من انتاج المركز القومى للسينما** والباقى من انتاج معهد السينما الذى انتج العدد الأكبر من أفلام المسابقة، بينما تراجعت كل الجهات الاخرى، بالطبع لم تتراجع ميزانياتها بل زادت فى عصر الدعاية والاعلان، لكن الاعلام الحقيقى من خلال السينما هو الذى تراجع. حتى التلفزيون جاء منه فيلم واحد فقط بعد أن كان ينتج سلاسل سنوية فما الذى حدث.. **وأين يذهب هؤلاء المبدعون الفائزون بالجوائز بعد ذلك وكيف نسمح ، كمؤسسات ثقافية وغير ثقافية بأن تختفى السينما التى تعبر عن الحياة بكل ما يجرى فيها من وقائع، بدون خيال أو تجميل** .. وبأن يختفى عندنا الاهتمام باكتشاف أنفسنا وطاقاتنا عبر هذه السينما الرائعة.



شريهان وهشام سليم فى ميت فل

ولعل كل علامات الاستفهام عندى لا توازى مشاهدة فيلم واحد هام- من الافلام التى شاهدتها عبر المهرجان مثل فيلم **(أيام الانسان السبعة)** الذى أخرجه **مجدى أحمد على** عن الطرق الصوفية فى مصر ومريديها، وهو أول اقتراب حميم على هذا النحو من هؤلاء البشر، إخواننا فى الوطن ، الذين يعدون بالملايين ، يعيشون وفق نظرية تشبعهم روحيا واجتماعيا، وربما اقتصاديا فى اطار مفهوم متكامل للحياة من خلال هذا التطور.. انه فيلم يعد اكتشافا لنا لذواتنا كشعب وبلد ومجتمع ويحتاج وحده إلى مهرجان حول الذاتية المصرية وتركيبتها .. وهناك فيلم **(الأرض فى مصر)** للمخرج **نبيل عزت** الذى يقدم صورة هامة لشعب يعيش بينما جذوره معلقة بوطنه الذى تعرض لمصاعب تاريخية عديدة.. ويروى الفيلم على لسان ابطاله كيف عاشوا ويعيشون حياتهم في أمان ويسر وسط المصريين محتفظين بكل ما ارادوا الاحتفاظ به من خصوصيتهم وفى

مهرجان ما تبقى من السينما

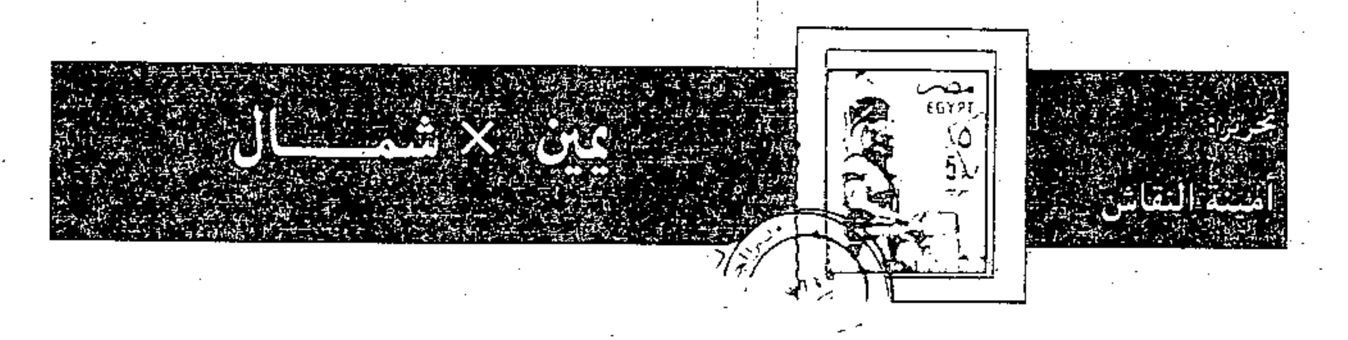
فيلم**(سور مصر العظيم)** للمخرجة **نادية سالم** دراسة عن أكبر مدينة تاريخية في العالم أغتالها الناس وهي القاهرة المملوكية بكل ملامحها العريقة الجميلة وكيف تحالفت الأجهزة الفاسدة مع الافراد والطبقات العشوائية في طمس معالم هذا الكيان العملاق. وهناك أفلام رائعة أخرى روائية وقصيرة وتعبر عن مقدرة وحساسية واضحة لأجيال قررت أن تكون السينما هي مصيرها مثل**(دانتيلا)**لريم **عادل أنور** و**(كما في المرآة)** **لإيهاب لمعي** و **(يوم الاحد العادي)** **لسعد هنداوي** و**(الحاوي خطف الطبق)** **لسعاد شوقي** وغيرهم . إننا في هذه المسابقة كمن يدخل حديقة رائعة، ما زالت بكرا وبرية برغم كل العناية بها. وللأسف فاننا نعرف أننا ندخلها للمرة الأولى والأخيرة لأن هذه الافلام لن تعرض ثانية، لافي دور العرض، ولا في التلفزيون (إلا استثناءا) وأن جمهورها الطبيعي سيحرم منها.. وليس من العدل أن يكون عدم عرضها النهائي هو برهان اعتراضنا على ما يحدث في حياتنا من قبل الاجهزة الثقافية.

أفلام لا تغازل القيم الرديئة

في السينما الروائية الطويلة يصبح للمنافسة والجوائز صوت عال .. أولا لأنها السينما التي يدركها كل الناس فالاغلبية لا تعرف السينما القصيرة وثانيا لأن جوائز السينما الروائية هي أكبر جوائز قدمتها هيئة تتبع الدولة في مصر منذ بداية عصر الجوائز(في الاربعينات) ومبلغ المائة الف جنيه ما زال يحل ازمة لمنتج الفيلم المصري، وكذلك مبالغ الجائزتين الثانية والثالثة(٧٥ ، ٥٠ ألف جنيه) لكن هناك ايضا «سحر» جوائز تعطيها الدولة في احتفال رسمي وهو ما يختلف عن جوائز الجمعيات السينمائية ، مهما كانت جادة ومحترمة.

في مسابقة المهرجان هذا العام كانت لجنة التحكيم أكثر تحيزا لوجهة نظر محددة تخص الاجيال الجديدة من صناع السينما المصرية، هؤلاء الذين انتظروا سنوات ليحصلوا على فرصة، وكان ممكنا أن ينتهزوا الفرصة لصنع أفلام تغازل كل القيم الرديئة في الفن، بداية من شبق جمهور الشباك إلى اسلوب معين في تناول الجنس مرورا بمغازلة النجوم الكبار بأدوار تدغدغ رغباتهم في تقديم البطولة الخارقة، وإلى مغازلة الجهات التي تملك زمام السلطة وزمام القوة خارج السلطة.. لكن **محمد حلمي هلال ومجدي أحمد علي** لم يفعلا ذلك وكان المنتج **رأفت الميهي** هو الضلع الثالث في دعم فيلمهما الجميل**(يا دنيا يا غرامي)**الذي حصل على ثماني جوائز. كذلك فقد قدم **مصطفى ذكري** ، الكاتب السينمائي الجديد تماما ما أراده من رؤية للحياة عبر شريحة ، غير مقننة من المجتمع المصري الآن هي فئة العاملين على سيارات الميكروباص الخاصة التي خرجت للحياة بسبب عجز المواصلات العامة وخرج معها جيل من الشباب والرجال الذين خلقوا لأنفسهم أسلوباً خاصاً في التعامل مع الواقع وحيث يتجاوز هذا الاسلوب في ابسط ملامحه وهو قيادة السيارات بسرعة جنونية، مع كافة الاساليب الاخرى، بدون تنسيق ، وبدون تعاون وأيضا بدون توقف وكأنهم قنبلة موقوتة لا أحد يعرف متى تنفجر وهو ما دفع المؤلف إلى تسميتهم**(عفاريت الاسفلت)** .

أما المخرج **أسامة فوزي** فقد نفذ ما اراده واستطاع أن يقدم مستوى من النضج الفني يسبق تجربته الاولى هذه ، تماما مثل **مجدي أحمد علي** . وبحيث كان على لجنة التحكيم أن تقرر لمن يذهب دعمها في هذه المسابقة.. هل إلى من حصل على الدعم وكابد التجربة مرارا من قبل مثل**شريف عرفه** مخرج **(طيور الظلام)** **ووحيد حامد** مؤلفه ، أم **خيري بشارة ومدحت العدل** مخرج ومؤلف فيلم **(إشارة مرور)** وتلك هي الافلام الأكثر اقترابا من الجائزة مع فيلمي **مجدي أحمد علي وأسامة فوزي..** ومن حق لجنة التحكيم أن يكون لها توجه ، وأن تعلنه وأن نوافق أو نعترض عليه، وفي هذا الاطار فقد كان فيلم(**طيور الظلام)** يستحق جائزة التمثيل للدور الثاني رجال للفنان الصاعد **رياض الخولي** عن دوره الكبير في الفيلم كما أن الفيلم نفسه يستحق التشجيع انتاجيا ومع ذلك فتلك وجهة نظر خلافية، الأهم منها هو تأييد الجيل الصاعد في السينما وبهذا يكون المهرجان في مبتداه ونهايته قد أيد كل الاجيال من جيل **بهيجة حافظ** إلى جيل **مجدي أحمد علي** ولهذا مغزاه الواضح في التعامل مع السينما المصرية كمنظومة متسقة في حلقات تكمل بعضها بعضاً وهو انجاز، مهما بلغ حجمه، أفضل بكثير من عدمه.. وأفضل بمراحل من تجاهل المبدعين الجدد في السينما القصيرة والطويلة، وأفضل بفراسخ من الاكتفاء بمشاهدة برامج التلفزيون .فمما لا شك فيه أن حضرات السادة الذين حصلوا على جوائز والذين لم يحصلوا كانت لديهم حماسة وآمال بالفوز وبالتعامل مع المهرجان ، مهما كان رأيهم في السينما متشائما.. ولكن هذا لا ينفي ذاك.. وكاتبة هذه السطور شديدة التشاؤم مما يجري في ساحة السينما لكنها لن تكف عن تشجيع أي انجاز مهما صغر ، لأنه الحافز والدافع إلى التمسك بالدفاع عن القضية الاصلية.. للسينما المصرية.



أسرار الخيبة

أريد أن أناقش من خلال بابكم خيبة اليسار المصرى ، وذلك حسب تعبير **عبد الغفار شكر** ، الذى يرجع أحد أسباب هذه الخيبة إلى أن اليسار فى مصر يقتصر جهاده على المعارك الكلامية مع الاسلام السياسى ، دون أن يبين نفسه ، أو يجتهد ليكون قوة جماهيرية فاعلة ، أو القوة الثالثة البديلة للفساد والارهاب ، فتترك الساحة لتيار الاسلام السياسى ليبنى نفسه وطمرحه خطوة خطوة .

وفى عدد الأهالى رقم ٧٧٣ حيث " **أمينة النقاش**" الحزب الشيوعى السودانى بمناسبة عيده الخمسين ، فأكدت أن سر قوة هذا الحزب الذى يعتبر من أكبر الأحزاب الشيوعية فى العالم الثالث هو استقلاليته ونجاحه - كما قالت - فى سودنة الماركسية وتعريبها ، ودراسته للتراث الاسلامى واحترامه لتقاليد الشعب السودانى . فأدركت أن الخيبة صناعة يسارية وسرها يكمن فى الجمود وعدم التطور وعدم القدرة على استيعاب المكونات الحضارية للشخصية المصرية والتعالى على فهم ثقافتها الشعبية مما دفع لاحساس الجماهير بغربتها عن قوى اليسار . ولهذا ، ولغيره ، فإن اليسار المصرى يحتاج إلى وقفة طويلة مع النفس يراجع مواقفه وأساليب عمله ، ويوحد قواه ويدعم هياكله وقدراته ، ويفتح صفحات جديدة مع جماهيره وأنصاره ويستغل طاقاته وامكانياته الواسعة المهدرة بسبب السلبية والانقسامات غير المبررة.

عبد الحميد القداح
المنصورة

المحررة : **شكرا لك على مساهمتك وتحليلك ومودتك . والبديل الثالث الذى يطالب به تيار كبير داخل حزب التجمع على رأسهم الأستاذ عبد الغفار شكر ، هو بديل لتيار الاسلام السياسى وللحكم القائم.**

سؤال ورجاء

المتابعة النقدية التى يقدمها الناقد الكبير " **أحمد يوسف**" للأفلام المصرية وللظواهر السينمائية ، من أجمل الموضوعات ، التى أحرص على البدء فى قراءتها فى مجلة اليسار ، فهى تعيننى على فهم أحداث الأفلام التى أعشق رؤيتها ، كما تضيف لى خبرة فى فهم مايستجد من أفلام فضلا عن المعلومات القيمة التى تتضمنها عن صناع الفيلم .. ولكن لماذا تقتصر متابعة الناقد الكبير على الأفلام العربية فقط ولماذا لاتمتد لتشمل الأفلام الأجنبية أيضا ؟

ماجد الشعراوى
شبين القناطر

* **المحررة : زميلنا أحمد يوسف مهموم فى متابعاته النقدية ، بالبحث عن منافذ لإخراج السينما المصرية من أزمتها ، ومع ذلك فأنا أضم صوتى إلى صوتك فى رجائه بعمل اطلالة بين الحين والآخر على السينما العالمية بما يخدم الهدف الذى نسعى من أجله.**

تخسير القطاع العام

بعيدا عن فلسفة الحاجة " **فيفى عبده**" أنا أبيع إذن أنا موجود وكل شئ قابل للبياعة ، إن هناك بديهيات أود التأكيد عليها وأرجو ألا تغيب عن أحد :

* أنه لم تخرج مظاهرات جماهيرية أو نقابية ، تطالب ببيع أو تصفية أنشطة القطاع العام ، أو لاستحداث قوانين تضيف إلى ساكنى القبور الملايين من مستأجرى المساكن وتقذف إلى سوق البطالة بملايين أخرى لتصبح جميعا نهبا لجماعات التطرف .

* عدم وجود فلسفة تبرر البيع أو التصفية جعلت الأمر عشوائيا ، وأصبح لزاما على الحكومة أن تدفع ثمنا للشراء تخلصا من أزمة صنعتها بنفسها إيمانا منها ، بأن " خراب البلد" ينبغى أن يكون أحد إنجازاتها!

* استطاعت الحكومة تسخير آلياتها الإعلامية فى حرث الأرض جيدا ، وحصر المشكلة مع عمال القطاع العام ، تمهيدا للانقضاض عليه ، دون أن تخشى من أى مواجهة حقيقية.

* اعتادت جماهير العمال على رعاية الدولة لها ، تقدم إليها المكتسبات ، وتحفظ لها الحقوق الأساسية للحياة وتضمن لها فرص العمل ، وتؤمن لها المستقبل ، وتناسى الجميع أن ماكان يصلح للستينات ، ذرته أعاصير التسعينات وحولته هباء منثورا.

* وخلال مايقرب من عشرين عاما والقطاع العام يتم

" تخسيرة" ، بأساليب المغالاة في الأسعار ، وبالتلاعب في عمليات الإحلال والتجديد ، وتعيين قيادات عديمة الولاء والانتماء ، ولاتجيد سوى تحصيل العمولات وتخريب العقول وإذكاء الصراعات ، والعمل على اقتلاع بذور الوطنية والتلويح بمزايا المعاش المبكر ، ورسم سياسات " تطفيش العمال ، وتجريد مرتباتهم من أي اضافات ، ولكن: هل يعيد التاريخ نفسه ؟ وهل نجلس مكسوري الخاطر نجتر الماضي البعيد وأوجاعه ، والماضي القريب وأحلامه والراهن الحالي وآثامه ؟! هل نكتفي بالتفسير التآمري للتاريخ ؟

إن الأمل سيظل في داخلي حلما للنهوض بأفكارنا الخبيئة داخل صدورنا ، نحن المهمومين بهموم أجيال أمة ، وأشواقها في الحرية والعدل ، وحقها في العمل والتعلم والعلاج ، وأمانيها في أن يكون الغد أفضل من اليوم

محمد حجازى
المحلة الكبرى

صرخة عتاب من جنوب الوادى

استقبل السودانيون في مصر ، وفي المهجر وفي الداخل أنباء لقاء المصالحة الذي تم بين الرئيس **حسنى مبارك** وبين الفريق " **عمر البشير" ببعض الاستغراب وكثير من القلق** . ولم يصدق أحد والرئيس مبارك يمد ذراعيه محتضنا البشير عند هبوطه من طائرته الخاصة ، إن الحكومة المصرية سوف تنسى أن نفي النظام المصري وإضعافه ، هو أحد الأهداف الرئيسية التي يضعها على قائمة أولوياته " **حسن الترابي" وتنظيمه الجبهة الاسلامية القومية** ، الذي استولى عنوة على السلطة في السودان ، بانقلاب عسكري ، انتهى بعد سبع سنوات من جلوسه على سدتها ، بعزلة دولية وداخلية لم يشهدها السودان منذ استقلاله ، وبتشريد الشعب السوداني وإفقاره وإجاعته ، ونهب ثرواته سواء في حرب أهلية ، تم إكسابها صفة دينية هي الجهاد ، لضمان إستمرارها أو عبر المؤسسات الاقتصادية العامة التي تم بيعها لقيادات الجبهة الاسلامية ، التي أحكمت قبل ذلك سيطرتها على البنوك وأسواق العملة والتجارة والاستيراد والتصدير ، وهي تزعم بناء الاقتصاد السوداني . ولاشك أن النظام المصري يدرك أنه العقبة الرئيسية أمام أحلام " الترابي" في إقامة نظام إسلامي إقليمي ، ينصب نفسه فيه الزعيم الأوحد ، وأن " البشير" هو واجهة صورية للنظام الذي يملك " الترابي" كل مقدراته .

وإذا كان السودانيون الذين فتحت لهم مصر أبوابها ، إيمانا منها بالروابط التاريخية والأزلية التي تجمع بين شعبينا ، يقدرون الدوافع التي حدت بالحكومة المصرية لإتمام هذه المصالحة ، لكنهم يبعثون من على منبر" **اليسار**" صرخة عتاب إليها ويتساءلون ، لماذا لم تضع الحكومة المصرية ، شرط مصالحة نظام البشير لشعبه أولا من بين بقية الشروط التي وضعتها لتحسين العلاقات معه؟ وماشأن قضية المصالحة ، بهذه المعاملات الفظة التي يتعرض لها السودانيون في المطارات والموانى المصرية والتي تنتهي بعدم السماح لبعضهم بدخول الأراضي المصرية أصلا ، وإبقاء البعض الآخر - وبينهم نساء وأطفال - ملقى لأيام في صالات الانتظار ، ورفض السلطات المختصة ، منح الكثيرين منهم حق تجديد الاقامة ليقعوا فريسة لمطاردة السلطات المصرية من جهة وحكومة البشير من جهة أخرى؟

لقد أثبتت الأيام التي تلت لقاء **مبارك - البشير** أن نظام الخرطوم يراوغ في التعهدات التي قطعها على نفسه بمقاومة الارهاب ومحاصرة العناصر التي تهدد أمن مصر ، وأن رغبته في التنصل أكبر من رغبته في التعاون والمصالحة التي نخشى أن يكون وقودها أواصر الإخوة والمحبة والصداقة بين الشعبين المصري والسوداني.

صديق من جنوب الوادى يقيم في القاهرة

المحررة: احتفظت باسم الصديق السوداني بناء على رغبته .. ونحن معك نقدر دوافع السياسة المصرية في استقبال البشير بحفاوة لاتخرج عن سياق العمل البروتوكولي وعن الاهتمام بتوفير المناخ لإنجاح أعمال القمة العربية ، التي كانت تعقد في ظرف اقليمي وعربي ودولي غاية في الحرج ، وإن كانت تضع قضية المصالحة هدفا محوريا لها . فهناك أسس ينبغي أن توضع في الاعتبار ومفاوضات المصالحة جارية مع النظام السوداني بينها صيانة حق اللجوء السياسي وكفالة حرية التنقل للمواطنين وعدم استخدام ورقة الإقامة بمصر في تصفية الحسابات السياسية المؤقتة والعارضة بما يخلف جروحا بين الشعوب يصعب أن تندمل بعد إتمام المصالحة بين النظامين.

في العدد القادم

* مداخلات **فريدة النقاش تحاور عامر ذياب التميمي**
سوف يجدد اليسار نفسه وهو يناضل من أجل الاشتراكية
* **محمود مختار منصور** عن الخصخصة
* **يسرى مصطفى** جرامشى والمنظمات العمالية

أحمد مرسي

احتفالية جديدة بعودة الشخصية

لعل معرض الفنان **أحمد مرسي** هو أحد المعارض الهامة التي نظمها هذا العام مجمع الفنون بالزمالك والذي يقام حالياً بقاعة أخناتون.

يعرض **أحمد مرسي** سبع لوحات متوسط احجامها ٣٠٠×٣٠٠ سم وأحمد مرسي فنان وشاعر ومترجم ، ولد بمدينة الاسكندرية عام ١٩٣٠ . درس الأدب الانجليزي بكلية الآداب جامعة الاسكندرية يمارس الفن منذ منتصف هذا القرن . يقيم بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٧٤ وحتى الآن . أقام العديد من المعارض الخاصة والجماعية ، وبخاصة مع فناني جماعة " **الفن المعاصر**" التي أسسها **حسين يوسف أمين** أوائل الستينيات وكان من بين أعضائها **حامد ندا** ، **الجزار** ، **سمير رافع** **وماهر رائف** قامت تلك الجماعة لتحويل مسار الحركة الفنية بمصر من الاتجاه إلى الغرب إلى البحث في التراث المصري ومايحمله هذا التراث الشعبي بصفة خاصة من الموروثات الميتافيزيقية المتعلقة بالمعتقدات الخرافية في السحر والشعوذة ، وأيضاً مايحمله التراث من الميثولوجي وثار أيضاً فنانو تلك الجماعة على الأطر التقليدية في الفن وعلى القوالب الجاهزة تحت دعوى الاستلهام من الغرب

كان **أحمد مرسي** من أصحاب هذا التوجه وإن لم يلتزم بعضوية الجمعية.

قدم **أحمد مرسي** تجربة جديدة عام ١٩٥٤ لعمل فني مشترك بينه وبين الفنان **عبد الهادي الجزار** ، حيث كتب قصيدة بعنوان "**ماتت تحت ضوء القمر**" وقد أعد **عبد الهادي الجزار** رسومات القصيدة كاملة على أمل إصدارها في طبعة محدودة كعمل مشترك إلا أن الظروف لم تسمح بتحقيق هذا المشروع واكتفى الجزار بكتابة مقاطع من القصيدة في لوحته "**رقصات مذبوحة** " ، " **والأن ماهذا السكون** "..

* * *

يقدم أحمد مرسي الواقع الشعبي في لوحاته بصورة متميزة ومتفردة ، مستفيداً في البداية من ميتافيزيقية المدرسة السوريالية الايطالية ، وبصفة خاصة ميتافزيقية الفنان **دي كيريكو**.فعناصره تتجاوز وجودها الظاهري إلى الكشف فيما وراء ذلك عن روح الشئ ذاته ، فهو يحرر الشخوص والأشياء من أي توتر من شأنه أن يفقدها كثافتها الداخلية القوية ، ويختزل الأشياء إلى جوهرها وقوة الجاذبية فيها ، بما يحقق نظاماً جديداً لتلك العناصر على السطح هذا النظام تسكنه حركة ساكنة .

يترك **أحمد مرسي** اللوحة مفتوحة أمام جميع تحولاتها وفي اتجاهات متعددة فعناصره تخرج من البحر أو تحلق في الفضاء تضع الزمان والمكان في حالة تلاشي فيما بينهما ، تدعو المشاهد لتأمل مناطق التنوير الداخلي للعنصر . كما تستفز ايقاع المتلقي وتجبره على استيعاب اللوحة بعبق " **القديم المقدس**"

" سكون التصوير"

يقبل أحمد مرسي بفكرة سكون التصوير فهو يضع عناصره " **الشخوص والأشياء** " تحت لافتة منحنى الحركة حيث لايتحلل أو يتفتت شئ وإنما يتبع كل شئ مساراً لتخفيف السرعة داخلياً .. تسار يعبر عن حكمة المسافة المختزلة..

الفراغ هو انبعاث من الشخوص .. والسطح يمثل نقطة التقاء لهذه التوترات التي توزع نفسها في إطار من الثبات ، خلف هذا السطح تنساب المتطلبات في نظام اللوحة. حيث تتقابل قوى الفوضى في المشهد.

"المشهد"

المشهد عند **أحمد مرسي** هو أفق مرن وثقيل في آن واحد، الفراغ فيه لايمثل أرضيه الموضوع الميتافيزيقي أو خلفيته وإنما هو عنصر " ضبط" مابين العناصر .. يساهم أكثر في تحقيق فكرة العبق المقدس.

يتحول الفراغ إلى وجود أركيولوجي بدعم ذاته من خلال خاصية مربكة بتخليق تأثير مضاد ومدرك .. فمثلاً فيما يخص العلاقة اللونية ، يتعامل أحمد مرسي معه باعتباره عنصر بناء في ذاته داخل المشهد له مجاله الخاص و"المربك" في ذات الوقت فاللون ليس فقط ظرفاً أو حالة خارجية ولكنه رمز للداخلي في المشهد يتم توزيعه وفقاً لآليات الذاكرة فيتضمن **الانطباعية والتعبيرية والوحشية** ..كما يتضمن تصادماً مع الموضوع الميتافيزيقي الذي تقدمه اللوحة .. هذه الاشارة المزدوجة تحمل اشارة إلى ثقافة " متوسطية" وثقافة ادراك الفنان لكل ماهو معاصر.

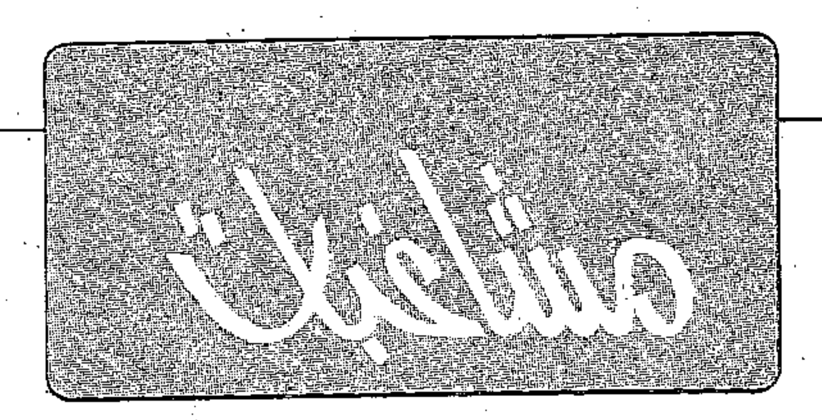
* * *

كيف استطاع **أحمد مرسي** بعد مرور مايقرب من ربع قرن على وجوده بأمريكا أن يظل وفيا لتجربته الفنية ومخلصاً لأداءاته التي تحمل صفات شخصية وفردية ..؟

رغم أن هذا السؤال قد لايعني الكثير للتجربة أو للفنان وإنما قد يعني الناقد، الذي تهمه التجربة في علاقتها الذاتية وفي علاقتها بما يحيطها من ظواهر.

نعتقد أن الطقس الأمريكي نفسه قد ساعد الفنان على الاحتفاظ بشخصيته نتيجة تحول النسيج الاجتماعي والاقتصادي الذي لحق بأمريكا والذي ترتب عليه انخفاض - مثلاً في مبدأ عبادة التكنولوجي في الفن وقد ساهم فنانو مابعد الطليعة بأمريكا في تدعيم هذا الاتجاه وقادته نحو العودة إلى العناصر التي تحمل الصفات الشخصية والفردية . وإعطاء الأولوية لاستعادة الشخصية على السطح عن طريق توجيه الانتباه للتفاصيل كمقابل للملامح الكمية والقياسية للانتاج الصناعي.

فاطمة إسماعيل





عجين الفلاحة

انتبت زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلي الجديد للقاهرة لتترك العرب في الحيرة نفسها التي كانوا عليها، حين فوجئوا بأن الذي فاز في الانتخابات الاسرائيلية ليس «بيريز» الذي تسلم «التنازلات»، ولكنه «نتنياهو» الذي لم يعد بدفع ثمن البضاعة.

ومنذحدث ذلك، والدبلوماسية العربية، تعلن أن الحملات الانتخابية، تدفع المتنافسين فيها، للافراط في التشدد للحصول على أصوات الناخبين، وأنها - لذلك - لن تتعامل مع نتنياهو على أساس الكلام البايخ الذي كان يذيعه أثناء المعركة الانتخابية، ولكنها سوف تنتظر حتى يستقر على مقعد رئيس الوزراء لتتعرف منه مباشرة على موقفه الحقيقي من مسيرة السلام، بعيدا عن لعبة «عجين الفلاحة» التي يقوم بها كل مرشح أمام ناخبيه، أثناء المعركة الانتخابية!

ومنذ استلم «نتنياهو» حقيبة رئيس الوزراء، وهو يثبت كل يوم، أنه لم يكن مجبراً على أن يتصرف كالقرد، فيحاكي الطريقة التي تعجن بها الفلاحة، ليملي- بتصريحاته المتشددة- الناخبين، بأن تطرفه ليس لفظيا ولكنه عملي، فبدلا من أن يشكل حكومة شراكة تقوم على ائتلاف «الليكود» و «العمل»، وهو ما تفرضه نتيجة الانتخابات، ليؤكد - بذلك- التزامه بما تعهد به بيريز، شكل حكومة ائتلاف مع الأحزاب الدينية الصغيرة الأكثر تزمتاً وتطرفا منه، حتى يتهرب مما وافق عليه، بل وقرره سلفه. فرفض إعادة نشر قواته في الخليل، بدعوى أنه ما يزال يدرس الملف، وتصرف مع عرفات باعتباره «غازيا» استولى على جزء من أرض المرحوم أبيه، وأعلن أن من حق الاسرائيليين اقامة المستوطنات في أرض إسرائيل التوراتية، وتعامل بوقاحة [illegible] الجميل «كلينتون»، الذي لم يفشل فقط في أن يحصل منه على أي كلام «يبل به ريق» أصدقائه العرب، بل واضطر كذلك لأن يلعب أمامه لعبة «عجين الفلاحة»، فيؤكد من جديد على العلاقة الاستراتيجية بين البلدين، ويتفق معه على ربط اسرائيل بشبكة الدفاع عن الولايات المتحدة ضد خطر الصواريخ.. لكي يضمن أصوات الناخبين اليهود في انتخابات الرئاسة الوشيكة!

وقد جاء نتنياهو إلى القاهرة بهدف واحد، هو اقناعها بأن ملف الصراع المصري/ الاسرائيلي، قد أغلق منذ عام ١٩٧٩، كما أغلق ملف الصراع الأردني/ الاسرائيلي عام ١٩٩٤، فلا مبرر لان تقحم مصر نفسها في المفاوضات مع الأطراف الأخرى، وانه على عكس ما يشاع عنه رجل سلام، بدليل أنه على استعداد لتوقيع معاهدة سلام مع لبنان بشرط ألا تتدخل سوريا.. فقد آن الأوان [illegible] كذلك، وأن يهتم كل منهم بشئونه، كما يليق بالأعضاء الصالحين في المجتمع الدولي.

وربما لهذا السبب وجد نتنياهو من المناسب أن يلعب أمام العرب، لعبة «عجين الفلاحة»، فجاءت تصريحاته في القاهرة أقل وقاحة وصلافة مما قاله في اسرائيل، ومما قاله في أمريكا، لكنها أكثر مراوغة، بخبث تفتح الباب لخلاف عربي/ عربي، حول معانيها وحول دخول المفاوضات على أساسها، وبذلك ينفرط عقد العرب، وتتبدد نتائج مؤتمر القمة العربي، وتتحقق الصورة المثالية للعربي كما يراها «نتنياهو»: الأردني في أردنه، والمصري في مصره، والسوري في سوريته، والفلسطيني في الشارع. أما المشترك بينهم، فهو المنافسة في القيام بلعبة عجين الفلاحة، لتسلية سيادته!

صلاح عيسى